الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة

دكتور
أحمد سليمان ياقوت
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٨٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية

الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة

الأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة

الدكتور
أحمد سليمان ياقوت
كلية الآداب .. جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

الإهـــــداء

إلى روح أستـــاذي الجليل

الأستاذ الدكتور السيد أحمد خليـــل

رحمهُ اللّهُ رحمةً واسعة وأسكنه فسيحَ جناتـــه

أحمد سليمان ياقوت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذه مجموعةٌ من الأفعال، تجدُها متناثرةً في أبواب النحو المختلفة وقد اصطلح معظمُ النحويين على تسميتها بالأفعال الجامدة وشبه الجامدة. ومنهم من يسميها – وهو الأليق – بالأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة. ويجمع بين هذه الأفعال كما يستبين من اسمها أنها :-

(أ) إما لا تتصرّفُ إطلاقا، أي تَبقَى على صورةٍ واحدةٍ لا تتعداها.

(ب) وإما تتصرف تصرفاً جزئيا فتجيءُ على صورة أو صورتين. وهذه الأفعال هي :-

١ – ما يدخلُ في باب (كان وأخواتها) وهي: ليس ودام وزال وفَتِئَ وبَرِحَ وانفكَّ.

٢ – ما يدخلُ في باب أفعال المقاربة، وهي كَادَ وكَرَبَ وأوْشَكَ.

٣ – ما يدخلُ في باب أفعال الشروع، أشهرُها شَرَعَ وأنشأَ وطَفِقَ وأخَذَ وَعَلِقَ وهَبَّ وجَعَلَ وَهَلْهَلَ.

٤ – ما يدخلُ في باب أفعال الرجاء وهي عَسَى وحَرَى واخْلَوْلَقَ

٥ – ما يدخلُ في باب أفعال القلوب وهي تَعَلَّمْ وهَبْ.

٦ – ما يدخلُ في بابي المدح والذّم وهي نِعْمَ وبئس وحَبَّ.

٧ – ما يدخلُ في باب التعجب وهي ما أفعلَ وأفعِلْ بـه وساء.

٨ - منا يدخل فى باب الاستثناء وهى : لا يكونُ وليس وحاشا وخلا وعدا .

٩ - مالا يدخل في باب من أبواب النحو وهى وَذَرَ وودع وكذب (عليك) وتبارك وقلّ فى مثل " قلّ رجل يفعل ذلك " وسقط فى مثل (سُقط فى يده) وعِمْ ويَنْبغي وأَهْلُمَّ وهات وتعالَ ويَهيط ُويسوي ونكر وهَدَّ .

والافعالُ التى لا تتصرّف تصرفاً كاملاً ليست مقصورةً على العربية ، ففى الإنجليزية ما يعرف بالأفعال الناقصة defective verbs. can; could; shall; should; will would; may;might;must; ought to.
وهى أفعالٌ لا تأتي إلاّ على صورتين ليس غير .

وقد رأينا أن نجمعَ أفعالَ العربيةِ غيرَ المتصرفةِ أو المتصرفةَ تصرفاً جزئيا ، وقد أطلقنا عليها شبهَ المتصرفةِ ، وأفردنا لها هذا البحثَ ولم نجد - فيما اطّلعنا عليه من مراجعَ - بحثاً يتناول هذه الأفعالَ بالدرسِ والتحليلِ .

فكلُّ أصحابِ المراجعِ النحويةِ - عدا السيوطيَّ فيما أعلمُ - لا يخصّصونَ باباً لهذه الأفعال ، بل إنّهم يتناولون بعضَها فى الأبوابِ الخاصةِ بها ، فـ (ليس) مثلا يتناولونها فى النواسخ و(حاشا) فى الاستثناء ..... وتبقى بعد ذلك أفعالٌ لا تخص بابنا من أبواب النحو، مثل وذر وكَذَّبَ عليك وينبغي وسُقط فى يده وهات وتعال - ولا تكاد نجد لها ذكرا فى تلك المراجع .

أما السيوطي فقد اكتفى بجمع هذه الأفعال جمعاً ليس غيرَ ، دون تفصيلٍ أو شرحٍ أو بيانٍ للاستعمال ، اللهم إلاّ كلمةً أو بضعَ

كلماتٍ لبعض هذه الأفعال ، حتى إنّ جَمْعَهُ لها لم يستغرقْ إلاّ صفحةً من همع الهوامع ، وكذلك فعل في المزهر نقلا عن التسهيل لابن مالك .

وقد يسألُ سائلٌ : لِمَ لمْ تتناولْ أسماءَ الأفعالِ في بحثك هذا ، وهي أفعالٌ عند بعضِ النحاة ، وغيرُ متصرفةٍ عند الجميع ؟ وأجيب عن هذا السؤال بأن هناك رسالةً للدكتوراه موضوعها : أسماءُ الأفعالِ وأسماءُ الأصواتِ في اللغة العربية للدكتور محمد عبدالله جبر، وقد تناول الباحثُ في تلك الرسالةِ بالدرس والتحليل أسماءَ الأفعالِ المرتجلةَ مثل آمين ورُوَيْدَ وبَلْهَ وهَيْهَاتِ وهَلُمَّ وصَهْ ومَهْ .... الخ . ثم تناول أسماءَ الأفعالِ المنقولةَ من أحرفِ الجرِّ مثل إليك وعليك وعنك ... والمنقولةَ من الظروف مثل أمامك وبعدك وخلفك ثم تناولَ بعد ذلك صيغةَ فِعَالِ في الأمر .... لذلك لم نَشَأْ أن نكرِّرَ ما قاله ، بل ابتدأنا من حيث انتهى .

هذه واحدة ، وأخرى أن موضوعَ رسالتي للماجستير هو (النواسخُ الفعليةُ والحرفيةُ) وربما كان هناك تداخلٌ بينها وبين موضوعِ هذا البحثِ وذلك في باب (كان وأخواتها) ، ولكنّ الاختلافَ بين الموضوعين واضحٌ ظاهرٌ ، فهذا البحثُ يُعْنَى بالتصرف وعدم التصرف في هذه الأفعال ، في حين أن رسالةَ الماجستير تتعرض لاستعمال هذه الأفعالِ ولوظائفِ النسخ فيها . على أن هذا لا يَعْني

أنني لم أرجعْ إلى رسالةِ الماجستير بل فعلتُ ، وأشرتُ إلى كلِّ موطن رجعتُ فيه إليها ، وهي مواطنُ معدودةٌ . يضاف إلى ذلك أن مرَّ السنين يطوِّر فكرَ الباحثِ ويغيرُ نظرتَه العلميةَ تجاه كثيرٍ من الموضوعاتِ .

واللهَ سبحانَه وتعالى نسألُ أنْ يوفقَنا فيما بدأنا فيه، إنه هو السميعُ العليمُ .

أحمد سليمان ياقوت

الفصل الأول

صيــــغ الأفعال : هل هي جامدة أو غير جامدة ؟

هذه الأفعالُ كلُّها اصطلح بعضُ النحاةِ على تسميتها بالأفعال الجامدة، وهذا اللفظُ عندهم عكسُ المتصرفة . واصطلح بعضُهم على تسميتها بالأفعال غير المتصرفةِ ، يَدلُّ على ذلك ما ذكره السيوطيُّ في تقسيم الفعل إلى " متصرفٍ وهو ما اختلفت أبنيتُه باختلاف زمانه وهو كثيرٌ ، وجامدٍ بخلافه وهو... "(١) . وبذلك وضع السيوطي الفعلَ الجامدَ عكساً للفعل المتصرف ، وقد حذا حذوَه الشيخُ محمد محيي الدين عند ما أوْرَدَ أدلةَ النحاةِ على أن (ليس) حرفٌ فقال :

" إنّه (أي ليس) جامد لا يتصرفُ كما أنّ الحرفَ جامدٌ لا يتصرف "(٢)

ونجد هذا اللفظَ (الجامد) في مغني ابن هشام وصفاً لهذه الأفعال ، فقد عقد فصلاً عنوانُه " هل تتعلقُ الظروفُ والجارُّ والمجرورُ بالفعلِ الجامدِ "(٣) .

ويقول المرحومُ عباس حسن " هذه الأفعالُ (يقصد أفعالَ الشروعِ) جامدةٌ ، لأنها مقصورةٌ على الماضي ، إلاّ (طفِق) و(جعَل)

---

(١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع لجلال الدين السيوطي ج٢ ، ص ٨٣ بيروت دون تاريخ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج١ هامش ص ٢٦٢ تحقيق محمد محيي الدين . التجارية الكبرى بمصر سنة ١٩٦٤ .

(٣) المغني لابن هشام ص ٥٧١ تحقيق الدكتور مازن المبارك وآخرين بيروت ١٩٧٩ .

فلهما مضارعان "[١].

ويقول فى أفعال الرجاء " هى أفعالٌ ماضيةٌ فى لفظها جامدةٌ فى الصيغة "[٢].

وهناك مواضعُ أخرى فى النحو الوافي وصفت فيها هذه الأفعالُ وعبرّها (بالجمود) وليس (بعدم التصرف) .

وكذلك نجد فى (شذا العرف)[٣] تقسيماتٍ عديدةً للفعل منها :-

(١) الماضي والمضارع والأمر .

(٢) الصحيح والمعتل،ولكل أقسامه .

(٣) اللازم والمتعدي .

(٤) التام والناقص .

(٥) المبني للمعلوم والمبني للمجهول .

(٦) الجامد والمتصرف .

فوضع الجامد بإزاء المتصرف .

على أن هناك من النحاة من وصف هذه الأفعال بعدم التصرف ، فابنُ يعيشَ يقول فى شرْحِه على مفصلِ الزمخشري " وهذه (عسى)

---

(١) النحو الوافي حـ١ ص ٢٠ دار المعارف ط ٤ .

(٢) السابق حـ ١ ص ٦٦٢ .

(٣) شذا العرف فى فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي ص ٤٢ الحلبي ، بمصر سنة ١٩٦٥ .

قد خالفت غيرَها من الأفعال ومُنعتْ من التصرف " (١) .

ويقول أيضا عن (نعم وبئس) : " وأيضا فان آخرَهُما يُبنى على الفتح من غير عارضٍ عُرض لهما ، كما تكون الأفعالُ الماضيةُ كذلك ، إلاّ أنّهما لا يتصرفان ، فلا يكون منهما مضارعٌ ولا اسمُ فاعلٍ ، والعلةُ في ذلك أنهما تضمنا ما ليس لهما في الأصل ، وذلك أنهما نقلا من الخبر إلى نفس المدح والذم ، والأصل في إفادةِ المعاني إنما هي الحروف،فلما افادتْ فائدةَ الحروف خرجتْ عن بابها،ومُنعتْ من التصرف كليس وعسى " (٢) .

ويقول صاحبُ الإنصافِ " ذهب الكوفيون إلى أنّ (نعم وبئس) اسمان مبتدءان ، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان " (٣) .

ويقول في موضعٍ آخرَ " الدليلُ على أنهما ليسا بفعلين أنهما غير متصرفين " (٤) . ولكنه في موضع آخرَ يقول من أفعال التعجب : " أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا الدليل على أنه اسم أنه جامد لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف " (٥) . فجَمَعَ بين (جامد) و (لا يتصرف) معاً .

---

(١) شرح المفصل هـ ٧ ص١١٦ المنيرية بالقاهرة دون تاريخ .

(٢) السابق هـ ٧ ص١٢٧ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابي البركات بن أبي سعيد الأنباري هـ ١ ص٦٦ تحقيق محمد محيي الدين هـ ١ صبيح سنة ١٩٥٣م .

(٤) الإنصاف في مسائل هـ ١ ص ٦٩ .

(٥) السابق هـ ١ ص ٨١ .

أما سيبويه فإنّه يذكر أوصافاً أخرى لهذه الأفعال ، كقوله عن حَبّذا ونِعْمَ في لزومهما صورةً واحدةً " فلزم هذا في كلامهم ولأنه صار كالمثل"[1] ويقول عن (أفعل) التعجب : " هذا بابُ ما يعمل الفعل ولم يجر مجرى الفعل ولم يتمكّنْ تمكنَه وذلك قولك ما أحسنَ عبدَ الله "[2] . وفي موضوع آخر يقول عن ليس : " وأما ليس ، فإنه لا يكون فيها ذلك ، لأنها وضعت موضعاً واحداً ، ومن ثم لم تَصَرّفْ تصرّفَ الفعل الآخر "[3] .

ونتساءل بعد هذا العرض لأقوال طائفةٍ من النحاة : أنُطلِق على هذه الأفعال (الأفعال الجامدة) أو نطلق عليها (الأفعال غير المتصرفة) ؟

ولعل من اللائق قبل أن نجيبَ عن هذا التساؤل أن نُلْقِيَ الضوءَ على ماهية الجامد وماهية المشتق ، ونوضحَ أيضا معنى التصريف .

فأما الجامدُ فقد جاء ذكرُه في كتب الصرفيين عندما يقسّمون الاسمَ إلى جامدٍ ومشتق ، فالجامدُ عندهم مالم يُؤخذْ من غيره[4] .

أي أنّه أصلٌ وليس ناتجا عن صورة سابقة مشتقٌ منها ، أو كما يقول المرحومُ الأستاذُ عباس حسن " إنّه وُضع على صورته

---

(١) الكتاب ج ١ ص ٣٠٢ ط المثنى ببغداد .

(٢) السابق ج ١ ص ٣٧ .

(٣) السابق ج ١ ص ٢١ .

(٤) شذ العرف ص ٦٧ .

الحالية ابتداءً ، وليس له أصلٌ يُرجع إليه أو يُنتسب له[1] . وله قسمان :

(أ) اسم ذات كرجل وشجر وبقر .

ويُطلقون عليه اسمَ عينٍ بمعنى أنّه محسوسٌ من الممكن رؤيتُه .

(ب) اسم معنى : مثل فهم وقيام وقعود وزمان ، فهو لا يقعُ في دائرة المحسوسات بل إنه شيءٌ معنويٌّ لا يُدرك ، وهذه هي المصادرُ التي يشتقُّ منها .

على أن هناك بعضَ الجوامدِ التي تُلحق بالمشتق في بعض استعمالاتها ، كأسماءِ الإشارة والاسمِ الجامد المنسوب أو المصغر .

وقد اشتقت العربُ الأفعالَ من المصادر[2] ، أي من أسماء المعاني الجامدة ، هذه هي القاعدة ، غير أن هناك من الباحثين من رأى أن العربَ قد اشتقت الأفعالَ من أسماء الأعيان الجامدة أحيانا ، وقد أتى بأمثلة كثيرةٍ لذلك منها الفعل رأس من الرأس ، فقالوا :

---

(١) النحو الوافي ج ٣ هامش ص ١٤٤ وقد رجعنا في ذلك أيضا للمراجع التي أشار إليها الأستاذ عباس حسن وهي مجلةُ مجمع اللغة العربية جـ ١ ص ٢٨١ ، و جـ ٢ ص ١٩٥ ، ٢٤٥ كما أنّ هناك بحثاً آخرَ في هذا الموضوع في الجزء الرابع ص ٢٢٨ .

(٢) هذا هو مذهب البصريين الذين يَرَوْن أن المصدرَ أصل والفعل فرع عليه ، والكوفيون يرون العكسَ ، وسنرجع إلى ذلك بعد قليل ، وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف جـ ١ ص ١٤٤ .

رَأسَهُ إذا أصاب رأسه ، والفعل بَأرَ من البئر ومنه بِئَرَ فلانٌ بئراً إذا حفرها ، والفعل زَبدَ من الزُبْدِ ، فقالوا زَبدتُ الرجلَ زُبْدا ، أي أطعمته الزبد ، ومن هذا الاشتقاق أيضا الفعل ذوّب وهو مشتق من الزُّبد ، أي صار مثله خبثاً ودهاءً "[1] .

وقد أورد السيوطي قولهم استحجر الطين واستنوق الجمل[2] .

هذا من الجامد ، فماذا عن المشتق ؟ لقد كتب كثيرون في الاشتقاق وأفردتْ له مؤلفاتٌ ، يقول السيوطي . أفردَ الاشتقاق بالتأليف جماعةٌ من المتقدمين ، منهم الأصمعي وقطرب وأبو الحسن الأخفش وأبو نصر الباهلي والمفضل بن سلمة والمبرد وابن دريد والزجاج وابن السراج والرماني والنحاس وابن خالويه "[3] .

وأما كتبُ الاشتقاق المحدثة فمنها (العلم الخفاق في علم الاشتقاق) محمد صديق بهادر ، والاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي وكتاب الاشتقاق للأستاذ عبد الله أمين[4] .

---

(١) من بحث للأستاذ عبد الله أمين بمجلة مجمع اللغة العربية الجزء الرابع : اكتوبر ١٩٣٧ ص ٢٢٨ بعنوان " بحث في الطرق التي سلكها العرب عند اشتقاقهم الأفعال من أسماء الأعيان .

(٢) المزهر ج ١ ص ٣٥٠ تحقيق محمد جاد المولى وآخرين، عيسى الحلبي دون تاريخ .

(٣) المزهر ج ١ ص ٣٥١ .

(٤) من مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ، وهو الذي حققه الأستاذ عبدالسلام هارون . مكتبة المثنى ببغداد سنة ١٩٧٩ .

" والاشتقاقُ هو أخذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقِهما معنىً و " مادةً " أصليةً وهيئةَ تركيبٍ لها،ليدلّ بالثانية على معنى الأصل ، بزيادة مفيدة ، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئةً كضاربٍ من ضَرَبَ وحَذِرٍ من حذر "[1] .

ويعرّفه الأستاذُ عبدالله أمين بأنه أخذُ كلمةٍ من كلمةٍ أو أكثرَ مع تناسبٍ بين المأخوذِ منه في اللفظ والمعنى جميعاً[2] . وهو تعريفٌ قريبٌ من تعريفِ الأستاذ هارون " هو أخذُ كلمةٍ من كلمةٍ أو أكثرَ مع تناسبٍ بينهما في اللفظ والمعنى "[3] .

والاشتقاقُ وسيلةٌ من وسائلِ نموِّ اللغةِ وتطورِها وزيادةِ ثروةِ الألفاظِ فيها ، وقد اتخذه بعضُ اللغويين أساساً في تقسيم اللغات إلى فصائل[4] .

وقد بيّن السيوطي التغيّراتِ بين الأصلِ المشتقِّ منه والفرع المشتق وحَصَرَها في خمسةَ عشرَ :

---

(١) المزهر جـ ١ وص ٣٤٦ .

(٢) كتاب الاشتقاق ص ١ لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ، ١٩٥٦ .

(٣) مقدمة كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦ .

(٤) يطلق بعض اللغويين على اللغات التي تتميز بالاشتقاق (فصيلة اللغات المتصرفة) Flexionnelles أو التحليلية Analytiques وذلك كاللغة العربية فإن كلماتها تتغيرُ معانيها بتغيير بنيتها . فنقول عِلْمٌ للدلالة على المصدر ، وعَلِمَ للدلالة على الفعل الماضي ، وعلّم (بتشديد اللام) للدلالة على تعدي الفعل... والمعلوم للدلالة على ما وقع عليه العلم ..... وهلم جرا .
علم اللغة دكتور علي عبدالواحد وافي ص ٨٦ مكتبة النهضة سنة ١٩٤٤ .

الأول : زيادة حركة — كعِلْم — وعَلِم .

الثاني : زيادة مادة كطالب وطلب .

الثالث : زيادتهما كضارب وضرب .

الرابع : نُقصانُ حركةٍ كالفرس من الفرس (بتسكين الراء)

الخامس : نقصان مادة كثبت وثبات .

السادس : نقصانهما كنزا ونزوان .

السابع : نقصان حركة وزيادة مادة ; كغضبى وغضب .

الثامن : نقصان مادة وزيادة حركة كحرم وحرمان .

التاسع : زيادتهما مع نقصانهما كاستنوق من الناقة .

العاشر : تغاير الحركتين كبطِر بطَرا .

الحادي عشر : نقصان حركة وزيادة اخرى وحرف كاضرب من الضرب .

الثاني عشر : نقصان مادة وزيادة اخرى كراضع من الرضاعة .

الثالث عشر : نقص مادة بزيادة اخرى وحركة كخاف من الخوف ; لأن الفاء ساكنة في خوف لعدم التركيب .

الرابع عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حركة نقط ، كعد من الوعد ، فيه نقصان الواو وحركتها وزيادة كسرة .

الخامس عشر : نقصان حركة وحرف وزيادة حرف ، كفاخر من الفخار ، نقصت الف وزادت الف وفتحة . (المزهر ٣٤٨/١) .

والاشتقاق عند ابن جني نوعان :

الأول الاشتقاق الأصغر " كأن تأخذ أصلا من الأصول

فتتقراه ، فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه ، وذلك كتركيب (سلم) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والتسليم ... "[1] .

والنوع الثاني الاشتقاق الأكبر " وهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد عليه "[2] . ويضرب مثلاً لذلك مادة قول ، فيقول " إن معنى (قول) أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه إنما هو للخفوف والحركة "[3] .

وقد تعرضت لهذا النوع بالدراسة التفصيلية ، ورأيت أن ابن جني قد جانبه الصواب عندما قال إن تقاليب المادة الواحدة تعطي معنى واحداً أو معاني متشابهة[4] .

هذا وقد أورد السيوطي أمثلة أخرى للاشتقاق لا تدخل تحت هذين النوعين ، هذه الأمثلة التي ذكرها السيوطي أوحت لنا بتقسيم الاشتقاق إلى نوعين :

الأول الاشتقاق بمعناه العام Derivation وهو الذي أسماه

---

(١) الخصائص جـ ٢ ص ١٣٤ تحقيق محمد على النجار ، دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٥ .

(٢) الخصائص جـ ٢ ص ١٣٤ .

(٣) الخصائص جـ ١ ص ١٣٤ .

(٤) كتابنا " دراسات نحوية في خصائص ابن جني " ص ٢٢٧ وما بعدها ، دار النشر الجامعي ، سنة ١٩٨ .

ابن جني اشتقاقاً أصغر . كأن تشتق من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسم مفعول أو اسم مكان أو صفةً مشبهةً،وهو الاشتقاق المتعارف عليه مدرسيا .

والثاني الاشتقاق التاريخي Etymology (١) ، وهو التتبعُ التاريخيُّ لمعاني المشتقاتِ من الكلمةِ الواحدةِ أو إرجاعُ معنى من المعانى إلى اشتقاقه من كلمةٍ ما لعلاقةٍ دلاليةٍ تجمعُ بينهما ، أو هو — كما يقول فندريس — " أخذُ الفاظِ القاموسِ كلمةً كلمةً ، وتزويدُ كلٍّ واحدةٍ منها بما يشبه أن يكونَ بطاقةً شخصيةً يُذْكَرُ فيها من أين جاءتْ ومتى وكيف صِيغتْ والتقلباتُ التى مَرَّتْ بها " (٢) .

والأمثلةُ التى ذكرها السيوطي وأوحت لنا بهذا التقسيم تدخل جميعها فى نطاق القسم الثاني ومنها :-

(أ) سُميت (مِنى) بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء .

(ب) يقال (شَجَرْتُ فلاناً بالرُّمْحِ) من الشجرة ، لأنك تجعله فى الرمح كالغصن فى الشجرة .

(ج) شَادِقٌ : اسمُ فرسٍ مشتقٌّ من (شَدَقَ المطر) إذا سال وانصب فهو شادق) فكأنَّ الفرسَ هذا فى سرعته كالمطر إذا سال وانصب .

---

(١) لم يكن ذكر هذين النوعين عبثاً أو اطالةً للبحث دون داع،فالنوع الثاني وهو الاشتقاق التاريخي Etymology هو الذي سنعتمد عليه فى تأصيل بعض الأفعال غير المتصرفة .

(٢) اللغة ص٢٢٦ . ترجمة الأستاذين الدواخلي والقصاص،الأنجلو المصرية ١٩٢٠ .

(د) الثور : سُمّي بهذا الاسم لأنه يثير الأرض .

(هـ) الجَرْجير : سُمّي كذلك لأن الريح تُجَرْجِرُه أي تجرّه[1] .

وقد ذكر فندريس مثالاً لهذا النوع من الاشتقاق الــــرأي أن ماريشال وهي أكبرُ رتبةٍ عسكريةٍ ـــ إنما كان اشتقاقُها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة[2] .

ومما يدخل في هذا النوع أيضا ما لاحظه الأستاذُ عبد الســـلام هارون[3] في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ، فقد لاحظ أنــــه قد جرى في كتابه على بيان اشتقاق أسماء البلدان العربيــــــة ، ويترجّحُ في هذا إلى الاشتقاق التاريخي والرجوع بالكلمة إلى أصلهـــا في كلماتٍ أخرى أو في مناسبات أخرى .

من ذلك قولُه عن السِّنْد بكسر أوله وسكون ثانيه ، وآخــــره دال مهملة " بلاد بين الهند وكرمان وسجستان . قالوا السنــــــد والهند كانا أخوين من ولد بوفير بن يقطن بن حام بن نــــــوح ، يقال للواحد من أهلها سندي والجمع سند مثل زنجي وزنـــــج "[4] .

وكقوله " صَبّاب بالفتح ثم بالتشديد وباء أخرى من صَـــبَّ

---

(١) المزهر ﺟ ١ ص ٣٥١ وما بعدها بتصرف .

(٢) اللغة ص ٢٢٧ .

(٣) كتاب الاشتقاق لابن دريد " المقدمة التي كتبها محققـــــه عبدالسلام هارون " ص ٣٠ .

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي ﺟ ٣ ص ٢٦٧ بيروت ١٩٥٥ .

الماء يَصُبُّ فهو صبّابٌ . جفرفي ديار بني كلاب كثير النحل[1] .

وكقوله " صباح بالضم ثم التخفيف ، قاله أبو منصور، رجل أصبح اللحية للذي يعلو شعرَ لحيته بياضٌ مشرب بحمرة ومنه صبح النهار ، ومن ذلك قيل دم صباحي لشدة حمرته . قال : عبيط صباحي من الجوف أشقر . وذو صباح موضع في بلاد العرب ومنه يوم ذو صباح ، وقيل صبح وصباح ماءان من جبال شملي لبني قريظ... "[2] .

لم يبق لنا إلّا أنْ نبينَ معنى التصريف ، وأمرُه هيِّنٌ فهو علم يُبحث فيه عن أُحكام بنية الكلمة العربية،وما لحروفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وشبه ذلك[3] .

" وليس من التصريف عند جمهرة النحاة ــ تحويلُ الكلمة إلى أبنيةٍ مختلفةٍ ، ليؤديَ معانيَ مختلفةً كالتصغير والتكسير والتثنية والجمع والاشتقاق ..."[4] .

ويرى بعضُ النحاة أنَّ التصريفَ أعمُّ من الاشتقاق لأن بناءَ مثل تردد من الضرب يسمى تصريفا ولا يسمى اشتقاقا ، لأنه خاصٌّ بما بنته العرب "[5] .

---

(١) معجم البلدان حـ ٢ ص ٢٨١ .

(٢) السابق حـ ٣ ص ٣٩١ .

(٣) شرح ابن عقيل حـ ٢ ص ٥٢٩ .

(٤) النحو الوافي حـ ٤ ص ٦٧٢ .

(٥) المزهر حـ ١ ص ٣٥١ .

يحسن بنا بعد هذا العرض أنْ نجيب من التساؤل الذي عرضنا له في أوّل الفصل .

إنّ تسمية هذه الأفعال بالجامدة خطأٌ ، وذلك :

(١) لأن الجمودَ والاشتقاق قسمان للاسم ، يدل على ذلك بيت الألفية في خبر المبتدأ عندما يكون جامدا .

والمفردُ الجامدُ فـــارغٌ وإنْ
يُشتَقّ فهو ذو ضميرٍ مُستكِـن .(١)

(٢) وأنّ التصرفَ وعدم التصرف قسمان للفعل ، وقد اصطلح على ذلك جمهور النحاة في معظم كتبهم ، إلا أنّهم عندما جاءوا الى الأفعال موضوع بحثنا أطلقوا عليها الافعالَ الجامدةَ . وهذا لبسٌ وقعوا فيه ، وربما كانوا يقصدون بالجامد عكسَ المتصرف ، وليس عكسَ المشتق .

(٣) وأنّ هذه الأفعالَ ليست جامدةً ، بمعنى أنها لم تؤخذْ من غيرها ، أو أن الصورة التي عليها هي الصورة الأولى ، لا ، بل إنّها مشتقةٌ ، أو قل إنّ معظمها مشتق ، واشتقاقها يرجع في

---

(١) شرح ابن عقيل ٢٠٥/١ .

(٢) لابد أن نفترض هنا أن الفعل فرع يستمد من الأصل ، أي أن الفعل مشتق من المصدر ، موافقين في ذلك رأي البصريين ، إذ إننا لو فرضنا العكس ، أي أن الفعل هو الأصل ، لكانت كل الأفعال جامدة غير مشتقة (اسم مفعول) ، وتكون هذه الصورة التي نراها عليها هي الصورة الاولى الأصلية ، ولا أصل لها قبلُ يُرَجع إليه ، هذا إلى أننا في بحث سابق رأينا أن المصدر ربما كان هو الأصلَ ، ذلك لأن الفعل إنما هو تجريد ، أي أنه فكرة غير مشخصة أو غير ملموسة مثل (أكلَ) ، أما الاسم فهو في بعض أحواله مشخص أو ملموس مثل (الأكل) . والملموس أو المشخص هو الذي يقرع الذهن أولا ثم يأتي بعد ذلك المجرد (وانظر اللغة لفندريس ص ١٨١ ، وكتابنا " في علم اللغة التقابلي ص١٥٥ ") دار المعرفة الجامعية سنة ١٩٨٥ .

الأغلب الأعم إلى الاشتقاق بمعناه التاريخي Etymology، أي أن هذا الاشتقاق ليس جارياً على سنن العرب كأن تشتق من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو اسمَ مكانٍ أو صفةً مشبهةً .... حسب القواعد المذكورة عندهم ، بل إن الاشتقاقَ يستبين فيها بتتبع المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الكلمة أو تلك ، وبمقارنتها — في بعض الأحيان — بكلماتٍ أخرى من الفصيلة نفسها . وهو بحثٌ صعبٌ مرامُه عسيرٌ نوالُه ، وليس في استطاعةِ الباحثِ تطبيقُه على كلِّ الأفعالِ .

وَلْنأخذْ مثلاً على ذلك الفعلَ (ليس)،فستجده مكوناً أو قُلْ مشتقاً من لا النافيةِ بالإضافة إلى فعلِ الكينونةِ في العبرية يش فأصبح (ليس) وهذا مطابقٌ لتعريف الاشتقاق عند العرب،فقد قالوا عنه "هو أخذُ كلمةٍ من كلمةٍ أو أكثرَ ".وقد أخذنا هذا الفعلَ من كلمتين .

وقد فَطَنَ إلى ذلك الخليلُ — رحمةُ اللهِ عليه — عندما قال أيس ولا أيس . هذا مثالٌ ، مثال آخر (نعم) أليست هذه المادةُ الثلاثيةُ دالةً على الترف وسعة العيش والرخاء .... بلى هي كذلك ، فليس غريبا إذاً أنْ يؤخذَ منها معنى المدح والاطراء في عصر من العصور . وإذا انتقلنا إلى نقيضها (بئس) وجدنا فكرةَ الاشتقاق التاريخي متحققةً أيضا ، فالمادةُ الثلاثيةُ تُشير إلى الضنك والضيق والبؤس والفقر وما إلى ذلك ، فيرجّحُ أنَّها في عصر من العصور استعملت في معنى متقاربٍ لهذه المعاني وهو الذم،ثم استمرَّ هذا المعنى مستعملاً إلى الآن .

ثم تأتي إلى حبّذا وهي حَبّ و ذا وقد كُتبت كلمةً واحـــــــدةً وكانت في الأصل كلمتين ، فأما (حب) فواضحٌ أن معنى المـــــدح قريبٌ منها، بل ملتصقٌ بها ،وأما (ذا) فهو اسمُ إشارة يدل علـــى الشيء المحبب الذي أشير إليه ونظن أنهما كانتا منفصلتيـــــــن (حب + ذا)،ثم إنّه بتطور الاستعمال اتصلت الذال بالباء ،فأصبحتا على هذه الصورة (حبذا).ولو أن الباءَ كانت حرفاً آخرَ لا يتصل بما بعده كالراء مثلا لبقيتا منفصلتين.

والفعل (لايكون) اشتُرِعَ من استعماله كفعلٍ ناقصٍ ، ووُضـــع في أساليب الاستثناءِ على حالته تلك دون أن يتعداها إلى صـــــورة أخرى . ويدل على هذا (الاشتراع) أنه محدودُ الاستعمالِ إنْ لـــمْ يكنْ نادرَه في أسلوبِ الاستثناء ، وهذا لم يتمّ في فترة محـــدودة بل هو نتيجةٌ للتطور في الاستعمال .

وهكذا إذا تتبعنا معظمَ الأفعالِ غيرِ المتصرفة نجدها فـــي الأغلب ترجعُ إلى كلماتٍ لها صلةُ القربى في المعنى أو في التركيـــب بهذه الأفعال ، ثم اشتُقتْ منها في زمن ما ، ثم صارت شائعـــةً مستعملةً .

وقد قلتُ غير المتصرفة وهي تسمية صحيحة ، لأن المقصـــودَ بذلك أنها لا تتصرف ، أي لا تأتي في الأزمنةِ المختلفة كالماضـــي والمضارع والأمر وباقي التصاريف كاسم الفاعل واسم المفعول ...الخ . بل تأتي على صورة واحدة أو صورتين . وقد قلت (معظـــــم الأفعـــال) و (في الأغلب الأعم) ، لأنّ هناك أفعالاً لا صلـــة بينها وبين ما أُخذتْ منه . وإلاّ فما العلاقةُ بين المادةِ الثلاثيـــة

(كرب) والفعل (كرب) بمعنى دنا ؟[1] وما العلاقة بين (عسى) كفعل من أفعال الرجاء ، وبين ما تدل عليه هذه المادة وهو الكبر : يقال عسى الشيخ يعسو أي كبر وضعف وقلّ بصره .[2]

وبعد أن أجملنا القولّ في هذه الأفعال من حيث عدم التصرف أو الجمود ، ورأينا أن وصفَها بغير المتصرفة أليقُ وأحسنُ لأنّ الجمودَ ليس من طبيعتها ، بل إنّ كلّ فعلٍ منها كان مشتقا أو مأخوذا من كلمة أو كلمتين ــ أقول،بعد أن فعلنا ذلك نتناولُ هذه الأفعالَ بالدراسة طائفةً طائفةً ، ونبدأً بتلك الأفعالِ التي تنتمي إلى باب النواسخ في النحو .

ا ا ا ا ا

ا ا ا

ا

---

(١) ربما تكون العلاقةُ في اللفظ فالكاف والقاف من مخرجين متقاربين وسنبين ذلك بالتفصيل في موضعه إن شاء الله .

(٢) سيأتي بحثُ هذه الأفعالِ كلٌّ على حدةٍ في موضعه .

الفصل الثاني

كـــان وأخواتهـــا

أولُ ما يقابلنا من الأفعال غير المتصرفة فى هذا الباب هما الفعلان كان ، وليس .

فأمّا الأولُ (كان) فهو غيرُ متصرف فى استعمال واحد خاص به ، وليس فى كل استعمالاته ، ذلك أنه كفعل ناقص ناسخ له كلُّ أنواعِ التصاريف .

فالماضي (كان) كقوله سبحانه وتعالى « ودمَّرْنا ما كانَ يصنعُ فرعونُ وقومُه »[1] .

والمضارعُ والأمرُ كقوله سبحانه وتعالى :

كن فيكون[2] .

واسمُ الفاعلِ كقول الشاعر :

وما كلُّ من يُبْدِي البَشاشةَ كائناً

أخاك ، إذا لم تُلْفِهِ لكَ مُنْجِدًا[3] .

والمصدرُ كقول الشاعر :

ببذلٍ وحِلْمٍ ساد فى قومه الفتى

وكونُك إياه عليك يسيرُ[4] .

---

(١) آية ١٣٧ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٤٧ من سورة آل عمران .

(٣) ابن عقيل حـ ١ ص ٢٦٩ .

(٤) ابن عقيل حـ ١ ص ٢٧٠ وهذا البيت والذي قبله من الشواهد التي لم ينسبوها إلى قائل معين .

أما الاستعمالُ الخاص الذي نقصده فهو (لايكون) في أسلوب الاستثناء ، ويكون الفعلُ في حالة المضارع دون الماضي أو الأمر مسبوقاً بحرف النفي (لا) دون غيره من حروف النفي نحو ما ، ولم . فـ (لايكون) دونَ غيره من التصاريف الأُخرى هو الذي يستعمل في أسلوب الاستثناء .

أما الثاني فهو (ليس) وهو غيرُ متصرف في كلِّ أحواله ؛ أي إذا استعمل فعلا ناقصا[1] أو استعمل في أسلوب الاستثناء . ونلاحظ أن أساليبَ الاستثناء التي جاءت مستخدِمةً هذين الفعلين قليلةٌ جدا بل نادرة ، مما يدل على أنهما وضعا أصلا للنسخ لا للاستثناء ، فمن شواهد استعمالهما للاستثناء قولُ رؤبة :

عَدَدْتُ قومي كعديدِ الطيسِ ... إذ ذهبَ القومُ الكرامُ ليسي[2]

وقولُه عليه الصلاةُ والسلامُ " يُطبعُ المؤمنُ على كلِّ خلق ليس الخيانةَ والكذبَ " . وهذان الشاهدان وردا في همع الهوامع في باب الاستثناء بليس ولا يكون . كما ورد بيتُ رؤبةَ في المغني[3] حرف الكاف دون أن يستشهدَ به ابنُ هشام على الاستثناء بليس ، كما نقلهما (البيتَ والحديثَ) الاستاذُ عباس حسن في النحو الوافي . ولقد أورد ابنُ هشام في المغني[4] حديثَ رسول الله

---

(١) سنبين بعد قليل أنْ كان فعلا أو حرفا .

(٢) عديد الطيس أي الرمل الكثير وقد استشهد به ابنُ هشام في حرف الكاف ص ٢٢٧ وفي الخزانة ٢)٤٢٥ ، ٢٠٤-٤٠٤ .

(٣) همع الهوامع جـ ١ ٢٣٥ .

(٤) المغني ص ٢٢٧ .

(٥) النحو الوافي جـ ٢ ص ٣٥٨ .

على الله عليه وسلم " ليس من أصحابي أحدٌ إلاّ ولو شئت لأخذتُ عليه ليس أبا الدرداء " وقد قال محققُ المغني إنه بحث عن هذا الحديث في كتب الصحاح فلم يجده.(١) كما أني بحثت في صحيح مسلم عن الحديث الأول " ... ليس الخيانة والكذب" فلم أجده ، ووجدته في إحياء علوم الدين للغزالي بنصٍّ آخرَ هو " كل خلة يُطبع عليها المؤمنُ إلاّ الخيانة والكذب "(٢) . فلم يُستعملْ (ليس) .

أما ما جاء في كتب النحو مثالاً على ذلك فهو نحو " أتاني القومُ ليس زيدا و (لا يكون زيدا) (وقام القومُ ليس زيدا) و (لا يكون زيدا) "(٣) .

ويدل على أنهما وضعا أصلا للنسخ بالإضافة إلى ما ذكرناه أنّ إعرابهما في أسلوب الاستثناء مطابق تماما لإعرابهما عندما يكونان ناسخين . قال السيوطي في شرحه على بيت رؤبة " وقوله (ليس) ، أي ليس الذاهب اياي ، فاسمُ (ليس) مستترٌ فيها وخبرُها الضميرُ المتصلُ بها "(٤) . ونجد أنّ هذا الإعرابَ متحققٌ أيضا في قولهم (قام القومُ لا يكون زيدا) فتأويلُه عندَهم (قام القوم لا يكون بعضهم زيدا)(٥) .

---

(١) المغني ص ٢٨٧ (الهامش) .

(٢) إحياء علوم الدين جـ ٢ ص ١٣٢ ط ١ عيسى الحلبي مصر .

(٣) انظر مثلا سيبويه جـ ١ ص ٣٧٦ وابن عقيل و جـ ١ ص ٦١٦ . والأشموني جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٤) شرح شواهد المغني ص ١٦٧ .

(٥) هناك إعرابان آخران يذكرهما النحاة في مرجع الضمير المستكن

ـــــ

ولكن لماذا استخدم هذان الفعلان دون غيرهما من النواسخ في أسلوب الاستثناء ؟ والاجابةُ عن هذا السؤالِ تتضحُ بعد أن نعرفَ معنى هذين الفعلين ، إذ إن معنييهما واحد وهو عدم الوقوع أو عدم الحدوث أو بمعنى آخر نفي الكون المطلق . ولنبين تفصيل ذلك .

فأما الفعل الاول (يكون) فهو في أصل معناه دال على الحدوث والوقوع والثبات والإيجاب ، وهذا المعنى يتضح عندما نستعمله تاما مثل (كان الله ولا شيء معه) ومثل قوله تعالى " وإنْ كانَ ذو عُسْرةٍ فنظِرَةٌ الى مَيْسَرةٍ "[1] . ومما يدل على الثبات والرسوخ قوله تعالى " الذينَ إنْ مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة"[2] ، وتقول " كان عبد الله ، أي خلق عبد الله ، وقد كان الأمر أي وقع الأمر "[3] .

ويتضح هذا المعنى أيضا عندما نقارن العربية بغيرها من الساميات فالفعل כון في العبرية يعني الرسوخ أو الوقوف في ثبات ، وكلمة כן فيها بمعني(نعم)وهي تدل على الإيجاب . كما أن

في (لايكون)(ليس) : الاول أن المرجعَ اسمُ الفاعلِ المأخوذُ من الفعل أي قام القوم لا يكون القائم زيدا ، والثاني أن المرجعَ الفعلُ السابقُ العاملُ في المستثنى منه . أي قام القوم لا يكون هو (أي القيام) قيام زيد . وواضحٌ ما في هذين الوجهين من التكلف.وانظر الهامشين السابقين .

(١) آية ٢٨٠ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤١ من سورة الحج . والشاهد في (مكناهم) .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٢١ .

هناك فعلين آخرين وهما הֲוָא فى السريانية و הָיָה فى العبرية بمعنى (كان) ويقابها فى العربية هوى أو سقط أو حدث ، وهذا الرأيُ مبنيٌّ على أن (وقع) لها معنيان فى العربية : معنى السقوط كقولك وقع على الأرض ، ومعنى الحدوث كما فى قوله تعالى "إذا وقعت الواقعة "[1] ؛[2].

هذا عن المادة (كون) فماذا عن (ليس) ؟ إنَّ الاشتقاقَ التاريخي Etymology يُرينا أنَّ الفعلَ ليس فى الأصل مكونٌ من شقين : الأول (لا) النافية والثانى الفعل (أيس) التى تدل على الكون المطلق أو الوجود أو الحياة . وهذا الأصل يتضحُ كلَّ الوضوح فى قولِ العرب " أئتني به من حيث أيس وليس ، أي من حيث هو ولا هو "[3] . وقولِهم " لا يَعْرِفُ أيْسَ مِنْ لَيْسَ " ، أي لا يعرفُ ما يكون مما لا يكون "[4] وهذا الأصل فَطِنَ إليه الخليلُ بنُ أحمدَ عندما رأى أن (ليس) مكونةٌ من لا أيس فطرحت الهمزة وأُلزقت اللام بالياء .[5]

ويتضحُ هذا المعنى أيضا عندما نقارنُ بين العربيةِ وغيرِها من الساميات ففى العبرية אַיִן وهى أداة النفى لا ، ثم أُضيف إليها

---

(١) المفصل فى قواعد اللغة السريانية وآدابها ، والموازنة بين اللغات السامية تأليف محمد عطية الأبراشي وآخرين ص ٣٢٩ . المطبعة الأميرية بولاق .

(٢) الآية الأولى من سورة الواقعة . وهذه المعاني عرضنا لها فى كتابنا النواسخ الفعلية والحرفية ص ٤٣ . دار المعارف ١٩٨٣ .

(٣) اللسان مادة ل ي س .

(21) W. Wright: A Grammar of Arabia Language P.96 V II

(٥) اللسان مادة ل ي س .

יֵשׁ (بمعنى يوجد أو يكون) ، وفى الارامية לֵית وهى مكونـــة من لا (حرف نفى) وايت وهو فعل الكينونة . على أننا فـــــي العربية لا نستعمل الفعلَ (أيس) منفردا ، بل لا بد أن يكونَ قبلَه الحرفُ (لا)[(٢)] .[(١)]

من هذا كلِّه يتضحُ أنَّ الأصلَ فى (لايكون) و (ليس) إنمـــا هو نفيُ الوجودِ أو الكون المطلق أو الوقوع بوجه عام ، وليس هـــذا فى العربية فحسب ، بل فى غيرها من الساميات ، وهذا النفيُ العـــام دون تحديد للمنفى هو الذي سوّغ للنحاةِ أن يقولوا بأنها جاءت فـــى بعض الأساليب للاستثناء .

وربما كانت هناك علاقةٌ بين نفي الكونِ المطلق الذي يفيـــدُه ليس ولا يكون وبين (نصٌّ فى النفى) أو (الجحد)[(٢)] اللذين ذكرهمـــا النحاةُ ورأوْا أن (ليس) و (لايكون) يفيـــدانهما ، ومِنْ ثَـــمَّ جاز الوصفُ بهما (أي بليس ولا يكون) بعكس (عدا ، وخلا) اللذيـن لا يفيدان ذلك فلا يوصفُ بهما .

يقول السيرافى فيما نقل عنه السيوطي " أجازوا الوصـــــفَ بليس ولا يكون لأنُهما نصٌّ فى النفى عن الثانى وهو معنى الاستثنـــاء، وليس ذلك فى عدا وخلا إلاّ بالتضمين ، فلم يوصفْ بهما ؛ لأنّهمـــا

---

(١) التطور النحوي لبرجستراسر ص ١١١ .
والفلسفة اللغوية والألفاظ العربية لجورجي زيدان ص ١٠٦ ط دار الهلال ١٩٥٨ . والنواسخ الفعلية والحرفية ص ٢١٠ و ٢١١ .

(٢) الجحد بمعنى الإنكار وهناك ما يسمى بلام الجحد قبل (ما كان) مثل قوله سبحانه وتعالى " لم يكنِ اللّهُ ليغفرَ لهم " النسا ٤ ، ١٣٧ ، ١٦٨ . وانظر المغنى حرف اللام ص ٢٧٨ .

ليسا في موضعٍ جحدٍ فلا يقالُ ما أتتني امرأةٌ عدَتْ هنداً أو خلَتْ هنداً "(١).

وإلى مثل ذلك ذهب ابنُ يعيشَ في شرحه على مفصل الزمخشري حيث يقول : " قد يكون (ليس) و (لا يكون) وصفين لما قبلهما من النكرات تقول أتتني امرأةٌ لا هنداً ، فموضع لا تكون (رفعٌ) لأنه وصف لامرأة ، وكذلك تقول في النصب والجر : (رأيت امرأةً ليست هنداً ولا تكون هنداً) و (مررت بامرأة ليست هنداً ، ولا تكون هنداً) .

" ولا يوصف (بخلا وعدا) كما وصف (بليس ولا يكون) فلا تقول (أتتني امرأة خلت هنداً) وعدت جملا ، وذلك أن (ليس ولا يكون) لفظهما جحد ، فخالف ما بعدهما ما قبلهما ، فجريا في ذلك مجرى غير ، توصف بهما كما وُصف بغير ، وأما خلا وعدا فليسا كذلك ، وانما يستثنى بهما على التأويل ، لا لأنهما جحد "(٢).

ولم يختلفِ النحاةُ في أنّ (لايكون) فعلٌ ، ذلك أنه متصرف كلَّ التصرفِ إلاّ في هذا الاستعمالِ الذي نحن بصدده في الاستثناء ،وأما الخلافُ فكان في (ليس) : هل هي فعلٌ أو حرف ؟

وقد ورد هذا الخلافُ في الإنصاف لابن الأنباري ، ولكنه لم يَرِدْ بطريقةٍ مباشرة بل وَرَدَ بطريقة غير مباشرة تحت عنوان " هل يجوز تقديمُ خبرِ (ليس) عليها " ؟(٣) جاء في الإنصاف :

---

(١) همع الهوامع هـ ١ ص ٢٣٤ .

(٢) المفصل هـ ٢ ص ٧٨ .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري هـ ١ ص ١٠٣ .

" ولا يجوزُ تقديمُ خبرِ ليس عليها والذي يَدلّ على هـــذا أنَّ (ليس) في معنى ما ، لأنّ ليس تنفي الحالَ كما أن ما تنفي الحال ، وكما أن (ما) لا تتصف ولا يتقدم معمولُها عليها فكذلك ليس ، على أن من النحويين من يغلّبُ عليها الحرفية، ويحتج بما حُكي بعـــضُ العربِ أنه قال (ليس الطّيبُ إلاّ المسك) فرفع الطيب والمسك جميعا ، وبما حُكي أنّ بعضَ العرب قد قِيل له (فلان يتهددك) فقال (عليــه رجلا ، ليس) فأتى بالياء وحدها من غير نون الوقاية ، ولـــو كانت فعلا لوجب أن يأتيَ بها كسائر الأفعال " (1) أ.هـ .

وانظر الى استعماله الفعل (يغلّب) في قوله " ومن النحاة من يغلب عليها الحرفية " ولم يقل " يقرر أنها حرف ". إنّ هـــذا دليلٌ على أن هناك ترجيحا بين الحرفية والفعلية ، أو أنها جمعـــت بين الاثنين إلاّ أنّ الحرفيةَ قد غَلَبَتْ عليها . وهذا يدل بالتالى على أنهم قد نظروا إلى أصلها عندما قالوا ذلك وَعَرَفُوا أنها مكونـــةٌ من الحرف (لا) والفعل (أيس) .

هذا من الكوفيين، أما البصريون فرأوا أنها فعل ، ولـــم يقولوا بتغليب الفعلية عليها " بدليل إلحاق الضمائر وتاء التأنيث الساكنة بها ، وهي تعمل في الأسماء المعرفة والنكرة الظاهـــرة والمضمرة كالأفعال المتصرفة " (2) .

وهناك شواهدُ كثيرةٌ ، غير التي ذكرها الكوفيـون نجــــدُ

---

(1) الإنصاف جـ 1 ص ١٠٣ .

(2) الإنصاف جـ 1 ص ١٠٤ .

(ليس) فيها مستعملةٌ استعمالَ الحرفِ حتى إنّك لو استبدلت بهـا حرفاً مثلَ (ما) أو (لا) لم تلحظْ ذلك كالقول الذي أورده سيبويه " ليس خَلَقَ اللهُ مثلَه " [1]. وكقول ابنِ عمرَ رضى اللهُ عنهما : " كان المسلمون حينَ قَدِموا المدينةَ يجتمعون ، فيتحينون الصلاة ، ليس يُنادَى عليهم [2] ،وكقول الشاعر :

هِيَ الشِّفاءُ لِدائي لَوْ ظَفِرتُ بها ** وليسَ منها شِفاءُ النفسِ مبذولُ [3]

وكقول أبى الطيب :

وزائرتي كأنَّ بها حياءً ** فليسَ تزورُ إلاّ في الظَّلامِ [4]

وما ورد في الحماسة

تمنّى لي الموتَ المعجلَ خالدٌ ** ولا خيرَ فيمن ليس يُعْرَفُ حاسِدُهْ [5]

فكلُّ هذه الشواهدِ [6] استعمِلَتْ فيها ليس استعمالَ الحرفِ .

---

(١) الكتاب جـ ١ ص ٣٥ .

(٢) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك ص ١٢٩ . تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبدالباقي دار العروبة بمصر سنة ١٩٥٨ .

(٣) الكتاب جـ ١ ص ٣٦ و ٧٣ وقائله هشام بن عقبة أخو ذي الرمة .

(٤) الديوان : شرح العكبري ط الحلبي ١٩٥٠ جـ ٤ ص ١٤٦ .

(٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي صبيح سنة ١٩٥٥ جـ ١ ص ٢٣٢ .

(٦) عدا بيت المتنبي فهو مثال وليس شاهدا .

ولكنْ ماذا نصنعُ بالأدلةِ التى ذكرها البصريون على أن (ليس) فعلٌ ، إذ يتصل بها الضمائرُ وتاءُ التأنيثِ الساكنة وتعمل فى الأسماء ... إلى آخر الأدلة التى ذكروها . ؟

الحقيقة أن اللغويَّ لا يستطيع أن يضع حدا جامعا مانعا لكل ألفاظ اللغة ، بحيث يضعُ كلَّ لفظٍ تحتَ عنوانٍ محددٍ : اسم أو فعلٍ أو حرفٍ ، ذلك أن الحدودَ اللغويةَ إنما وضعت بوجه عام ، ولم تضع فى الحسبان وجودَ كلمةٍ مثل (ليس) ، لها قدرٌ من خصائص الحروف وقدرٌ من خصائص الأفعال . ومن غير الممكن أن نضعَ تعريفا جامعا مانعا لها ولأمثالها ، أي جامعا لها ولأمثالها ، مانعا غيرها من الدخول فى هذا التعريف .

واكتسابُها قدراً من خصائص الحرف وقدراً من خصائص الفعل يرجعُ إلى الأصل فيها ، فهى كما ذكرنا مكونة من حرف (لا) وفعل (أيس) .

وهذا لا يمنع من القول إنَّ الحرفيةَ غَلَبَتْ عليها . ويرى الدكتور مهدي المخزومي أنّ ما يربطها من الفعل بنسب (كالحاق الضمائر وتاء التأنيث الساكنة بها) انما هو " من بقايا استعمالاتها القديمة التى كان لليس فيها ما للفعل من دلالةٍ على حدثٍ واقترانٍ بالدلالة على زمن،وقد فقدت كلَّ هذه الدلالاتِ ، وأصبحتْ فى الاستعمالات المتأخرة ، لا تدلُّ إلاّ على ما تدلُّ عليه (ما) فى النفي "[1] .

---

(١) فى النحو : نقد وتوجيه ص ٢٥٨ ط بيروت ٩٦٤ .

دام

والفعلُ (دام) متصرفٌ وله كثيرٌ من المعاني والاشتقاقات ومضارعُه يدوم ، والمصدرُ دَواما ودَوْما وديمومةً، واستدام الشيء أي استمر دوامُه ، ودامت السماء تديم ديما ، أي استمر مطرهـا . وأرض مُدَيَّمة ومَدِيمة ، أصابها الديم ، والمدام المطر الـداشم و (الخمر) .

والديموم والديمومة الفلاة يدوم السير فيها لبعدهـا ، ودوّم الطائرُ إذا تحرّكَ في طيرانه ، وقيل دوّم الطائر إذا سكّن جناحيه كطيران الحدا ...[1]

فها نحن نرى كثيراً من المعاني والاشتقاقات لهذه المـادة فما بالُ الفعلِ (دام) كفعل ناقص من أخوات (كان) غيرَ متصرفٍ ، فقد جاء فيزمن الماضي ليس غير ، قال الله سبحانه وتعالـى : " وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً "[2].

إن الشواهدَ جميعَها تؤيدُ مجيءَ (دام) في زمن الماضي مسبوقـةً بـ (ما) المصدريةِ الظرفيةِ فـ (مادمت حيا) أصلُـه مدة دوامي حيا ، فحذف الظرف وخلفته (ما) وصلتها ، كما جاء في المصـدر الصريح نحو (جئتك صلاةَ العصـر) و (آتيك قدومَ الحاج)"[3].

---

(١) اللسان هـ ١٥ ص ١٠٨ .

(٢) مريم : ٣١ .

(٣) المغني ص ٤٠٠ فصل (ما) .

و(ما) هذه لها شأنٌ كبيرٌ في تفسيرِ عدمِ تصرّفِ الفعلِ (دام)، ذلك أنّ (ما) المصدريةَ الظرفيةَ لا تدخلُ في الأغلب الأعم إلاّ على الفعلِ الماضي . قال ابنُ عقيل " ومنها — أي من الموصولات الحرفية — (ما) وتكون مصدريةً ظرفيةً نحو (لا أصحبُك ما دمتَ منطلقـاً) ، أي مدةَ دوامِك منطلقاً . وغيرَ ظرفيةٍ نحو (عجبت مما ضربت زيدا) وتُوصل بالماضي كما مثّل وبالمضارع ، نحو (لا أصحبك ما يقوم زيد .... وبالجملة الاسمية نحو (عجبت مما زيد قائم) "(1) .

فمثّل للمصدرية بالماضي والمضارع والجملة الاسمية ، ولم يذكر إلاّ الماضي في المصدريةِ الظرفيةِ ، على أنه قد ذكر ذلك صراحةً عندما قال " وأكثرُ ما توصلُ الظرفيةُ المصدريةُ بالماضي أو بالمضارع المنفي بلم"(2) نحو (لا أصحبُك مالم تضربْ زيدا) ويقل وصلُها بالفعل المضارع الذي ليس منفيا بلم نحو (لا أصحبك ما يقوم زيد) ومنه قول الشاعر :

أُطوّفُ ما أُطوّفُ ثُمَّ آوي
إلى بيتٍ قعيدتُه لَكاعِ(3)

ومن شواهدِ دخولِ (ما) المصدريةِ الظرفيةِ على الفعلِ الماضي

---

(1) شرح ابن عقيل جـ ١ ص ١٣٩ .

(2) وانما كان تعيينه بالمضارع المنفي بلم ، لأنّ (لم) تقلبُ المضارعَ إلى زمنِ الماضي وليس بعيدا عنا قولُ النحاة : لم حرف نفي وجزم وقلب .

(3) شرح ابن عقيل ج ١ ص ١٣٩ والبيت ينسب إلى الحطيئة هو من شواهد ابن عقيل رقم ٢٥ والشاهد رقم ٣٧ لابن هشام في الشذور، وذكره ايضا في آخر باب النداء في أوضح المسالك ج ٢ ص ١٨٠ .

وهو الغالبُ كما قلنا قولُ الله سبحانه وتعالى " إنْ أريدُ إلاّ الإصلاحَ ما استطعتُ "(1) و " فاتّقُوا الله ما استطعتم "(2) .

وقول امرىء القيس :

اجارتنا إنّ الخطوبَ تنوبُ ** وإني مُقيمٌ ما اقامَ عَسيبُ(3) .

فسبق دام بـ (ما) المصدريةِ الظرفيةِ هو الذي أوقف الفعلَ (دام) عند الماضي لا يتجاوزُه إلى غيره من الأزمنة، حتى لو كان المضارعُ مستعملا قليلا أو نادرا . ومنْ هنا لمْ يفرّقِ الصّبانُ بينَ الماضي والمضارعِ والمصدرِ فى استعمالها ناقصةً ، ولعله أيضا نظر إلى بيتِ الحطيئةِ :

أطوّفُ ما أطوّفُ ......

عندما قالَ - أي الصبانُ - " وَلِي بالأقدمينَ ومَنْ وافقَهُم أسوةٌ"(4) لعدم ظهورِ الفرقِ بين قولِكَ : لا أُكلِّمُكَ ما دمتَ عاصيا وقولِكَ : لا أكلمك ما تدوم عاصيا ، بل الصحيحُ عندي أن لها مصدراً أيضا ، بدليل أنهم شرطوا سبق (ما) المصدرية الظرفية عليها ، أو على دام ومن المعلوم أن(ما) المصدريةَ تؤول مع ما بعدها بمصدر ، وأن هذا المصدرَ مصدرُها وقد وقع هذا المصدرُ فى عبارات كثيرين كالشارح

---

(1) هود - ٨٨ .

(2) التغابن - ١٦ .

(3) البيت لامرىء القيس فى الديوان ص ٧١ ، شرح حسن السندوبي ، التجارية الكبرى سنة ١٩٥٣ .

(4) يقصد وافقهم على أن ماضيَها ومضارعَها كليهما مستعملان .

عند قول المصنف كأعْطِ .. الخ[1] ، فلا يقالُ إنَّها مع ما بعدها في تأويل مصدر مقدر لا موجود ، والحكم عليهم بأن ذلك منهم اختراعٌ لِمَا لَمْ يَرِدْ عن العرب جورٌ وسوءُ ظنٍّ ، فإذا قلت : أحبك مدةَ دوامك صالحا ،كان دوام مصدرَ الناقصةِ وصالحا خبره ، مثل : أحبك ما دمت صالحا . والفرق تحكمٌ محضٌ فتدبرْ "[2] .

والصبَّانُ مصيبٌ في كلِّ ما قاله ولكن من الناحية المعنوية ليس غير ، أما مِنْ ناحية الشكل ، أقصد شكلَ الاستعمالِ فإنَّه اقتصر فيه على استعمال الفعل (دام) في حالة الماضي في الأغلب الأعم ، ونادرا ما يستعمل غيره .

---

(١) يقصد عند قول الأشموني شرحا لقول ابن مالك : كأعط ما دمت مصيبا درهما : أي مدة دوامك مصيبا .

(٢) حاشية الصبان على شرح الاشموني ج ١ ص ١٨٩ .

مازال وما انفك وما فتئ وما برح

ويبقى بعد ذلك من أخوات كان : زَالَ وانْفكَّ وفَتِئَ وبَرِحَ
ويجمع بينها ثلاثةُ أمورٍ :

الأول : أنَّ تصرفَها غيرُ كاملٍ فلم يستعملْ منها الأمرُ او المصدرُ.

الثاني : أن كلاً منها لابد أن يسبقه نفيٌ أو شبهُه لفظـــــــا أو تقديرا .

الثالث : أنَّ كلَّ هذه الأفعالِ تعطى معنى واحدا وهو الـــزوال ، أو الذهاب أو المضي أو الترك ، فكأننا عندما نُدْخِلُ عليهـــا حرفَ النفي نطبق القاعدةَ التي تقول " نفيُ النفيِ إثبــاتٌ " ، ومِنْ ثَمَّ فهي تدلُّ على الاستمرار .

فأما الفعلُ الأولُ وهو زال من الزوال وهو الذهاب والاستحالة والاضمحلال . وزاله وازال عنه فارقه . والزائلة كل ذي روح أو متحرك ، فنهايته إلى زوال[(1)] .[(2)]

وأما الفعلُ الثاني انفكَّ بمعنى انفصل ، تقول فككت الشيءَ فانْفَكَّ بمنزلةِ الكتابِ المختوم تَفُكُّ خاتمَه ، كما تفك الحنكيـــن تفصلُ بينهما ، وفكَّ الرهنَ يفكه فكا ، وكلُّ شيءٍ أطلقتَه فقـــد فككتَه ،وفكَّ الأسيرَ فكاً فصله من الأسر . قال تعالى" لم يكنِ الّذيـــنَ

---

(١) القاموس المحيط حـ ٤ ص ٤٠٢ .

(٢) اللسان حـ ١٣ ص ٣٢٣ .

كفروا من أهلِ الكتابِ والمشركين منفكين حتى تأتيهُمُ البيّنةُ[1] . أي منتهين عن كفرهم وهو قولُ مجاهدٍ ، وقال الاخفشُ : منفكين : زائلين عن كفرهم[2] .

وأما الفعل الثالث ففيه لغتانِ ما فتئت وما فتأت أذكره بالكسر والنصب (يقصد الفتح) وما افتأت تميمية ، أي ما برحت وما زالت وفي نوادر الأعراب : فتئت عن الأمر افتأ إذا نسيته وانقدعت[3]

وأما الفعل الرابع الأخير وهو برِحَ برَحاً وبُروحا أي زال ، وبَرِح فلان مكانه أي زال عنه وبرح الأرض فارقها قال تعالى " فلن أبرحَ الأرضَ حتى يأذنَ لي أبي " . وقال تعالى " لَنْ نبرحَ عليه عاكفين[4] " أي لن نزالَ ، وبرح الخفاءُ أي زال . والبارحةُ أي التي زالت ومضت ومنه قولُ العربِ ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ أي بالليلة التي مضت وزالت[5] .

فالأفعالُ الأربعةُ تعطي معنى الزوال والتلاشي والنسيان والمضي والذهاب فإذا أدخلنا على هذه المعاني حرف النفي (ما) دلت على الاستمرار والاتصال كما بينا منذ قليل .

ولقد أثبتنا هذه الافعالَ في بحثنا ، لأن الأمرَ والمصدرَ لم يستعملا منها ، هذا أمر طبعي يستدعيه دخولُ النفي قبلها .

---

(١) البينة — ١ .

(٢) اللسان هـ ١٢ ص ٣٦٣ .

(٣) اللسان هـ ١ ص ١١٤ .

(٤) آية ٩١ سورة طه .

(٥) اللسان هـ ٣ ص ٢٢١ .

فأما عن الأمر فإنّ (لا) الناهيةَ بوجهٍ عام لا تدخلُ عليه ، إذ إنه حينئذ يصبح فعلا مضارعا مجزوما بلا الناهية قبله، نحو العبْ ولا تلعبْ ، وكذلك الحالُ في تلك الأفعال ، فالأمر من زال : زل فاذا أدخلنا (لا) قبل الأمر صار بمثابة نهي وصار الفعل بعدها مضارعا مجزوما بها كقول الشاعر :

صاحِ شمّرْ ولا تزلْ ذاكرَ المو
تِ ، فنسيانُه ضلالٌ مبينُ (1)

أو بقيتْ نافيةً والفعلُ بعدها يكون مضارعا مرفوعا كقول الشاعر :

فقلتُ يمينُ اللهِ أبرحُ قاعدا ولو قطّعوا رأسي لديكِ وأوصالي (2)

أي لا أبرحُ ، وقوله سبحانه وتعالى " تاللهِ تفتؤُ تذكرُ يوسفَ " (3) . أي لا تفتوء . وأما (ما) النافية ، فهي لا تدخل على الأمر .

ولما كان المضارع يضارعُ اسمَ الفاعل جاز استعمالُ اسم الفاعلِ من هذه الأفعال كقول الشاعر :

---

(1) غيرُ معروفٍ قائلُه وهو من شواهد الأشموني : الشاهد رقم ١٧٢ .

(2) القائل امرؤ القيس من قصيدة أولها :
أَلا عِمْ صباحاً أيّها الطّللُ البالي .: وهل يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخالي
وهي في الديوان ص ١٥٨ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ .

(3) يوسف — ٨٥ .

قضى اللهُ يا أسماءُ أنْ لستُ زائلاً
أُحبُّك حتى يُغمضَ الجفنَ مغمضُ (١)

وأما المصدرُ فإنَّ استعمالَه ناقصا ، أي عاملاً عملَ (كان) أمرٌ لم يجرِ الاستعمالُ به ، لأنَّ التركيبَ حينئذٍ لا يسمحُ بذلك والمعنى لا يتأتّى ، ففي البيتِ السابقِ إذا حاولنا استعمالَ المصدرِ للتعبير عن المعنى الذي قصده الشاعرُ نقول : ولا زوالَ لي في حبِّك أو من حبِّك . وواضحٌ ركاكةُ التركيبِ وبُعدُ المعنى المقصودِ .

بل إن (كان) — وهي التي لا يُشترط لاستعمالها ناقصةً سبقُها بنفي أو شبهه — قلما يُستعمل مصدرُها عاملاً عملَها ، وقد جاء ذلك في بيتٍ لم يرددِ النحاةُ غيرَه ولا يُعرَفُ قائلُه وهو :

ببذلٍ وحِلمٍ سادَ في قومه الفتى
وكونُك إياه عليك يسيرُ (٢)

---

(١) القائل الحسين بن مطير بن مكمل وهو الشاهد رقم ١٨٣ من شواهد الأشموني .

(٢) الشاهد رقم ١٨١ من شواهد الأشموني و ٦٤ من شواهد ابن عقيل .

الفصل الثالث

أفعال المقاربة

أفعال المقاربة

وهي كاد وكَرَبَ وأوشك . فأما كاد فهو فعل شبه متصرف ، أي أنّه يأتي على صورةٍ أخرى غير الماضي (كاد) ، وهي (يكاد) ، مع أنّ مِنَ النحاة مَنْ يأخذُ بيتَ كثير عزة :

أموتُ أسىً يومَ الرّجامِ وإنّني
يقيناً لرهنٌ بالذي أنا كائدُ

دليلاً على استعمال اسم الفاعل من (كاد)(1) .

والغالبُ الظنّ أنّ (كائد) هنا ، إنما جاءت لإقامة القافية ولتوفيق حرف الروي ، ثم إنّي برجوعي إلى الديوان(2) وجدت الوصف يروون البيتَ منتهياً بـ (كابد) بالباء ؛ مما ينفي الشاهدَ على استعمالهم اسمَ الفاعل من (كاد)، بل يستعملون الماضيَ والمضارعَ ليس غير ، على أننا لا نستطيع أن نقول إن استعمالَهم الماضيَ أكثرُ من استعمالهم المضارعَ ، ولا العكس أيضا ، بل إنّ هناك شبهَ تساوٍ في الاستعمالين. لقد أحصيتُ الآيات التي ورد فيها الماضي (كاد) فوجدتُها عشرَ آياتٍ(3) ، والآيات التي جاء فيها المضارعُ (يكاد)

---

(1) شرح ابن عقيل جـ ١ ص ٣٣٩ .

(2) ديوان كثير عزة ص ٣٢٠ جمعه وشرحه د. إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٧١ .

(3) هي : من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ١١٧/التوبة ، إنْ كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا ٤٢/ الفرقان، إنْ كانت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها ١٠/ القصص ، فذبحوها وما كادوا يفعلون ٧١/ البقرة ، إنّ القوم استضعفوني وكادوا

أربعَ عشرةَ آيةً[1] .

وقد رأى بعض النحاة أن نفيَ المضارع أي (يكاد) نفـــيٌ ، ولكنَّ نفيَ الماضي (كاد) إثباتٌ بدليل " فذبحوها وما كـــادوا يفعلون[2] " وقوله " لم يكد يراها[3] " مع أنـــه لـــم يـــر شيئـــا

والصحيح أن إثباتَها إثباتٌ ونفيَها نفيٌ ، لأن معناها المقاربة

يقتلونني ١٥٠/ الأعراف ، وإنْ كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ٧٣/ الإسراء ، وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها ٧٦/ الإسراء ، وإنّه لما قام عبد الله يدعوه كـــادوا يكونون عليه لبدا ١٩/ الجن ، لولا أن ثبتناك لقد كـــدت تركن اليهم شيئا قليلا ٧٤/ الإسراء ،قال تالله إنْ كدت لتردين ٥٦/ الصافات .

(١) إنّ الساعةَ آتيةٌ أكاد أُخفيها ١٥/ طه ، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض ٩٠/ مريم ،تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن ٥/ الشورى،تكاد تميز من الغيظ ٨/ الملك ، يكاد البرق يخطـف أبصارهم ٢٠/ البقرة ، يتجرعه ولا يكاد يسيغه ١٧/ ابراهيم ، يكادُ زيتُها يضيءُ ولو لم تمسَسْه نار ٣٥/ النور ،يكاد سنـا برقه يذهب بالأبصار ٤٣/ النور ، أم أنا خير من هذا الذي هـو مهين ولا يكاد يُبين ٥٢/ الزخرف ، وإنْ يكاد الذين كفـروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ٥١/ القلم،فما لهـؤلاء القوم لا يكادون يفقهون قولا ٩٣/ الكهف ،يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا ٧٢/ الحج ، إذا أخرج يده لم يكد يراها ٤٠/ النور .

(٢) من الآ ة ٧١ من سورة البقرة .

(٣) من الآية ٤٠ من سورة النور .

فمعنى (كاد يفعل) قارب الفعل ، ومعنى (ما كاد يفعل)لم يقاربْه فخبرُها منفى دائما - أما إذا كانتْ منفيةً فواضح ؛ لأنـــه إذا انتفت مقاربة الفعل اقتضى عقلا عدم حصوله ، وأما إذا كانـــت المقاربة (منفية) ؛ . فلأن الاخبار بقرب الشيء يقتضى عرفا عـــدم حصوله وإلاّ لم يتّجهِ الإخبارُ بقربه ، فأما قوله تعالى " فذبحوهـا وما كادوا يفعلون " فإنها منفيةٌ مع إثبات الفعل لهم فى قولــه " فذبحوها "[1] .[2]

وربما كان فى هذا ردٌّ على ابن منظور عندما رأى أن (كاد) مجردةً تنبيء عن نفى الفعل،ومقرونةً بالجحد تنبيء عن وقوع الفعل[3] .

وذكر سيبويه أنّ من العرب من يقولُ فى كاد زيد يفعل (كِيدَ زيدٌ يفعلُ وما زِيلَ زيدٌ يفعل ذلك ، يريدون كاد وزال ؛ لأنّهـــم كسروها فى فعل كما كسروها فى فعلت ، حيث أسكنوا العينَ وحولـوا الحركةَ على ما قبلها ولم يُرجعوا حركةَ الفاء إلى الأصل "[4] .

وأورد ابنُ منظور لغةً لبنى عِدِيٍّ فهم يقولون كُدتُ أفعـــل كذا بضم الكاف[5] .

وأما الفعل (أوشك) فقد رأى بعض النحاة أنّ اسمَ الفاعـــل قد استعمل كقول كثير مرة :

---

(١) هكذا فى البرهان والصحة التى يقتضيها سياق الحديث (مثبتة) .

(٢) البرهان جـ ٤ ص ١٣٦ بتصرف وانظر أمالي السيد المرتضى جـ ٢ ، ص ١١ مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ م .

(٣) اللسان جـ ٤ ص ٣٨٦ .

(٤) الكتاب جـ ٢ آخر صفحة ٣٦٠ .

(٥) اللسان جـ ٤ ص ٣٨٦ ، والكتاب جـ ٢ ص ٣٦١ .

لإنّك مُوشِكٌ ألّا تَرَاهـا ＊＊ وتَعدُو دونَ غاضرةِ العَوادي (١)

" وزعمَ الأصمعيُّ أنه لم يُستعملْ (يوشك) إلا بلفظ المضارع ولم تُستعملْ أوشك بلفظ الماضي ، وليس بجيد ، بل قد حكى الخليل استعمال الماضي وقد ورد في الشعر كقوله :

ولو سُئل الناسُ الترابَ لأوشكوا ＊＊ إذا قيلَ هاتُوا أنْ يَمَلُّوا ويَمنَعوا (٢)

وقد رجعتُ إلى كتاب سيبويه في المظان المختلفة للفعل (يوشك) فلم أجدْ حكايةَ الخليل هذه ، بل إنّ سيبويه أنشد الشاهد :

يوشِكُ من فرَّ من منيّتِه ＊＊ في بعضِ غِرّاته يوافقُها (٣)

على أنّ هذا لا ينفي أن العربَ استعملتْ صيغةَ الماضي فبالإضافة إلى الشاهد السابق وجدت ابنَ جني يُنشدُ :

إذا المرءُ لَمْ يخشَ الكريهةَ أوشكتْ
حِبالُ الهُوَينَى بالفتى أن تَقَطَّعا (٤)

---

(١) الديوان ص ٢٢٠ .

(٢) الشاهد رقم ٨٩ من شواهد ابن عقيل ج١ ص ٣٢٢ والنص في ج١ ص ٣٢٨ وهو من شواهد العيني على هامش خزانة الأدب ج ٢ ص ١٨٣ ولم يعزه إلى أحد وفي أمالي الزجاجي ص ١٢٦ ط القاهرة سنة ١٣٨٢ .

(٣) الكتاب ج ١ ص ٤٧٩ والبيت من شواهد العيني ج ٢ ص ١٨٧ وقائله أمية بن أبي الصلت الثقفي من شعراء الجاهلية .

(٤) الخصائص ج ٢ ص ٥٣ وفي المفضليات القصيدة الثانية ص ٣٢ تحقيق أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ . وقائلة الكلحبة العرني .

وإذا كان الاختلافُ في (كاد) و (أوشك) يأتيهما من حيث التصريفُ ، فإنّ (كَرَبَ) لم يختلفْ فيها أحدٌ من حيث إنّها تأتي بلفظ الماضي ، اللهم إلاّ ما ذكره السيوطي " وحكى قومٌ اسمَ الفاعل من كرب "[1] وواضحٌ أنّهُ قولٌ مبهمٌ لا يعتدُّ به ، فهو لم يذكرْ من هؤلاءِ القومُ ولم يأتِ بشاهدٍ على ذلك .

وكَرَبَ لم تجيءْ إلاّ على هذه الصورة ليس غيرها فلم يُستعمل منها المضارعُ ، كما استُعمل مع (كاد) و (أوشك) وهي قليلة الاستعمال ، بل إنّها نادرة الاستعمال ، والمستعمل الشائع من أفعال المقاربة (كاد) ، ولم تأت شواهدُ على (كرب) إلاّ شاهدان .

١ — كَرَبَ القلبُ من جواه يذوبُ
حينَ قالَ الوشاةُ هندٌ غضوبُ[2]

٢ — سقاها ذوو الأحلامِ سَجْلاً على الظمَا
وقد كَرَبَتْ أعناقُها أنْ تقطّعا[3]

ولم ينشدْ سيبويه شاهدا عليها ، قال " وأما (كاد) فإنهم لا يذكرون فيها (أنْ) وكذلك (كرب يفعل) ومعناهما واحد، يقولون كرب يفعل وكاد يفعل ، ولا يذكرون الأسماءَ في موضع هذه الافعال"، أي لا يكون خبرُها مفردا . (الكتاب ٤٧٨/١) .

---

(١) الهمع ج١ ص١٢٩ .

(٢) الشاهد رقم ٩١ في ابن عقيل ج ١ ص ٣٣٥ ، والشاهد رقم ٢٤٢ في الاشموني ج ١ ص ٥٠٩ والإمام العيني ج ٢ ص ١٨٩ وقائله رجل من طيئ ، ويقال قائله كلحبة اليربوعي .

(٣) الشاهد رقم ٩٢ في ابن عقيل ج ١ ص ٣٣٥ ، ورقم ٢٤١ في الاشموني ج ١ ص ٥٠٧ ، والعيني ج ٢ ص ١٩٣ وقائله ابو زيد الأسلمي .

ومثارُ العجَبِ في (كرب) أنّ من معانيها التي وردت في اللسان ما يدل على الغَمّ والحزن والضيق ، وهذه المعاني بعيدةٌ كلَّ البعدِ عن المقاربة ، فيذكرُ ابنُ منظور أنّ الكَرْبَ : الحزن والغم وجمعه كروب ، وكَرَبَهُ الغمُّ اشتدَّ عليه ،فهو مكروب وكريب وكارب ، وقيد مكروب اذا كان ضيقا ، وكلُّ شديد العَقْدِ من حبلٍ أو بناء فهو كَرِبٌ .

ثم يذكر أيضا أنّ من معانيها المقاربة فيقال كَرَبَ الأمرُ يَكْرب كُرُوباً : دنا ، وكل شيء دنا فقد كَرَبَ وكربتِ الشمس للمغيب دنت ، وفي الحديث فاذا استغنى أو كَرَبَ استعفَّ ، قال أبو عبيدة : كرب أي دنا من ذلك وقرب ، ثم يأتي ببعض المعاني التي ترجع إلى القرب نحو إناء كَرْبان اذا كَرَبَ ، أي قارَبَ أن يمتلىء ،وكربُ النخلِ أي أصولُ السعفِ الغلاظ العراض التي تيبست،وسميت كذلك لأنه استُغنِيَ عنها وقاربت القطع [(١)] .

فما العلاقة إذاً بين كرب التي تدل على الضيق والشدة وبينها الدالةِ على القُرب ؟ لعلّ أوّلَ ما يجول في خاطر الباحث أن العلاقة تكمن في اللفظ وليس هناك علاقةٌ معنويةٌ ، فكلمة (قرب) هي نفسها (كرب) بعد ابدال القافِ كافاً ، ولا يمنع أيضا أن يكون الأصل هو الفعل (قَرُبَ) المتصرف تصرفا كاملا ، ثم إنّه لنطق معين أو لاستعمال فردي أو لجماعة أو لقبيلة معينة خفّفوا القافَ فصارت كافاً ، لأن الحَرْفَيْنِ من مخرجين متقاربين ، فمخرج الكاف من الحنك الطري أو الحنك اللين Velar ، ومخرج القاف من اللهاة

---

(١) اللسان جـ ٢ ص٢٠٦ .

أي هو صوت لهوي uvular نسبة الى اللهاة وهو الجـــــزء الصغير اللين الذي يتدلى من الحافة الخلفية للحنك اللين ، أي هـــو صوت خلفي طبقي postvelar [1] .

ويدل على ذلك أيضا أن ابن سيده ذكر تحت عنوان القـــرب [2] الفعل قَرُبَ قُرْبا وقُرْبانا ، وذكر معه أيضا الفعل كرب : كـــرب الأمر يَكْرُبُ كروبا أي دنا " .

وهذا يماثل الفعل (حرى) أيضا فالسببُ في عدم تصرفـــه — كما نظن — أنه مأخوذ من الاسم (حَرِيٌّ) ، وليس أصلا في وضعه .

---

(1) Fundamental Problems of Phonetics; by J.c; catford, p.143 Indian University Press 1982.

وانظر أيضا

A Dictionary of Theoretical Linguistics, by M.El Khuli, p. 250 & 222 Librairie du Liban 1982.

(٢) المخصص لابن سيده ، جـ ١٢ ص ٦٠ ط بولاق ١٣١٩ هـ .

الفصل الرابع

المـــال المشـــروع

أفعال الشروع

ومن الأفعال الناسخة غير المتصرفة أيضا أفعالُ الشروع ، ونلاحظ أنّها كثيرةٌ ، والمستعملُ منها قليلٌ ، فهي شرع وأنشأ وطَفِقَ وأخذ وعلق وهبَّ وجعل وهلهل . ومن النحاة من زاد عليهما قام وقعد.(1) وجميع هذه الأفعال غير متصرفة ، فهي ملازمةٌ لصورة الماضي ،(2) وذلك إذا استعملناها للشروع ، أما إذا استُعملتْ لغير الشروع فهي متصرفةٌ .

وهي ـ لغير الشروع ـ لها معانٍ متعددةٌ ، مما يجعلنا نقولُ إنها استُعملت للشروع نقلا وليس ارتجالا . وهذا القول ليس بِدْعاً ، فالنقلُ والارتجالُ متحققان في ظاهرتين لغويتين أخريَيْن :

الأولى : العَلَمُ ، فهناك العلم المرتجل ، أي الذي وضع أصلا وفي أول أمره علما ، ولم يَسْبِقْ له أن استُعمل استعمالاً آخرَ غيرَ العَلَمِيّةِ مثل عثمان وسعاد وغطفان . وهناك العَلَمُ المنقول عن شيء سبق استعماله فيه قبل العلمية ، وذلك المنقول عنه قد يكون مصدرا مثل (فضل) أو اسم عين مثل (أسد) ...(3) .

---

(1) همع الهوامع ج1 ص ١٢٨ .

(2) السابق ج1 ص ١٢٩ وقد نقل السيوطي عن بعض النحاة (حكاياتهم) عن استعمال صورٍ أُخرى لهذه الأفعال كاستعمال المضارع من (طفق) ومن (جعل) ، وهي نُقولٌ لا يُعتدُّ بها لعدم اقترانهما بشواهد . وانظر شرح ابن عقيل ج1 ص ٣٤١ .

(3) انظر شرح الاشموني ج1 ص ١٣٧ وشرح التصريح على التوضيح ج 1 ص ١١٥ وهمع الهوامع ج1 ص ٧١ .

الثانية : أسماءُ الأفعال ، فمنها المرتجلةُ مثلُ آمين وهيهات وشتان ، ومنها المنقولةُ عن أحرف الجرّ مثل إليك وعليك أو عن الظروف نحو أمامك وبعدك[1] .

هذان هما النقلُ والارتجالُ في العَلَم وفي أسماء الأفعال فماذا عنهما في هذه الأفعال ؟ إنَّ لكلّ فعلٍ من هذه الأفعال استعمالاتٍ كثيرةً تدلُّ على أنه قد وُضع أصلاً لها ، ثم إنَّه قد نُقل بعد ذلك لكي يُستعملَ للشروع ، يدلُّ على ذلك أنَّ شواهدَ استعمال هذه الافعال للشروع نادرةٌ ، بل إنَّها معدومة بالنسبة لبعضها بعكس الشواهد التي تدل على معانٍ أخرى .

فالفعل (جعل) مثلا يُدْخِلُهُ النُّحاةُ في باب (ظن وأخواتها) التي تنصب مفعولين ليس أصلُهما المبتدأَ والخبرَ ، فهو من افعال القلوب سواء أكانت تدل على اليقين والقطع أم تدل على الرجحان، كقوله تعالى : " وَجَعَلُوا الملائكةَ الذينَ هُمْ عِبادُ الرحمنِ إناثا "[2] وهو ايضا من أفعال التحويل أو التصيير كقوله تعالى : " الذي جعلَ لَكُمُ الأَرضَ فراشًا والسماءَ بناءً "[3] . هذا إلى استعماله فعلاً بمعنى أوجد أو خلق كقوله تعالى " تبارك الذي جعل في السماء بروجا "[4] .

وقد جاء له الزركشي بسبعة معانٍ هي :

---

(١) همع الهوامع جـ٢ ص١٠٥ ، ولم نتعرضْ لهاتيْن الظاهرتين (العلم وأسماء الافعال) بالتفصيل لانهما ليستا موضوعَ بحثنا ، وكلُّ ما نريده أن نستدلَّ بهما على القول بأن أفعال الشروع منقولة .

(٢) آية ١٩ من سورة الزخرف .

(٣) آية ٢٢ من سورة البقرة .

(٤) آية ٦١ من سورة الفرقان .

١ — بمعنى (سمى) كقوله تعالى " الذينَ جَعلوا القُرآنَ عِضِينَ "[١] .

٢ — بمعنى الخلق والاختراع كقوله تعالى: " وجعلَ الظلماتِ والنورَ "[٢] .

٣ — "المقاربة[٣] ولم يأت الزركشي بشاهد بل قال " نحو جعل يفعل كذا " .

٤ — بمعنى النقل من حال إلى حال ، وللتصيير كقوله تعالى : " جَاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً[٤] ، " واللهُ جَعَلَ لكُمْ الأرضَ بِساطاً[٥] " .

٥ — بمعنى الاعتقاد كقوله تعالى " وجعلوا للهِ شُركاءَ الجِنَّ "[٦] .

٦ — بمعنى الحكم بالشيء على الشيء يكون في الحق والباطل فالحق كقوله :
" إنّا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلينَ[٧] " والباطل كقوله : " وجعلوا للهِ مِمّا ذَرَأَ من الحرث "[٨] .

---

(١) آية ٩١ من سورة الحجر .

(٢) الآية الاولى من سورة الأنعام .

(٣) يقصد بالمقاربة (الشروع) ، لأن من النحاة من يضع المقاربة والرجاء والشروع تحت عنوانٍ واحدٍ وهو (المقاربة) .

(٤) آية ١ من سورة فاطر .

(٥) آية ١٩ من سورة نوح .

(٦) آية ١٠٠ من سورة الأنعام .

(٧) آية ٧ من سورة القصص .

(٨) آية ١٣٦ من سورة الأنعام .

٧ — بمعنى (ألقى) كقوله تعالى " ويجعلَ الخبيثَ بعضَه على بعضٍ "(1) وكقوله تعالى : " وألقى فيها رواسيَ "(2) ، أي ألقى بدليل قوله فى الآية الأخرى التى عدَّل فيها المرادَ بخلق الجبال وابيان إنعامه فقال " وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم "(3) ، (4) .

فإذا ما انتقلنا إلى استعمال هذا الفعل للشروع وجدناه مقصورا على الماضى ليس غير ، ووجدناه أيضا — وهذا ما يدعو للعجب — لا شاهدَ له إلاّ ما ذكره ابنُ هشام فى الشذور وفى أوضح المسالك وكذلك الأشمونى فى شرحه على الألفية (5) .

وَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا قُمْتُ يُثْقِلُنِي

ثوبي فأنهضُ نهضَ الشاربِ السَّكِرِ (6)

وكذلك ما ذكره الشيخُ محمد محيى الدين فى تحقيقه على شرح الأشمونى :

وقد جعلتُ إذا ما حاجةٌ عَرَضَتْ

بباب دارك أدلُوهـا بأقـوام (6)

---

(1) آية ٣٧ من سورة الأنفال .

(2) آية ٣ من سورة الرعد .

(3) آية ١٥ من سورة النحل

(4) البرهان فى علوم القرآن صفحات ١٢٩ — ١٣٤ بتصريف . جـ ٤ .

(5) أوضح المسالك ، الشاهد رقم ١٢٠ ص ٤٨ تحقيق محمدمحيى الدين. ط السعادة ١٩٤٩ وشرح الأشمونى جـ ١ ص ٢٤٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٢٣ .

(6) شرح الأشمونى هامش ص ٥١٥ من الجزء الأول .

بالإضافة إلى أنّ البيتَ الأوّلَ فيه اختلافٌ في الرواية ، فمن النحاة من يرويه :

وقد جعلتُ إذا ما قمت يُوجِعُني

ظهري فقمتُ قيام الشارب السكر

وفيه أيضا اختلافٌ في نسبته إلى قائله ،فمنهم من ينسبه إلى أبي حية النمري ومعه بيتٌ آخرُ ليس غير ، ومنهم ينسبه الى عمرو بن أحمر الباهلي ومعه أربعةُ أبياتٍ أخرَ (١) .

هذه الاختلافاتُ تثير الشكَّ في هذا البيت ، وليس معنى ذلك أننا ننفي استعمالَ الفعلِ (جعل) للشروع ، بل نقولُ إنَّ استعمالَه قليلٌ بل نادرٌ .

وقد ذكر ناظمُ الألفيةِ هذا الفعلَ وغيرَه من أفعال الشروع دون شاهد قال :

" كأنشأَ السائقَ يحدُو وطفِق

كذا جَعَلْت وأخَذْت وعلِق "

ولم يأتِ ابنُ عقيلٍ بهذا الشاهدِ ولا بغيره ، بل قال " وذلك نحو أنشأ السائق يحدو ، وطفق زيد يدعو ، وجعل يتكلم ، وأخذ ينظم وعلق يفعل كذا " (٢) .

---

(١) الشيخ محمد محيي الدين في تحقيقه شرح الأشموني على الألفية ص ١٢٥ من الجزء الاول .

(٢) شرح ابن عقيل ج١ ص ٣٣٧ .

وسيبويه أيضا لم يأتِ بشاهدٍ على (جعل) عندما ذكــر أنَّ خبرَها لابد أنْ يكون جملةً فعليةً دون (أن) . قال " ومثلــه ـ أي مثل كاد وكرب ... (جعل يقول) لا تذكر الاسمَ ههنا ومثلـــه أخذ يقول .. "[1] .

وقد ذكر الزركشي شواهدَ لكلِّ استعمالاتِ (جعل) عدا استعمالَه كفعلٍ من أفعال الشروع[2] .

أفلا يحق لنا بعد ذلك أنْ نقول إن استعمالَ جعل كفعل مـن أفعال الشروع إنما كان نقلا وليس ارتجالا ؛ أي أنَّ الشروعَ لـــم يكن أصلاً في استعمالها ، بل نُقلت هي إليه ، يقوي هذا القـــول أنَّ الزركشي يُعدُّها من أمهات الأحداث فيقول عنها :

" ومن ذلك (جعل) وهي أحد الأفعالِ المشتركة التي هي أمهات الأحداث وهي فعل وعمل وجعل وطفق وأنشأ وأقبل "[3] .

وما قلناه في (جعل) نقوله في (أخذ) ،فهو كفعلٍ غيـــرِ متصرفٍ مستعملٍ للشروع ـ منقولٌ عن الفعل (أخذ) المتصرفِ ذي المعاني العديدة فمن معانيه :

١ ـ عاقب : كقوله تعالى : " وكذَلِكَ أَخْذُ ربِّك إذَا أَخَذَ القُـرى وهيَ ظالمةٌ ، إنَّ أخذَه أليمٌ شديدٌ "[4] .

---

(١) الكتاب جـ ١ ص ٤٧٨ .

(٢) البرهان في علوم القرآن جـ ٤ ص ١٢٨ .

(٣) السابق جـ ٤ ص ١٢٨ .

(٤) آية ١٠٢ من سورة هود .

٢ — اعمل : كقوله تعالى " خذوا ما آتيناكم بقوة "[1] .

٣ — وتجيء قبل القسم نحو " وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ الذين أُوتُوا الكتابَ لتُبيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتُمونَهُ "[2] ،[3] .

ويذكر الزركشي أنها تأتي للمقاربة أيضا ، ولا يذكر شاهداً على ذلك،بل يقول " أخذ يفعل كذا "[4] [5] .

وإذا كنا قد تلمَّسْنا شاهدا أو اثنين على الفعل (جعل) فاننا لم نجدْ شواهدَ للفعل (أخذ) كفعلٍ من أفعال الشروع إلاّ ما أنشده الشيخُ محمد محيي الدين :

فأخذتُ أسألُ والرسومُ تُجيبني ** إلاَّ اعتبارَ إجابةٍ وسؤالِ[6]

مع ملاحظة أن الاستعمال الحديث قد هجر كل أفعال الشروع عدا هذا الفعل .

وما قلناه في جعل وأخذ ، نقوله في باقي الأفعال عدا طفق . ولولا الإطالة لتناولنا باقي الأفعال فعلا فعلا وبيَّنا معانيها ثم نقلها إلى معنى الشروع . على أنه لابد أن نذكر أن (علق) لها شاهدٌ واحدٌ هو :

أَرَاكَ عَلِقْتَ تظْلِمُ من أجرْنا ** وظلمُ الجارِ إذلالُ المجيرِ[6]

---

(١) آية ٦٣ من سورة البقرة .

(٢) آية ١٨٧ من سورة آل عمران .

(٣) البرهان ج٤ ص ١٦٣ و ١٦٤ بتصرف .

(٤) يقصد بالمقاربة : الرجاء والشروع والمقاربة كما بينا من قبل .

(٥) البرهان ج ٤ ص ١٦٤ . (٦) شرح الاشموني ج١ ص ٥١٠ .

ومع ذلك فهو مشكوك فيه ، ولَمْ ينسبْه أحدٌ إلى قائل معين وكذلك الفعل (هب) له شاهد واحد ، هو :

هَبَبْتُ اليومُ القلبَ في طاعةِ الهوى ** فَلَجَّ كأنّي كنتُ باللوم مغرَمَا (1)

وهذا البيتُ أيضا لم ينسبْه أحدٌ إلى قائلٍ معينٍ .

وشاهدُ الفعل (هلهل) كفعل من أفعال الشروع

وَطِئْنا ديار المعتدينَ فهلهلت ** نفوسُهم قبلَ الإماتةِ تَزْهَقُ (2)

و(أنشأ) لها شاهد واحد أيضا :

لَمَّا تَبَيَّنَ ميلُ الكاشحينَ لَكُمْ ** أنشأتُ أُعْرِبُ عمّا كان مكتوبا (3)

كلُّ ذلك يُرينا أنَّ أفعالَ الشروعِ هذه لَمْ تكن موضوعةً أصلا لهذا الاستعمال ، بل إنَّ لها من المعاني الكثيرةِ الأخرى المدَعَّمَةِ بالشواهدِ ما يقوي الظنَّ عندنا أنَّ استعمالَها للشروع كان نقلا وليس أصلا ، ثم إنها عندما استُعملت للشروع لزمت صيغةً واحدةً لا تتعداها ، بعد أن كانت متصرفةً في الاستعمالات الأخرى .

إنّ الفعل (علق) مثلا الذي أوردنا له منذ قليل شاهدا واحدا على استعماله للشروع ــ هذا الفعل مع مشتقاته قد شَقَّق من لسان العربِ ما يزيد على أربع صفحاتٍ تشمل استعمالاتِه المختلفةَ

---

(1) شرح الأشموني ، هامش ص ٥١١ من الجزء الأول .

(2) همع الهوامع جـ ١ ص ١٢٨ .

(3) شرح الأشموني هامش ص ٥١١ من الجزء الأول .

وشواهدها . ونحن نوردُ بعضَ هذه الاستعمالات ملخصةً لنُثبتَ أنَّهـا الأصلُ وأنَّ الشروعَ إنما كان نقلا بعد ذلك .

"علِقَ بالشيء علَقًا وعلِقَه نَشِبَ وهو عالق به، وعلِقَ الصيد في حبالته أي نشب ، يقال للصائد أعَلِقْتَ فأدرِكْ ، أي علِق الصيدُ في حبالتك ، وعَلِقَتْ مراسي الإبل ، أي اطمأنت وقرّتْ عيونُها بالمرتع . وعلِق قلبُه أي أحبَّ . وتعلق بها . وإنه لذو عَلَقٍ بفلانة ، أي ذو شغف بها . والعَلاقُ ما فيه بُلْغةٌ من الطعام إلى وقت الغد ، وعُلْقَةٌ من طعامهم أي بقيّتُه ومنه ليس المُتعلقُ كالمتأنِّق : ليس من عيشه قليل يتعلق به كمن عيشه كثير . والعَلَقُ أكلُ البهائم ورق الشجر . والصبي يَعْلُقُ يمص أصابعَه وعَلِقَتِ الدابةُ إذا شربت الماء"(١) .

فإذا ما أتينا إلى استعماله كفعل من أفعال الشروع لم نجدْ لهذا الاستعمال إلَّا شاهدًا واحدًا غيرَ معروفِ القائل أنشده الأشموني :

أراك علقت تظلم من أجرنا *** وظلم الجار إذلال المجير(٢)

أما الفعل (طفق) فله ميزةٌ خاصةٌ به ، فقد ورد في القرآن الكريم كفعل من أفعال الشروع دون باقي الأفعال ، وقد ورد مرتين، وفي كلتيهما كان بصيغة الماضي لم يتجاوزْها :-

---

(١) لسان العرب مادة علق ج ١٢ ص ١٣٢ ، بتلخيص .

(٢) الشاهد رقم ٢٤٣ في شرح الاشموني ج ١ ص ٥١٠ .

الأولى في قوله تعالى : " وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة[1] " .

الثانية : في قوله تعالى : " فطفق مسحاً بالسوق والأعناق "[2] .

فأما الأولى فواضح فيها أنّ طفق من أفعال الشروع وخبره جملة (يخصفان) ، وأما الثانية فخبرها مفردٌ وهو (مسحا) . ومن النحاة من جعله مصدرا في موقع الحال أي طفق ماسحا ، ومنهم من جعل التقدير (يمسح مسحا) ، أي أن هذا المصدر مفعول مطلق لفعل محذوف ، بذلك تستقيم الجملة الفعلية المقدرة خبرا لطفق[3] .

ومعنى (طَفِقَ) في المعجم (لَزِمَ) ، وطفق يفعل كذا أي لزم يفعل كذا . ونلاحظ أن الفعل (لزم) يعطي المعنى نفسه الذي يعطيه طفق ، كفعل من أفعال الشروع . وليس هناك استعمالاتٌ أخرى جوهريةٌ للفعل طفق عدا ما ذكره صاحبُ اللسان : طفق بفلان أي ظفرَ به[4] . من أجل هذا نستطيع أنْ نقولَ إنّ (طفق) هي للشروع ارتجالا وليس نقلا .

وإذا كانت باقي الأفعالِ ليست مرتجلةً أصلا للشروع ، بل منقولة إليه ، فإنّ هناك شيئاً يستحقُ الذكرَ ، ذلك أننا نستطيع أن نتلمّسَ مبررًا لهذا النقل في معاني بعض هذه الأفعال . فالفعل (شرع) بمعنى اتخذ منهجا كما في الآيات الكريمة : " شرّع لكم

---

(١) آية ١٢١ من سورة طه وآية ٢٢ من سورة الأعراف .

(٢) آية ٣٣ من سورة ص .

(٣) إعراب القرآن للعكبري على هامش حاشية الجلالين ج٤ ص ٢١٤ .

(٤) اللسان مادة طفق ص ٩٥ .

من الدين ما وصّى به نوحا "[1] و " أم لهم شركاءُ شرعوا لهم من الدين مالم يأذنّ به اللهُ[2] " و " ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتّبعْهَا "[3] . ومن هنا يأتى الشروعُ فى الشيء اي البدءُ ، أو اتخاذ المنهج فيه .

ومادة (علق) تدل فى بعض استعمالاتها على البداية أيضا ، يقول الله سبحانه وتعالى " خَلَقَ الإنسانَ من عَلَقٍ "[4] ، والعلق القطعة اليسيرة من الدم الغليظ الذي أصله المنى فينتقل طورا بعد طورٍ فيصير دما غليظا متجمدا ، ثم ينتقل طورا آخر فيصير لحما وهو المضغة .. "[5] . أي أنه بداية الخلق والتكوين والفعل (هب) فى قولنا (هبت الريح) يدل على أن الريح كانت ساكنة ثم بدأت الهبوب .

وبعد ، فهل نستطيع أن نقول بعد هذا العرض لمعانى تلك الأفعال إنّ استعمالها للشروع كان نقلا وليس ارتجالا أو أصلا ، وإنها من أجل ذلك لزمت صيغة واحدة لا تتعداها عندما تستعمل منقولة .

---

(١) آية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) آية ٢١ من سورة الشورى .

(٣) آية ١٨ من سورة الجاثية .

(٤) آية ٢ من سورة العلق .

(٥) حاشية الجمل على الجلالين جـ ٤ ص ٥٦٠ .

الفصل الخامس

أعمال الرجاء

أفعـــال الرجــــاء

وهذا قسمٌ آخرُ من أقسام الأفعال الناسخةِ تتميزُ بعـــــــدم التصرف،ويتكونُ من الأفعال عسى وحرى واخلولق .

أما عسى فأمرُها عجيبٌ ، ذلك أنني باطلاعي على هذه المادة في معاجم اللغةِ لم أجدْ معنى من تلك المعاني يطابق الرجــــاءَ أو يدلُّ عليه أو يقاربُه أو يشابهه ، ففي اللسان والقاموس المحيـــط (١) عَسَا الشيخُ يَعْسُو عَسْواً وعُسُوّاً وعُسِياً وعَساءً أي كَبِرَ مثل عَتِيـــــَ ، يُقالُ للشيخِ إذا وَلّى وكَبِرَ عَتَا يَعْتُو عُتِيّاً ، وعَسَا يَعْسُو مِثْلُه . وَعَسَا النباتُ عَسَاءً وعُسُوّاً غَلُظَ ويَبِسَ . والعاسِي النَّخْـلُ . وعســـى الليلُ اشتدت ظُلْمَتُه .

هذا بالإضافة إلى ذكرهم عسى كفعل من أفعال المقاربـــة (٢) فما العلاقةُ بين تلك المعاني وبين معنى الرجاء في عسى ؟ الواقـع أننا أمامَ أحدِ احتمالين للإجابة عن هذا السؤال :

الأول : أن نتلمَّسَ العلاقةَ بشيء من التلطف وحســن الصنعـــة ذلك أن عسا الشيخ وعسى عسى بمعنى كبر ، أي بلغ النهاية ، أو قاربها .

والفعلُ نفسُه مسندا إلى النبات يكون بمعنى غَلُظَ ويبـــس أي بلغَ النهايةَ أو قاربَها ، وبالنسبة لليل ، أي اشتدت الظلمةُ أي

---

(١) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٣ القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦٤ .

(٢) يُطلق القدماءُ على أفعال المقاربة والرجاء والشروع جميعـــا : أفعال المقاربة .

بلغ الذروة بعد أن انتهى النهارُ . فهل معنى هذا أن (عسا) أو (عسى) تعني بلوغ الغايةِ أو قربَها ؟ ويكون في ذلك شبه بالرجاء ، وهو أيضا يدل على بلوغ الغاية أو مقاربةِ بُلوغِها .

ولو اننا نملكُ من أدوات البحث ما يمكّننا من معرفة الاستعمالات المختلفة لهذا الفعلِ وتطورِها وترتيبها التاريخي الأول ، لو أننا نملك ذلك لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنا إنّ هذه الاستعمالاتِ تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة من حيث المعنى .

هذا هو الاحتمال الأوّل ، أما الثاني فأن تكون هذه الكلمة (عسا) أو (عسى) اختصارا لكلمةٍ أكبرَ كانت تستعمل لتلك المعاني جميعا ومنها الرجاء ، ثم اختصرت أو اختزلت على مر العصور حتى أصبحت على صورتها ، يؤيد ذلك نتيجة بحث اللغويين في تطور بنية الكلمة ، فقد وجدوا أنّ الاتجاه في تطور البنية للكلمات نحو الاختصار والاختزال ، لا نحو التكثير أو التضخم ، أي أنّهم شاهدوا أن اللغات في أقدم صورها المعروفة لنا كانت تتضمن كلماتٍ كثيرةَ الحروفِ طويلةَ البِنْية متعددةِ المقاطع ، وأنّ هذه الكلمات بتوالي العصور قد أصبحت قصيرةَ البنيةِ قليلةَ المقاطع ، وقد تم نتيجةَ الميلِ العام لدى الإنسان — في كل شئونه الاجتماعية ومنها اللغة — نحوَ أيسرِ السبلِ وبذلِ أقلّ مجهودٍ . فيقول جسبرسن " ليس هناك أدنى شك في أنّ الاتجاهَ العام لجميع اللغات هو نحو تقصير الصيغ للكلمات (١) وقد برهن على صحة قوله

---

(3) Language, its nature development and Origin. P. 330 London 1964.

بمقارنة صيغ الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية القديمـــة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية بنظائرها في اللغات الأوروبيــة الحديثـــة".[١]

إذنْ فإنّ الاحتمالَ الثانيّ هذا ليس بعيداً، ويؤيده بعضُ أمثلةٍ أُخرى في اللغة، فإنّ (سوف) مثلا يُقال فيها (سف) بحذف الوســط و (سو) بحذف الأخير و (سي) بحذفه وقلب الوسط ياء.[٢]

وربما كانت (كي) اسما مختصرا من (كيف).[٣]

وبعد أخذنا بواحدٍ مِنْ هذين الاحتمالين لكي نعرفَ أصـــلَ (عسى) كفعل من أفعال الرجاء، نجد أن هناك كلماتٍ كثيرةً مشتقـــةً من هذا الفعل وتدل على مرجاء أيضا وذلك نحو " المُعْسِية كمُحْسِنـة وهي الناقة يُشَكُّ أنها لَبِنٌ أوّلا والمِعْسَاةُ الجارية المراهقة التي يظن من رآها أنها توفات ".[٤]

---

(١) من مقال للدكتور إبراهيم أنيس في مجلة مجمع اللغة العربيــة بعنوان : تطور البنية في الكلمة العربية ج ١١ ص ١٦٨. وقـد راجعت أصلَ النصّ الانجليزي لجسبرسن. وهناك طائفة" أخرى من اللغويين يَرَوْنَ العكس"، أي أنّ الجذرَ الأُصلي لكل الكلمات القديمة في نشأتها كان أُحادي المقطع، وأنه تطور بتوالي العصور إلــى ثنائي المقطع وثلاثي المقطع حتى صارت الكلمات على النحـــــو المألوف لنا انّ المقال نفسه ص ١٦٦ ! وقد أورد السيوطي أمثلةً كثيرةً تطبيقاً لهذا الرأي، فذكر أنّ الفعل (تق) أُميـت والحق بالرباعي فاصبح تقتق، وأُميت (شع) واصبح شعشـــع، وأُميت (هط وطه) واصبح طهطاه، وأُميت (فع) واصبح فعفـع. المزهر ج ٢ ص ٤٧.

(٢) المغني ج ١ ص ١٨٥.

(٣) المغني ج ١ ص ٢٤١.

(٤) اللسان ج ١٩ ص ٢٨٣.

فالناقة يُرجى لبنُها ، والفتاةُ يُرجى طُهرُها .

ثم نأتي بعد ذلك الى إسناد المصادر إلى هذا الفعل ، فنجد " أنّ أهلَ الحجاز يُلزمون (عسى) حالتي الإفراد والتذكير سواءً أُسندتْ إلى مؤنثٍ أمْ إلى مذكرٍ، وسواءً أكان ذلك الاسمُ المتقدِّمُ عليها مفرداً أم مثنى أم جمعاً، فيقال زيد عسى أن يقوم، والزيدان عسى أن يقوما، والزيدون عسى أن يقوموا ، وهند عسى أن تقوم والهندان عسى أن تقوما، والهندات عسى أن يقمن ، أما بنو تميم فهم يُغيّرون (عسى) بتغيّر الاسم قبلها ، فتؤنثَ إنْ كان مؤنثا وتُثنى إنْ كان مثنى وتُجمعُ إن كان جمعاً، وتُفردُ إنْ كان مفردا فيُقال مثلا زيد عسى أن يقوم ، والزيدان عَسَيَا أن يقوما والزيدون عَسَوْا أنْ يقوموا وهند عست أن تقوم والهندان عستا أن تقوما والهندات عَسَيْنَ أنْ يقمن ، وجاء التنزيل بإفراد عسى إلاّ آيتين أسندت (عسى) فيهما إلى ضمير رفع ، لأنّه قد فُصل بين اسمها وخبرها بجملة طويلة . والآيتان هما " قال هَلْ عَسَيْتُمْ إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ القتالُ ألاّ تُقاتلُوا "[1] و " فهل عَسَيْتُمْ إنْ تَوَلَّيْتُمْ أنْ تُفْسِدَوا في الأرض "[2]، [3]

ونظن أن لغةَ بني تميمٍ هي الأقدمُ ، فإسناد الفعل إلى ضمير يرجع إلى المسند إليه أمر منطقي ويتماشى مع استعمال الأفعال الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلاّ أنَّ عدمَ تصرّفِ هذا الفعلِ ولزومَه صيغةً واحدةً ، وهي صيغة الماضي ، قد جعله

---

(١) من الاية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(٢) من الاية ٢٢ من سورة محمد .

(٣) اللغة والنحو للدكتور حسن عون ص ٢١٦ بتصرف .

عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الضمائر ، وكانت الذ ثبتت على صورة واحدة - وهي (عسى) - لا يتعداها .

وهناك صورةٌ أخرى لهذا التبسيط في الاستعمال خلال التطور اللغوي تتمثّل في لغة أكلوني البراغيث نحو قاما المحمدان وقاموا المحمدون ، فإنه بتطور الاستعمال أُفرد الفعلُ المتقدّمُ سواءٌ أكان الفاعلُ مفردا أم مثنى أم جمعا .

ويُعَدُّ هذا (١) تطبيقاً لقول اللغويين المحدثين إن عملية التيسير في ظواهر اللغة غير مقصورة على بِنْية الكلمات بل تتناول أمورا كثيرةً بعضُها يرجعُ إلى الأصوات وبعضُها يرجع إلى القواعد وطرق الإسناد ، فالأفعال تتجه في تطورها نحو التخلص من علامات للتعبير عن الشخص (كالمتكلم والمخاطب والغائب) ومن علامات تشير إلى الإفراد والتذكير أو الجمع ومن علامات التأنيث والتذكير " (٢) .

وتذكرنا (عسى) بشيء في التقابل اللغوي له فائدته ، وذلك أن في اللغة الانجليزية أفعالاً يطلق عليها Defective verbs أي الأفعال الناقصة , Can,could,shall,should,will,would,may, might,must,ought to. " والفعلُ الناقصُ هو فعلٌ لا تتوفر له الصيغ التي تتوفر لمعظم الأفعال . ويقابلُ الفعلَ الناقصَ الفعلُ

---

(١) العد الإشارة إلى التخلص من الضمائر عند الإسناد إلى عسى وكذلك التخلص من الضمائر الموجودة في لغة أكلوني البراغيث

(٢) من مقال الدكتور إبراهيم أنيس " تطور البنية في كلمات اللغة العربية مجلة المجمع اللغوي ج ١١ ص ١٦٨ .

التــــــــام . full verb. [(1)]

واختلف النحاة في (عسى) هل هي فعل أو حرف كمــــــــا اختلفوا في (ليس) وقد بينا ذلك من قبل . وما قلناه في (ليس) نقوله في (عسى) مع اختلاف الأسباب . فكلمة ليس ـ كما بينــــا ـ ليست أصلا في وضعها ، بل جاءت عن طريق النحت من لا وأيـــــس ومن ثَمّ جاء اختلافُ النحاةِ في فعليتها أو حرفيتها . أمّا (عسى) فعدمُ معرفة أصلها ـ إلاّ على واحد من الاحتمالين اللذين ذكرتهمـا منذ قليل ـ وعدمُ تصرفها أدّيَا إلى اختلاف النحاة في كونها فعــلا أو حرفا . غير أن هناك شيئا مهما جدا ، ذلك أن اختلاف النحـاة في (عسى) لا محلّ له ولا موضعَ ، فبعض استعمالاتها من واقـــع النصوص اللغوية الموثوق بها تؤيد أنها فعل ، وبعض استعمالاتهــا تؤيد أنها حرف . والسبب في ذلك ـ كما قلت ـ عدم معرفـــة أصلها على وجه اليقين .

فمنَ استعمالها حرفًا ما نصَّ عليه سيبويه " وأما قولهــم (عساك) فالكاف منصوبة . قال الراجز وهو رؤبة :

يَا أَبَتَا عَلَّكَ أَوْ عَسَاكَا

والد والدليل على أنها منصوبة أنك إذا عنيت نفسك كانت علامتك في : قال عمران بن حطان :

وَلِي نفسٌ أقولُ لها إذا ما ** تُنازعُني لعلّي أو عَسَانــي

---

4) A dictionary of Theoretical Linguistics. M.El Kholi. Librairie du Liban. 1982

فلو كانت الكاف مجرورةً لقال (عساي) ولكنهم جعلوها بمنزلة لعلَّ في هذا الموضع . فهذان الحرفان لهما في الإضمار هذه الحال".(1)

وقد نصّ ابنُ هشام على ذلك في المغني حيث قال" يقال: عساي وعساك وعساه وهو قليل وفيه ثلاثة مذاهب".(2)

ثم يذكرُ المذهبَ الأولَ " أنها أجريت مجرى لعل في نصب الاسم ورفع الخبر . كما أجريت لعل مجراها في اقتران خبرها بأن"(3) ثم يأتي ببيت صخر بن جعد :

فَقُلتُ عَسَاها نارُ كاسٍ وعلَّها ** تَشكَّى فآتي نحوها فأعُودُها

دليلاً على أن خبرَها مفردٌ مرفوعٌ وليس جملةً (4) .

ومن استعمالاتِها فعلًا قولُ اللهِ سبحانَه وتعالى " قالَ هَلْ عَسَيْتُم إنْ كُتِبَ عليكمُ القتالُ ألاّ تُقاتِلُوا (5) " وقوله سبحانه " فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيتُم أنْ تُفْسِدوا في الأرضِ وتُقَطِّعُوا أرحامَكم"(6). ومن هذا الاستعمالِ أيضا مجيءُ خبرِها مفردًا وليس جملةً كما في قولهم " عسى الغُوَيْرُ أبؤساً " قال سيبويه فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه (عسى) مجرى (كان) (7) . وكذلك قول الراجز :

---

(1) الكتاب ٣٨٨/١ و ٣٨٩ .

(2) المغني ص ٢٠٣ .

(3) المغني ص ٢٠٣ .

(4) المغني ص ٢٠٤ .

(5) من الآية ٢٤٦ من سورة البقرة .

(6) من الآية ٢٢ من سورة محمد

(7) الكتاب ٤٧٨/١ .

أكثرتَ في اللومِ مُلحًّا دائما ** لا تُكثِرَنْ إنِّي عسيتُ صائما[1]

وقد عدّ ابنُ جني اجراءَ (عسى) مجرى(كان) شاذاً في الاستعمال مطردا في القياس .[2] فأما الاطرادُ في القياس فراجع إلى أن (كان) كذلك وقد قاسوا (عسى) عليها ، وأما الشذوذ في الاستعمال فلأنّ ما ورد في كتب النحو واللغة شاهداً على ذلك لا يتعدى المثلَ والبيتَ .

أما ما حكاه ثعلب (عسى زيدٌ قائمٌ) وما بناه عليه أن (عسى) ناقصةٌ ، وأن اسمَها ضميرُ الشأنِ ، والجملة الاسمية الخبر ،[3] فلا يعتدُّ به ، لأنّ ثعلباً لم يأتِ بشاهد على ذلك ،وأيضا مما يقوي عدمَ الاعتداد بقول ثعلب أنّ القرآنَ الكريم لم يستعملْها على نمط المثال الذي أتى به ثعلب ، بل إنّ استعمال القرآن لها جاء على وجهين :[4]

أحدهما : أن ترفع اسما صريحا ، ويُؤتي بعده بخبر ويلزم كونُه مضارعاً نحو " فعسى اللهُ أن يَأْتِيَ بالفتْح " .[5]

---

(١) المغني ص ٢٠٣ وينسب إلى رؤبة وانظر خزانة الادب للبغدادي ج ٤ ص ٧٧ بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٩٦ .

(٣) المغني ص ٢٠٤ .

(٤) البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن عبد الله الزركشي ج٤ ص ١٦٠ تحقيق محمد أبي الفضل ،دار احياء الكتب العربية ١٩٥٩ .

(٥) المائدة : ٥٢ .

الثاني : أن يكون المرفوعُ بها (أن والفعل) ومنه قولُه تعالى " عسى أن يبعثك ربُّك مقاماً محمودا " [1] .

كان هذا كلُّه عن (عسى) . فماذا عن اخلولق ؟ إن هذا الفعلَ غيرُ متصرفٍ ، ليس ذلك فحسب ، بل إنّه أيضا قليلُ الاستعمالِ بل نادرُه ، حتى ليخيل إلى أنه مصنوع .

وليس ببعيد عنا ما يذكره ابنُ جنى فى مواضع كثيرة من كتبه " كيف تبنى من كذا على مثال كذا ؟ " .

" من ذلك بناؤك مثل فعلول من طويت ، فهذا لابد أن يكون طَوْيُويٌّ ، فإن بدأت بالتغيير من الأول ، فإنك أبدلت الواو الأولى ياءً لوقوع الياءِ بعدَها ... " [2] .

" ومثالُ ذلك (أيضا) قولُك فى مثال (أي فى وزن) أوزة من أويت : أيّاة ، وأصلها أئوية ، فابدالُ الهمزة التى هى فاء واجب ... " [3] .

" ومن ذلك قولُه فى مثال جعفر من الواو أوى وأصلها.." [4] .

فبناءُ فعل (أو كلمة بوجه عام) على وزن من الأوْزان معروف عند العرب حتى لو كانت هذه الكلمةُ المستحدثةُ غيرَ مستعملة عندَهم .

---

(١) الإسراء ، ٧٩ .

(٢) الخصائص جـ ٢ ص ٧ .

(٣) الخصائص جـ ٢ ص ٩ .

(٤) الخصائص جـ ٢ ص ٩ .

ومن ثَمّ جاز لنا أن نقولَ إن الفعلَ (أُخلق) بمعنى بلى، بَنَوْا منه على مثال (افعوعل) فكان الفعلُ اخلولق، ونتذكرُ فى هذا الصدد الفعلَ (أعشب) وبناءَ افعوعل منه فيكون اعشوشب ومثله اغدودن.

والذي يقوى الظنّ فى أن هذا الفعل مصنوع شيئان :

الأول : أن كتبَ الصرف عندما تتعرض للفعل الثلاثي المزيد بثلاثةِ أحرفٍ على وزن (افعوعل) تأتى بمثال عليه الفعل (اغدودن) كاغدودن الشّعر إذا طال ، والفعل اعشوشب كاعشوشب المكان إذا كثر عشبه [(1)] .

يقول سيبويه " ولا يفصل بين العينين (يقصد عين الكلمة عندما تتكرر) إلاّ فى هذا الموضع ولا يكون الفصل إلاّ بواو "[(2)] ثم يأتى بمثال على ذلك فيقول " وذلك قولُك اغدودن ومغدودن واحلولى ومحلولى "[(3)] ولم يأت باخلولق ، مع أن سيبويه معروف باستقصائه الواسع .

الثاني : أننى لم أجد ــ فيما اطلعت عليه من كتب النحو واللغة[(4)] ــ شاهدا على استعمال اخلولق فعلا من أفعال الرجاء

---

(1) المزهر ج ٢ ص ٤١ وشذا العرف ص ٣٩ وشرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٩٨ والنحو الوافى ج ٤ ص ٥٦٦ .

(٢) الكتاب ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٤) انظر مثلا الكتاب ج١ ص ٤٧٧ وحاشية الصبان على الأشموني ج١ ص ٢٠٩ والمكتبة التجارية بمصر وهمع الهوامع ج١ ص ١٢٨ وشرح التصريح ج١ ص ٢٠٦ . وشرح ابن عقيل ج١ ص ٢٨٤ وشرح الكافية للرضى الاستراباذي ج٢ ص ٣٠٤ نظارة المعارف باستنبول .

بل إنّ المثالَ الوحيدَ المكرّرَ في كل ما اطلعت عليه هو (اخلولقت السماءُ أن تمطر) .

ويبدو أنَّ هذا المثالَ له علاقةٌ بالمثال الذي ورد في لسان العرب[1] (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتفقت جوانبه وصار خليقا بالمطر ، فربما كان هذا المثالُ مفسرا لاستعماله عند النحاة وليس عند عامة العرب كفعل من أفعال الرجاء ، ذلك أنّ (اخلولق السحاب) يدلُّ على أنَّ المطرَ آتٍ ، والماء كما هو معلوم معقد الرجاء عند العرب ومبعث الأمل فيهم .

والفعل (حرى) مثل الفعل اخلولق ، غير مستعمل وربما كان ذلك بسبب عدم تصرفه ، فنحن نستعمل أحرى كما نستعمل أخلق وقد ورد الاثنان معا في قول شوقي :

يا نيلُ أنتَ بطيبِ ما نَعَتَ الهُدَى ** وبمِدحةِ التوراةِ أحرى أخلقُ[2]

وورد (أخلق) أيضا في قوله :

أمّا العتابُ فبالأحبةِ أخلقُ ** والحبُّ يُصلِحُ بالعتاب ويَصدُقُ[3]

---

(١) اللسان ج ١ ص ٨٨ .

(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٧٢ .

(٣) الشوقيات ج ١ ص ١٦١ .

وقد ورد في اللسان أيضا " الحَرِيُّ : الخليق وتثنى وتُجمع وتؤنث فيقالُ حَرِيّان وحريُّونَ وحريَّتانِ وحريَّات ، ومن (أحر به) اشتُق التَّحري في الأشياء ونحوها ، وهو طلب ما هو أحرى بالاستعمال أي أولى وأجدرُ وأحقُّ ، ومنه قولُ الله سبحانه وتعالى : " فمن أَسْلَمَ فأُولئِكَ تحرَّوا رَشَدا " (١) . قال ثعلب : حَرِيٌّ أنْ ينالَ الخيرَ كلَّه (٢).

وقد بحثت عن شاهدٍ يؤيد قولَ ثعلب بأن (حرى) فعل ماض غير متصرف ، فلم أجد إلاّ بيتا منسوبا للأعشى ميمون .

إنْ يُقلْ هنَّ من بني عبدِ شمسٍ ** فَحَرَى أنْ يكونَ ذاك وكانا

وهذا الشاهدُ لم يأتِ به أحدٌ إلاّ ابنُ هشامٍ (٣) . ولكنني لم أجدْه في ديوان الأعشى (٤) . هذا بالإضافة إلى أنّ محققَ شذور الذهب الشيخَ محمد محيي الدين يقول تعليقا على هذا البيت "وأيضا فبعد تسليم ثبوته لا يكون نصا فيما زعمه المؤلف لجواز أن يكون حَرِيٌّ اسما منونا أيضا ، وهو خبر مقدم و(أن يكون) في تأويل مصدر وهو مبتدأ مؤخر ... والحاصل أن النفسَ غيرُ مطمئنة إلى الاستدلال بهذا البيت " (٥) .

---

(١) من الآية ١٤ من سورة الجن .

(٢) اللسان جـ ١٠ ص ١٨٧ .

(٣) شذور الذهب ص ٢٦٨ . المطبعة التجارية الكبرى ١٩٠٦ م .

(٤) ديوان الأعشى تحقيق د. محمد حسين ط بيروت ١٩٦٨ .

(٥) شذور الذهب هامش ص ٢٦٩ ونلاحظ أن المرحوم الشيخ محمد محيي الدين قد التبس عليه الأمر حين جوز أن تكون (حَرِيٌّ) بالتنوين ذلك أن البيت في هذه الحالة ينكسر عروضيا ولا يستقيم له البحر الخفيف ، إلا إنْ كان نطقها عنده حَرًى .

ونقل صاحبُ اللسان عن ابن برى أنه أورد شاهداً آخر على (حرى) قول لبيد :

من حياة قد سئمنا طولها ** وَحَرِىٌّ طولُ عيش أن يُمل

ولكن (حرى) هنا لابد أن تكون اسما منونا (حَرِىٌّ) حتى يستقيمَ البيتُ على بحر الرمل . ومما يؤيد هذا أننا وجدنا البيتَ فى الديوان وقد استبدلت كلمة (جدير) بكلمة (حرى) .

من حياة قد سئمنا طولها ** وجديرٌ طولُ عيشٍ أن يُمَل (1)

وبعد هذا كلّه من (اخلولق) و (حرى) نُضيفُ أنَّ القرآنَ الكريم لمْ يَسْتعملْ هذين الفعلين إطلاقا ، بالرغم من استعماله الفعل (عسى) كثيرا . وبالرغم من استعماله مادة (خلق) أكثر . وبالرغم من ورود الآية الكريمة " فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا " (2) .

كل ذلك يقوي الظنَّ بأن هذين الفعلين نادرا الاستعمال إن لم يكونا منعدمين تماما ، وأن (اخلولق) بُنيتْ من أخلق كما بُنيت (اعشوشب) من أعشب وأن الفعل (حرى) قد نقل من الاسم حَرِىٌّ وقد نص صاحب اللسان على أن هذا الاسمَ (حَرِىٌّ) غير متصرفٍ أيضا ، فهو ملازمٌ للإفراد والتذكير . قال " فمن قال حَرِىٌّ " لم يغيره عن لفظه فيما زاد عن الواحد وسوّى بين الجنسين " (3) .

---

(1) الديوان بتحقيق الدكتور إحسان عباس ص ١٧٩ ط الكويت .

(2) الآية ١٤ من سورة الجن .

(3) اللسان جـ ١٨ ص ١٨٧ .

الفصل السادس

ألعاب الحروب

تَعَلَّمْ وَهَبْ

هذان الفعلانِ غيرُ متصرفين ، وهما من أفعال القلوب ، فأمّا الأول فوضعه النحاة مع الأفعال التي تدل على اليقين وهي : علم ورأى ووجد ودرى وألفى وجعل و (تَعَلَّم) ،وأما الثاني فوضعه النحاةُ مع الأفعال التي تدل على الرجحان وهي : ظن ، وخال وحسب وزعم وعد وحجا وجعل و (هَبْ). وإنما سُميتْ هذه الأفعالُ بالقلبية ، لأنّ معانيّها قائمةٌ بالقلب"[1] وليس من هذه المعاني الفرحُ والحزنُ كما ذكر صاحبُ النحو الوافي[2] فيما ذكر من باقي المعاني التي سماها الأمورَ النفسية إذ إنّ الفرحَ والحزنَ وباقيَ المشاعرِ النفسية من يأسٍ وكَمَدٍ ولوعة موطنُها الكَبِدُ في الأغلب الاعم عند العرب،فمن ذلك قولُ الشاعر:

وَاكَبِدَا قد تقطّعتْ كَبِدي ✱✱ وفتتتها لواعجُ الكَمَدِ[3]

وقال :

وَلِي كَبِدٌ مَقْروحةٌ مَنْ يبيعُني ✱✱ بها كَبِداً ليستْ بذاتِ قُروحِ

أبَى النّاسُ كلُّ الناسِ لا يشترونَها ✱✱ وَمَنْ يَشْتري ذاعلّةٍ بصحيحِ[4]

---

(١) شرح التصريح على التوضيح جـ ١ ص ٢٤٧ وشرح الأشموني جـ٢ ص ٢ .

(٢) النحو الوافي جـ ٢ ص ٤ هـ ٤ .

(٣) مطلعُ لقصيدة لابن عبد ربه الاندلسي في رثاء والده . العقد الفريد جـ ٣ ص ٢٠٨ ط دار الكتب العلمية ببيروت .

(٤) غير معروف القائل وقد غنتها جارية من المدينة . السابق جـ ٧ ص ٧٦ .

وقال تعالى " لقدْ خلقْنَا الإنسانَ في كَبَدٍ "(1) من باب طرب.. فهو أكبدُ إذا وَجِعَه كَبِدُه وانتفخت، فاتُّسع فيه حتى استُعملَ في كل تعب ومشقة، ومنه اشتُقت المكابدة(2) ومنها أيضا مكابدة أي معاناةُ الأوجاعِ والأحزان والصبر على الضراء.

ولكنَّ المعانيَ القائمةَ بالقلب عند العرب هي المعاني العقلية التي لا دخلَ للحزن فيها، كالفهم والظن واليقين والرجحان والتفقه والاعتقاد، وكلها مركزها القلب عند العرب، فمن ذلك قولُ اللـه سبحانه وتعالى: " أفلا يَتدبَّرون القرآنَ أم على قلوب أقفالُها "(3) وقال تعالى: " ولقد ذَرَأْنا لجهنمَ كثيرا من الجنِّ والأنسِ لهم قلوبٌ لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يُبصرونَ بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها "(4).

وقال تعالى: " إن في ذلك لذكرى لمنْ كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ "(5).

وقد فطن إلى ذلك المستشرق Martimer Howell عندما ترجم فعلَ القلب إلى Mental verb، أي الفعل العقلي، إذ إنّ الكلمة mental هي الـ adj. من mind ولم ينسبْها في

---

(1) البلد — ٤.

(2) الكشاف ج ١ ص ٥٤٥.

(3) محمد — ٢٤.

(4) الاعراف — ١٧٩.

(5) ق — ٣٧.

الترجمة إلى القلب [1] . (مقدمة الكتاب) .

ويخصنا من كل الأفعال القلبية الفعلان تَعَلَّمْ وَهَبْ ، لأنَّ أفعالَ هذا الباب كلّها تتصرف إلا (هب) و (تعلم) فانهما جامدان (يلحد غير متصرفين) ، ولم يُستعمل منهما سوى الأمر ، لا ماض ولا مضارع ولا وصف ولا أمر باللام " [2] .

فأمّا الفعلُ الأولُ وهو (تعلم) فإنه غير متصرف ويبقى في صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعلم) وعلى ذلك فقد ورد قول زهيـــر :

فَقُلْتُ : تعلّم أنَّ للصيدِ غِـرَّةً [3] ... وإلاّ تُضَيِّعْها فإنّك قاتلُه

وقد وَرَدَ في كتب النحو كثيرٌ من الشواهد علـى ذلــك [4] . وتعلّم هنا بمعنى اعلم ، " فإذا قيل لك تَعَلَّمْ أنَّ الامرَ كذا فلا تقل تَعَلَّمْتُ بل عَلِمْتُ [5] " والفرق بين تَعَلَّمَ وَعَلِمَ أن الاولى بمعنى

---

(١) النواسخ الفعلية والحرفية ص ١٢٠ وكتاب المستشرق
هــو A grammer of Classical Arabic Language. India 1883

(٢) المطالع السعيدة للسيوطي ص ٢٤٢ تحقيق د. طاهر حموده ـ الدار الجامعية اسكندرية ١٩٨٣ .

(٣) شرح ديوان زهير . صنعه ابي العباس بن يحيى ثعلب ص ١٣٤ . دار الكتب سنة ١٩٤٤ .

(٤) راجع شرح الاشموني باب (ظن واخواتها) .

(٥) شرح الكافية ج٢ ص ٢٧٧ .

تكلف العلم (١) . والفعلان تعلَّم واعلمْ يدخلان في دائرة الأمور العقلية التي تحدثنا عنها منذ قليل . ويبدو أن بعض القبائل العربية كانت تستعمل فعلَ الامر تعلم مكان أعلم ولايزال السعوديون يقولون : أُعلِّمك . ولا يقصدون بها التعليم أو التدريس مثلا بل يقصدون معنى أعرفك أو أُعلِمُكَ .

وأما الفعل الثاني وهو (هبّ) . فمقصور استعمالُه على الأمر أيضا . على أن يكون معناه (ظُنّ) .

وقال الأصمعي : تقول العرب هبني ذلك . أي احسبني واعدوني . وقال : ولا يقال هب في الواجب (الماضي) قد وهبتك . كما يقال ذرني ودعني ولا يقال قد وذرتك .

على أنّ ابنَ الأعرابي قد حكى الماضي من هذا الفعل فقال وهبني الله فداك أي جعلني . ووُهِبْتُ فداك أي جُعِلْتُ فداك (٢) .

ولا يعتدُّ بحكاية ابنِ الأعرابي . وقد وضع الأشموني هذه الحكاية شاهداً على أن (وهب) من أفعال التصيير :

جعل واتخذ وتخذ ووهب وترك ... (٣) .

أما فعل الأمر (هَبْ) بمعنى أَعْطِ أو أَنْعِمْ فهو متصرف يستعمل ماضيه ومضارعه قال تعالى " وَوَهَبْنا له إسحق " (٤) .

وقال " يَهَبُ لمن يشاءُ إناثا ويَهَبُ لمن يشاء الذكورَ " (٥) . وقال " وَهَبْ لنا من لَدُنك رحْمة " (٦) .

---

(١) شرح الكافية ج٢ ص ٢٧٧ بتصرف .
(٢) اللسان مادة وهب ج ٢ ص ٢٠٥ .
(٣) شرح الاشموني ج٢ ص ٢٣ .
(٤) الانعام ٨٤ .
(٥) الشورى ٤٩ .
(٦) آل عمران ٨ .

الفصل السابع

أفعال المدح والذم

(١) نِعْمَ وبِئْسَ

استعمل العربُ (ما افعلَه) و (افعلْ به) كصيغتين للتعجب،واستعملوا للمدح نعم وحبذا،وللذم بئس ولا حبذا وهذه ليست صيغا يُقاس عليها ، كما هو الحال في التعجب ، بل هي كلمات بعينها لا تتغير .

وأول ما يلفت نظرَ الباحث أنّ المعانيَ التى تدور حولها مادة (نعم) تدلُّ على الجمال والدعة والنعمة والترف،وكلُّ هذه المعانى موافقةٌ لاستعمالها كأسلوب للمدح .

كذلك الحالُ في (بئس)،تدور معانيها حَوْلَ البئوس والشدة والضِّيق والعذاب ، وكلُّها معانٍ متوافقةٌ مع الذم .

فأما نِعْمَ فقد ورد في اللسان :

" النعيمُ والنُّعْمَى والنَّعماءُ والنِّعمة كلُّه الخَفْضُ والدَّعةُ والمال، وهو ضد البأساءِ والبؤسِ . قال تعالى ، ثم لتُسألُنَّ يومئذٍ عن النعيم[1] " أي تُسألون يوم القيامة عن كل ما استمتعتم به في الدنيا . وقال جلّ شأنه " وأسبغَ عليكم نعمَه[2] " . ومنها نِعمةُ العيش ونَعامه وجمعها نَعامات ونعائم ونُعام . والنعمة كذلك اليَدُ البيضاءُ الصالحةُ ، والصنيعة والمنة ، وما أُنعم به عليك . وكَلامٌ مُنَعَّمٌ وناعِمٌ[3] " .

---

(١) آية ٨ من سورة التكاثر .

(٢) آية ٢٠ من سورة لقمان .

(٣) اللسان مادة نعم ج ١٦ ص٥٧ بتصرف وتلخيص .

فهذه هي المعاني السائدة لمادة (ن ع م)[1] .

وأما (بئس) فقد ورد في اللسان :

" البَأْسُ : العذابُ والشِّدَّةُ في الحرب،والبأساءُ اسم الحرب والمَشَقَّةِ والضرب . قال ابنُ سيده : البَأْسُ الحرب ثم كَثُر حتى قيل لا بأسَ عليك أي لا خوف . والبؤسُ الشدّةُ والفقرُ . وبَئِسَ الرجلُ يَبْأَسُ بُؤْساً وبَأْساً إذا افتقرَ واشتدتْ حاجتُه فهو بائس أي فقير وقوله تعالى : " فأخذناهم بالبَأساءِ والضَّرَّاءِ "[2] . قال الزجاج البأساء الجوع ، والضراء في الأموال والأنفس . وبَؤُسَ يَبْؤُسُ بأساً إذا كان شديدَ البأس شُجاعا فهو بَئِسٌ وبئيسٌ ، ومنه قوله تعالى " سَتُدْعَوْنَ إلى قَوْمٍ أُولِي بأسٍ شديدٍ "[3] [4] .

فهنا نحن نرى أنّ مادةَ (ن ع م) تدور كلُّها حولَ النعيم والدعة وسعة العيش ومادة (ب أ س) تدور حول الشدة والضيق والفقر والعذاب . وفي هذا مبررٌ كافٍ لأنْ نقولَ إنَّ نعم وبئس منقولان من الفعلين (نَعِمَ) و (بَئِسَ) وهذا النقلُ هو سببُ عدم التصرف في نعم وبئس وبقائهما على صورة واحدة . يقول صاحبُ اللسانِ في نصٍّ يدلُ على ملكته اللغوية الممتازة :

---

(١) ورد في اللسان من المعاني القليلة الاستعمال لكلمة (نعمة) أنها تُطلقُ أيضا على الجلدة التي تغطي الدماغ . والنعامة من الفرس دماغُه ، والنَّعامةُ باطن القدم ، والنَّعامة أيضا جماعة قوم، وتُطلق على الطريق .

(٢) ٤٢ ــ الأنعام .

(٣) ١٦ ــ الفتح .

(٤) اللسان مادة ب أ س جـ٧ ص ٣١٧ .

" . وبئس كلمة ذمّ ونعم كلمة مدح تقول بئس الرجل زيدٌ ، وبئست المرأة هندٌ وهما فعلان ماضيان لا يتصرفان لأنهما أزيلا عن موضوعهما فنعم منقول من قولك (نعم فلان) إذا أصاب نعمة ، وبئس منقول من (بئس فلان) إذا أصاب بؤسا ، فنُقلا إلى المدح والذم فشابها الحروف فلم يتصرفا (1) " .

وأما ما ذكره خالد الأزهري أنّ عدمَ تصرفهما راجعٌ إلى خروجهما عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان (2) ، فمدفوع بأن من الأفعال الناسخة ما هو متصرف نحو (كان وأصبح) ، مع أنّها خرجت عن طريق الأفعال من الدلالة على الحدث والزمان ، إذ إنّها تدلُّ على الزمن ليس غير .

ولابد أن يختلف البصريون والكوفيون في نِعْمَ وبئس : هل هما اسمان أو فعلان ، ويبدو أن مَرَدّ هذا الاختلاف هو عدمُ التصرف فقد اختلفوا – كما رأينا من قبل – في (ليس) وفي (عسى) وقد نص صاحب اللسان كما – رأينا منذ قليل – على أنهما فعلان ماضيان وهو في ذلك يوافق البصريين .

أما الكوفيون فقد رأَوْا أنّهما اسمان مبتدءان بدليل :

1 – أن حرفَ الجرِّ يدخلُ عليهما ، تقول ما زيدٌ بنعم الرجل ، وحكى بعض الفصحاء " نعمَ السّيرُ على بئس العَيْرُ " وقال أعرابيٌّ بُشّر بمولودة " والله ما هي بنعمَ المولودةُ نصرتها بكاءٌ ، وبرُّها سرقةٌ " .

---

(1) اللسان جـ ٧ ص ٣١٧

(2) شرح التصريح على التوضيح جـ2 ص ٩٢

٢ — وأنهما يقبلان النداء في قولهم " يانعم المولى ونعم النصير " .

٣ — وأنّه لا يحسن اقتران الزمان بهما كسائر الافعال فلا تقول " نعم الرجل أمس " ولا بئس الرجل غدا " .

٤ — وأنهما لا يتصرفان ، والتصرف من خصائص الأفعال . وكان احتجاجُ البصريين على أنهما فعلان :

١ — بأن الضمير المرفوع يتصل بهما على حد اتصاله بالفعل المتصرف ، فتقول " نعما رجلين ، ونعموا رجالا " .

٢ — وبأنهما رفعا المظهر شأنهما في ذلك شأن الفعل المتصرف ، فنقول نعم الرجل وبئس الغلام ، وكذلك رفعا المضمر ، مثل : نعم رجلا زيد .

٣ — وبأن تاء التأنيث الساكنة التي تختص بالفعل الماضي تتصل بهما في قولك (نعمت المرأة) و (بئست الجارية) .

٤ — وبأنهما يُبْنيان على الفتح ، ولو كانا اسمين لما كان لبنائهما وجهٌ ، إذ لاعلة هنا توجب بناءها (١) .

ويستطيع أن تقرأ جدلا طويلا في هدم البصريين أدلة الكوفيين وفي رد الكوفيين عليهم ، مما لا علاقة له اطلاقا بواقع اللغة ولا بأصول هاتين الكلمتين (نعم وبئس) .

ومن الأمور التي لاشك فيها أن أهل البصرة وأهل الكوفة

---

(١) الإنصاف جا ص ٦٦ بتصرف وتلخيص وأنظر أيضا همع الهوامع جـ ٢ ص ٨٤ .

كانوا يعرفون أن هاتين الكلمتين منقولتان من الفعلين نعم وبئس، وأنهما من أجل هذا النقل لزمنا صورةً واحدةً لا يتعديانهـا ، واكتسبا في الوقت نفسه شيئا من خصائص الاسمية التي تظهر في دلائل الكوفيين وشيئا من خصائص الفعلية التي تظهر في دلائل البصريين فهما (أي الكلمتان) ليستا اسمين خالصين ولا فعلين خالصين ، إلا أنّ غَلَبَةَ الفعليةِ واضحةٌ عليهما . يَعْرِفُ البصريون ذلك وكذلك الكوفيون ، ولكنها الخلافات المدرسية ورغبة كل فريق في أن يلبس ثوبا مختلفا عن الآخر وأن يكتسب صفاتٍ خاصةً به ، كلُّ ذلك على حساب الدرس اللغوي والدرس النحوي .

ولم يكن الاختلاف مقصورا على اسمية (نعم) و (بئس) أو فعليتهما ، بل شمل أيضا إعرابَ الاسم الذي بعدهما عندما يكون نكرة . ففي نحو (نعم قوما معشره) الإعرابُ الواضح السهل لـ (قوما) أنه تمييز وبه فُسّر الضمير المستتر في (نعم) . والذي يعربُ فاعلا ، ومفسره مبتدأٌ مؤخرًا[1] ، وخبره الجملة الفعلية قبله : (نعم) والضمير المستتر فيها . هذا هو الإعراب السهل الواضح ، بدليل أن الضمير في (نعم) مستتر وجوبا ، لأنَّ التمييز بعده يفسره .. ومع ذلك فإنّ قوما زعموا أن مفسره مرفوع بنعم وهو الفاعل ولا ضمير فيها ، وقال بعض هؤلاء : إن قوما حال ، وبعضهم إنه تمييز ..[2] .

واختلاف ثالث يتعلق بالجمع بين التمييز والفاعل الظاهر في (نعم) نحو (نعم الرجلُ رجلا زيدٌ) فهناك من أجازه ، وهناك من

---

(١) أي : مفسره يُعرب ...
(٢) شرح ابن عقيل جـ٢ ص ١٦٢ .

مَنَعَهُ ، وهناك من أفتى بأن التمييز إنْ أفاد فائدةً زيادةً على الفاعل جاز الجمعُ بينهما نحو (نعم الرجلُ فارساً زيدٌ) وإلاّ فلاَ ، نحو (نعم الرجلُ رجلاً زيدٌ) ...[1] فهذا يمتنع وذاك يجيز وثالث يقف موقفا وسطا ، وكأنّ الأمرَ قضيةٌ شخصيةٌ ، مع أن ابن عقيل نفسَه يوردُ بيتين لجرير في هذا الموقع يشهدان على جواز الجمع بين التمييز والفاعل الظاهر ، فالأوّل هو /

وَالتَّغْلَبِيُّونَ بِئْسَ الفَحلُ فَحلُهُمُ *** فَحلاً وأُمُّهُمُ زَلاّءُ مِنْطِيقُ[2]

والثاني هو :

تزودْ مِثْلَ زادِ أبيكَ زادا *** فَنِعْمَ الزادُ زادُ أبيكَ زادا[3]

وما بعد نعم وبئس على ثلاثة أقسام .

١ - اسم محلى بالألف واللام ويعرب فاعلا لهما ثم يأتي المخصوص بالمدح أو الذم ، ويُعربُ مبتدأً مؤخراً والجملة الفعلية قبله خبره نحو (نعمَ الرجلُ زيدٌ) .

٢ - مضاف إلى ما فيه ال مثل (نعم عقبى الكرماء) .

---

(١) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٢ .

(٢) شرح ديوان جرير . الشارح محمد اسماعيل الصاوي ص ٣٩٥ . ط: التجارية دون تاريخ .

(٣) شرح ديوان جرير ص ١٣٥ .

٣ - مضمر مفسر بنكرة بعده منصوبة على التمييز نحـــو (نعم القوم معشره)[1] .

والذي نود أنْ نقولَه هنا إنّ القرآنَ الكريمَ قد استعمـــل الأساليب الثلاثة ، فالأول كقوله تعالى : " ثُمّ أضْطرُّهُ إلى عذابِ النّارِ وبِئْسَ المصيرُ "[2] . و " مُتّكِئِينَ فيها على الأرائِكِ نِعْمَ الثّـــوابُ وحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا "[3] والثاني كقوله تعالى : " فنعمَ أجرُ العامليـــنَ "[4] و " فنعم عقبى الدّارِ "[5] والثالث كقوله تعالى : " بِئْسَ للظّالمِيـــنَ بَدَلاً "[6] ولكنّ المخصوصَ بالمدح أو الذم لم يُذكر في القرآن الكريـــم إلاّ في آيةٍ واحدة هي " بِئْسَ الاسْمُ الفُسوقُ بعدَ الإيمانِ "[7] ، فالفسوق هو المخصوص بالذم ، على أنّ من المفسرين من أعربَهُ بدلا من(الاسم) ، لإفادة أنه نسق لنكرره ، وعلى هذا فالمخصوص بالذم محذوف تقديره (هو) "[8] .

---

(١) شرح ابن عقيل جـ٢ ص ١٦٢ .

(٢) البقرة آية ١٢٦ .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) آل عمران اية ١٣٦ .

(٥) الرعد آية ٢٤ .

(٦) الكهف آية ٥٠ .

(٧) الحجرات اية ١١ .

(٨) حاشية الجمل على الجلالين جـ٤ ص ١٨٢ المكتبة التجاريـــــة سنة ١٩٣٣ م .

حبـــذا ولا حبـــذا

كان هذا عن نِعْمَ وبِئْسَ . فماذا عن شَبِيهَيْهما حبذا ولاحبذا .

من الواضح أن (حَبَّذَا) مكونةٌ من الفعل حبَّ واسمِ الإشـــــارة (ذا) . وهذا الفعل غيرُ متصرفٍ في هذا الموضع ليس غير ، فـــلا يقال حبذا ويحبذا واحببذا مثلا . ولكنه جاء متصرفاً في مواضعَ أخرى . يقول ابن منظور : حَبَّ إليّ هذا الشيءُ يَحَبُّ . قال ساعدةُ :

هَجَرَتْ غضوبُ وحَبَّ مَنْ يتجنَّبُ * وعَدَتْ عَوادٍ دونَ وَلْيِكَ تَشْعَبُ[1]

وكثيرٌ من النحاة على أنَّ (حَبَّ) الأصل فيها حَبُبَ بضـــم الباء ، ثم سكنت وأدغمت في الثانية[2] .

ونلاحظ أن (أَحَبَّ) الماضيَ الرباعيَّ أكثرُ استعمالاً من الثلاثي فيقال أحبَّ ويُحِبُّ ومُحِبٌّ ، إلاّ أنَّ اسمَ المفعول من الثلاثي (حبب) وهو محبوب مستعمل بكثرة أيضا . وقد ورد في اللسان " وبناؤه للمجهول حُبَّ الشيء (بضم الحاء) فهو محبوب[3] . قال سيبويه " فإذا قلت محزون ومحبوب جاء على غير أحببت[4] . وقد قال بعضهم حَبَبْتُ فجاء به على القياس[5] " .

---

(١) اللسان مادة حبب ج١ ص ٢٨١ .

(٢) اللسان مادة حبب ج١ ص ٢٨١ .

(٣) السابق .

(٤) يقصد أنهما جاءا على الثلاثي حَزِنَ وحَبَبَ وليس من الربـاعـــي أحبَّ .

(٥) الكتاب ج٢ ص ٢٢٨ أسفل الصفحة .

والمادة كلُّها تدل على كلّ ما هو مستحبٌّ خير لا شر فيه ، فالإحبابُ في الأبلِ كالحِران في الخيل ، وهو أن يَبْرُكَ فلا يثور ، والإحبابُ أيضا البُرءُ من كل مرض ، والحَبُّ الزرع صغيرا كان أم كبيرا واحدته حَبَّة . ويقال للبَرَدِ حَبُّ الغَمامِ وحَبُّ المُزن وحَبُّ قر ، وحَبَّةُ القلب ثمرتُه وسُوَيداؤه . وقال الأزهري هي العَلَقةُ السوداءُ التي تكون داخلَ القلب ، ويقال أصابت فلانةٌ حبةَ قلب فلان إذا شَغَفَتْ قلبَه حُبَّها . وحَبَبُ الفم ما يتجَنَّبُ من بياض الريق على الأسنان ، وحَبَبُ الماء طرائقُه ونفاخاتُه وفقاقيعُه التي تطفو كأنها القوارير . والمَحَبَّةُ والمحبوبة من أسماء مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

ومن ثم جاء التركيب (حبّذا) للمدح والإطراء وكانا متوافقين مع تلك المعاني،و (حبذا) لا يتغير واحد من جزأيها ، فالفعل (حب) لا تتغير صورتُه في هذا التركيب ، كذلك اسمُ الإشارة ملازمٌ للإفراد والتذكير.وفي ذلك يقول سيبويه " وزعم الخليل أن حبذا بمعنى حب الشيء ، ولكن ذا وحب بمنزلة كلمة واحدة نحو (لولا) وهو اسم مرفوع ، كما تقول يا ابن عم ، فالعم مجرور، ألا ترى أنك تقول للمؤنث حبذا ولا تقول حبذة ، لأنه صار مع حب على ما ذكرت لك وصار المذكر هو اللازم ، لأنه كالمثل "[2] .

وفي ذلك يقول جرير غيرَ مُفَرِّقٍ بينَ مذكرٍ أو مؤنث ولا بين مفردٍ أو تثنيةٍ أو جمعٍ :

---

(١) اللسان مادة حبب .

(٢) الكتاب جا ص ٣٠٢ .

يا حَبَّذا جبلُ الرَّيَّان مِنْ جَبَلٍ ** وحبذا ساكنُ الريان مَنْ كَانا
وحبذا نَفَحاتٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ ** تأتيكَ مِنْ قِبَلِ الريانِ أحيانا (١)

وفي ذلك أيضا تقول كثرة :

ألا حَبّذا أهلُ المَلاَ ،غيرَ أنّه ** إذا ذُكِرَتْ مَيٌّ فلا حبّذا هِيَا (٢)

فهذا مصداقٌ لقول سيبويه ان (ذا) تستعمل للمذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع ، إلاّ أنَّ قولَ سيبويه في حبذا غيرُ واضح ، هل يَعدُّها كلمةً واحدةً او كلمتين وهل (ذا) هي التي يقصدها عندما قال " وهو اسم مرفوع (٣) " ؟ أو أنه يقصد (حبذا) كلَّها . إننا بقراءتنا لذلك النصِّ نميلُ إلى أنّه يقصد أنّ (حبذا) كلَّها بمنزلةِ كلمةٍ واحدة،وهو يقصدها أيضا عندما قال " وهو اسم مرفوع (٣) " ثم إنّه يقول " وزعم الخليل ان (حبذا) بمعنى حب الشيء (اي أنهما كلمتان) ولكن .. " فاستعمل سيبويه الحرف (لكن) ليستدرك ، أو ليصحح زعم الخليل ، فقد أكمل بعد ذلك قائلا " .. ولكن ذا وحب بمنزلة كلمة واحدة " (٣) .

وبذلك نجد تعارضا مع ما فهمناه من ذلك النص وبين ما

---

(١) شرح ديوان جرير ص ٥٩٦ .

(٢) قائلته كثرة أم شملة المستقرى في مية صاحبة ذي الرمة . ديوان الحماسة لابي تمام ج٢ ص ٣٤٩ تحقيق محمد عبد المنعم .

(٣) الكتاب ج ٢ ص ٣٠٢ .

أورده ابنُ عقيل فى شرحه على ألفية ابن مالك عندما قال :

" واختلف فى إعرابها - اي إعراب حبذا - فذهب أبو علي الفارسي فى البغداديات وابنُ برهان وابنُ خروف - وزعم أنــــه مذهب سيبويه ، وأنَّ مَنْ نَقَلَ عنهُ غيرَه فقد اخطأ عليه واختــــاره المصنف إلى أنّ (حب) فعل ماض و (ذا) فاعله ، وأما المخصـــوص فجوز أن يكون مبتدأ والجملة قبلَه خبره ، وجوز أن يكون خبـــرا لمبتدأ محذوف وتقديره (هو زيد) أي الممدوح أو المذموم زيـــد ، واختاره المصنف " .(١)

وعلى أية حال فللنحاة فى إعراب مثل (حبذا زيد) وجوه :(٢)

١ - حبَّ فعل وذا فاعل والجملة الفعلية فى محل رفع خبر مقدم (لزيد) الذي هو مبتدأ .

٢ - حبَّ فعل وذا فاعل والجملة الفعلية فى محل رفع خبر، وزيـــد خبر لمبتدأ محذوف أي (هو زيد) .

٣ - (حبذا) اسم وهو مبتدأ و (زيد) خبر .

٤ - (حبذا) اسم وهو خبر مقدم و (زيد) مبتدأ مؤخر .

٥ - (حبذا) كلُّها فعلٌ وزيد فاعل. وهذا أضعف الوجوه .

٦ - حب فعل وذا فاعل وزيد بدل منهما .

---

(١) شرح ابن عقل جـ٢ ص ١٠ .

(٢) انظر همع الهوامع جـ٢ ص ٨٨ الكتاب جـ١ ص ٣٠٢ ، شرح التصريح جـ٢ ص ١٠٠ ، المغني ص ٧٢٥ ، شرح ابن عقيل جـ٢ ص ١٧٠ .

٧ — حب فعل وذا فاعل وزيد عطف بيان .

والذي نظنه صحيحاً ما آره سيبويه أو ما فهمناه من نص سيبويه أنهما كلمة واحدة ، وهي اسم في محل رفع بالابتداء والذي يقوي هذا الظنّ :

١ — أن الكلمتين (حب وذا) جاءتا متصلتين في الكتابة وكان في الإمكان أن يفصل بينهما هكذا حب ذا .

٢ — أن هذا التعليلَ يتوافق مع كون الفعل (حب) غيرَ متصرفٍ في هذا الموقع ليس غير ، ومع كون (ذا) لا يتغير بتغير ما بعده تأنيثاً أو تثنيةً أو جمعاً .

واختلف في النكرة الواقعة بعد المخصوص بالمدح ، فقيل إنها تمييز ، وقيل إنها حال ، على أن هناك من النحاة من وضع تعريفاً ضابطاً لكل من الإعرابين ، فإنْ كانت النكرةُ مشتقةً فهي حال نحو (حبذا زيدٌ راكباً) ، وإنْ كانتْ جامدةً فهي تمييز نحو (حبذا الصبرُ شيمةً) وهي في هذه الحالة تقبل دخول (من) عليها فنقول (حبذا الصبرُ من شيمة) (1) .

ولقد وردت المادة (حبب) في القرآن الكريم مضافة في أشكال متعددة :

١ — حبب : ولكنَّ اللهَ حَبَّبَ إليكمُ الإيمانَ وزَيَّنَهُ في قلوبكم ٧/ الحجرات

---

(١) همع الهوامع ج٢ ص ٨٨ و ٨٩ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٩ .

٢ — أحببت : إنك لا تهدي من أحببت .

٥٦/ القصص

٣ — أحبّ : قال هذا ربي فلما أفَلَ قال لا أحب الآفلين

٧٦/ الأنعام

٤ — يُحِبُّ : إنَّ اللهَ لا يُحب المعتدين ١٩٠/البقرة

٥ — يُحبِبْكم : قل إن كنتم تُحِبُّونَ اللهَ فاتبعوني يُحبِبْكمُ اللـهُ

٣١/ آل عمران

٦ — استحبوا : لا تتّخذوا آباءكم وإخوانكُمْ أولياءَ إن استَحبُّوا الكفرَ على الإيمان ٢٣/ التوبة

٧ — يستَحِبُّون: الذين يستحبون الحياةَ الدُنيا على الآخرة .

٣/ ابراهيم

٨ — يحب : ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله . ١٦٥/البقرة

٩ — أحب : قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ..... أحبَّ إليكم ٢٤/ التوبة

١٠ — أحباؤه : وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحباؤه

١٨/المائدة

١١ — مَحَبة : وألقيتُ عليك محبةً مني ولِتُصنعَ على عيني .

٣٩/ طه

١٢ — حب : إن اللهَ فالق الحَبِّ والنوى .

٩٥/ الأنعام

١٢ — حبة : مَثَلُ الذينَ يُنفِقونَ أموالهم في سبيلِ اللهِ كَمثلِ حبَّةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ . ٢٦١/ البقرة

القرآن اذاً لم يستعمل حبذا ، فإذا أضفنا إلى ذلك نتيجة بحثنا في المعلقات السبع (١) وعرفنا انّ أصحابَ المعلقاتِ لم يستعملوا (حبذا) استطعنا القولَ بأن حبذا ولا حبذا لم يستعملا حتى العصر الإسلامي مروراً بالعصر الجاهلي ، أو على الاقل كان استعمالُهما نادرا ، فربما كانت هناك نصوص لم نقرأها استعملت فيها حبذا أو لاحبذا . ونستطيع القول أيضا بأنّ كلاً من الفعل نِعْمَ والفعل بِئْسَ اقدمُ في الاستعمال من حبذا ولا حبذا

يبقى بعد ذلك من أساليب المدح والذم التي تُستعملُ فيهما الأفعالُ غيرُ المتصرفةِ أسلوبان : الأول بناء الفعل الماضي على فَعُلَ الثاني كلمة ساء .

(١) شرح المعلقات السبع للزوزني صبيح سنة ١٩٦٨ وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . دار المعارف سنة ١٩٨٠ .

١ — فَعُــــــل

فأما الأول وهو بناء الماضي على فَعُل فنلاحظ أن الفعـــــلَ الماضيَ لا يجيء أبداً على هذه الصورة ويكون متصرفا إلاّ للدلالـــــة على غريزة أو طبيعة أو ما أشبه ذلك نحو جَذُرَ فلان بالأمر وخَطُرَ قَدْرُهُ "[1] . وهناك صيغتان أخريان له : الأولى فَعَلَ بفتح العين كضَرَبَ والثانية فعِل بكسرها كشِرب ، غير أنّ هاتين الصيغتيـــــن إذا حولتا إلى (فعُل) بضم العين كانتا للمدح أو الذم نحو " قَضُوَ الرجل وَعلُمَ ــ بضم الضاد واللام ــ بمعنى ما أقضاه وما أعلمَــــه "[2] ويبدو أنّ هذا البناءَ هو الذي جعل الفعلَ غيرَ متصرفٍ إذ إنّه فـــي صيغته الاصلية يتصرف ، فالفعلان (كبر) و (حسن) مثلا متصرفان ولكنهما اذا بنيا على صيغة (فعُل) منعا من التصرف وخصصا معنويا للمدح أو الـــذم ، فمن ذلك قوله تعالى " نِعْمَ الثَّوابُ وحَسُنت مرتفقا "[3] و " كبُــرتْ كلمةً تخرجُ من أفواهِهم "[4] .

ومن النحاة من ألحق هذه الصيغة بنعم وبئس كصاحب الالفية حيثُ يقولُ :

واجْعَلْ كبئس ساءَ واجعل فَعُــلا ** من ذي ثلاثة كنِعْمَ مُسْجَــلا[5]

---

(١) شرح الكافية ج٢ ص٣٠٨ وانظر أيضا تكملة في تصريـــف الأفعال حررها الشيخ محيي الدين بعد تحقيقه شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٩٩ .

(٢) شرح ابن عقيل ج٢ ص ٥٥٩ (تكملة الشيخ محيي الدين) .

(٣) الكهف آية ٣١ .

(٤) الكهف آية ٥ .

(٥) شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٦٨ .

وتَبِعَهُ في ذلك شارحُ الألفيةِ ابنُ عقيل في قوله " واشار بقوله " واجعل فعلا " إلى أنّ كلّ فعلٍ ثلاثيٍّ يجوزُ أنْ يُبنى منه فِعْلٌ على فَعُلَ بقصد المدح أو الذم (١) .

ومنهم من جعلها في أسلوب التعجب كصاحب شرح التصريح على التوضيح حيث يقول" وزادَ بعضُهم في التعجب صيغةً ثالثةً وهي فَعُلَ بضم العين نحو " كبُرت كلمةً " (٢) ، وكذلك ابنُ جني الذي عدَّ هذه الصيغةَ (فَعُلَ) هي الأصل لصيغة التعجب (ما أفعله) يقول :

" وكذلك نعتقدُ نحنُ أيضا في الفعلِ المبني منه فعل التعجب أنه قد نُقِلَ من فَعَل وفعِل إلى فعُل ، حتى صارت له صفةُ التمكن والتقدم ، ثم بُني منه الفعل ، فقيل (ما أفعلَه) نحو (ما أشعَرَهُ) ، إنما هو من شَعُرَ ، قد حكاها أيضا أبو زيد ، وكذلك ما أقتله وما أكفره هو عندنا من قتُل وكفُر تقديرا ، وإن لمْ يظهرْ في اللفظ استعمالا " (٣) .

وقد نقل شارحُ الكافيةِ هذا المعنى عن ابن جني بنص آخر ويضيف إليه تعليلاً حَسَنًا حيث يقول :

" قيلَ لا يُبنى فعلُ التعجب إلاّ من (فعُل) مضموم العينِ في أصل الوضع أو من المنقول إلى (فعُل) إذا كان من غيره نحو (ما

---

(١) السابق جـ٢ ص ٢٦٨ .

(٢) شرح التصريح جـ٢ ص ٨٩ والاية هي الخامسة من سورة الكهف .

(٣) الخصائص جـ٢ ص ٢٢٥ .

أضرب) و (ما أقتَلَ) ليدلّ بذلك على أن المتعجبَّ منه صار، كالغريزة ،لأن بابَ فعُل موضوعٌ لهذا المعنى "[١] .

وإذا أمعنا النظر في المسألة وجدْنا ألاَّ فرقَ بين جعلهما للمدح أو للذم وبينّ جعلهما للتعجب ، إذ إنهما تفيد المدحوالتعجب منه في آنٍ واحدٍ أو تفيدُ الذمَّ والتعجبّ منه في الوقت نفسه، للمبالغة فيه .

وما بعد (فعُل) ينصب على التمييز ، وهناك من يرفعُه على الفاعلية. يدلّ على ذلك ما أورده الطبري في الآية الكريمة " كبُرت كلمةً تَخْرجُ من أفواههم"[٢] قال"(كلمة) تنصب على البيان ،أي كبُرتْ تلك الكلمةُ كلمةً ، وقرأ الحسنُ ومجاهدٌ ويحيى بن يعمرٌ وابنُ أبي إسحقَ (كلمةٌ) بالرفع ، أي عظُمت كلمةٌ ، يعني قولَهم (اتخذ اللهُ ولدا) ، وعلى هذه القراءة فلا حاجة إلى إضمار "[٣] .

وهو في هذا تابعٌ لقول الفراء " (وقوله) كبرت كلمة تخرج من أفواههم) نصبها أصحابُ عبدالله ورفعها الحسنُ وبعضُ أهلِ المدينةِ ، فمن نصب أضمر في (كبُرت) : كبرت تلك الكلمةُ كلمةً ، ومن رفع لم يضمر شيئا ، كما تقول عظم قولُك وكبر كلامُك "[٤] .

---

(١) شرح الكافية ج٢ ص ٣٠٨ .

(٢) الكهف / ٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للطبري ج١٠ ص ٣٠٣ . دار الكتب بمصر ١٩٤٠ م .

(٤) معاني القرآن لأبي زكريا الفراء ج٢ ص ١٣٤ . تحقيق الأستاذ محمد علي النجار . الدار المصرية للتأليف والترجمة دون تاريخ.

٢ — ساءَ :

وأمّا الثاني فهو استعمالُ ساء كفعلٍ ماضٍ غير متصـــرف كأسلوب للذم، إذ إنّه في غير هذا الأسلوب متصرف . فتقول " ســـاءَ يَسُوءُهُ سَوْءاً وسُوءاً وسَواءَةً سَوَايةً .. واستاء فلان في الصنيع. ويقـــال عندي : ساءه وناءه ويسوءه وَيَنُوءُه وأساءَ الظن "[1] .

وقد استعمل القرآنُ الكريمُ كثيراً من اشتقاقات هـــــذه المادة قال تعالى :

" إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكُم وإنْ أسأتُم فلَها "[2] .

و " يايُّها الَّذينَ آمنُوا لا تسألُوا عن أشياءَ إنْ تبدلكـــــم تسؤكم "[3] .

و " ولمّا أن جاءتْ رسلُنا لوطا سِيءَ بِهِمْ وضاقَ بهم ذَرْعاً "[4] .

و " فانقلَبُوا بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ لم يمْسَسْهم سوءٌ "[5] .

و " ثم كانَ عاقبةَ الذين أساءُوا السُّوأى أن كذَّبوا بآياتِ الله "[6]

و " كلُّ ذلك كانَ سيّئُهُ عند ربِّك مكروهاً "[7] .

---

(١) اللسان مادة سوء .

(٢) الاسراء — ٧ .

(٣) المائدة — ١٠١ .

(٤) العنكبوت — ٣٣ .

(٥) آل عمران — ١٧٤ .

(٦) الروم — ١٠ .

(٧) الاسراء — ٣٨ .

" ولا يَحيقُ المَكْرُ السّيِّءُ إلاّ بأهلِه "(١).

واستعملَ أيضا (ساء) غيرَ المتصرفةِ كثيرا :

قال تعالى :

و " منهم أمةٌ مقتَصِدَةٌ وكثيرٌ منهم ساءَ ما يعملُونَ "(٢).

و " فَصَدُّوا عن سبيلِه ،إنهم ساء ما كانوا يعملون "(٣).

و " ولا تقربوا الزِّنَى إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً "(٤).

و " وأمطرْنا عليهم مَطَراً فساء مطرُ المنْذَرِينَ "(٥).

وساء هذه التى لا تتصرف إلاّ فى أسلوب الذم تُشْبِهُ فى الاستعمال الفعلَ المنفىَّ (لا يكون) فهو متصرفٌ فى كلِّ أحواله ، إلاّ أنَّه إذا استعمل للاستثناء ظل باقياً على صورة المضارع المنفى بلا ، لا بتغيير .

وقد نصَّ كثيرٌ من المفسرين والمعربين على عدم تصرفهما ، يقول العكبري فى الآية " ومن يكنِ الشّيْطانُ له قريناً فساءَ قريناً "(٦) " أي فساءَ هو ، والضميرُ عائدٌ على مَنْ أو على

---

(١) فاطر - ٤٣ .

(٢) المائدة - ٦٦ .

(٣) التوبة - ٩ .

(٤) الإسراء - ٣٢ .

(٥) الشعراء - ١٧٣ .

(٦) النساء - ٣٨ .

الشيطان ، و(قريناً) تمييز ، وساء هنا منقولةٌ إلى باب (نعم وبئس) ففاعلها والمخصوص بعدها بالذم مثل فاعل بئس ومخصوصها ، والتقدير فساء الشيطانُ "[1] .

ويقول أبو عبيدة في الآية نفسها " فساء قريناً ، أي فساء الشيطانُ قريناً ، على هذا نصه "[2] .

وقال الطبري " وإنّما نَصَبَ القرينَ لأنَّ في (ساء) ذكراً للشيطان، كما قال جل ثناؤه " بِئْسَ للظَّالِمِينَ بَدَلاً"[3] وكذلك تفعل العرب في (ساء) ونظائرها"[4].

وقد ذكر محققا التفسير أنَّ أبا جعفر لم يبيّنْ معناها، ولم يذكرْ أنّ أصحابَ العربيةِ يعدونها فعلا (جامداً)[5] يجري مجرى نعم وبئس ، وإنّ كان تفسيرُه قد تضمنَ ذلك[6] .

على أنَّ القُرْطُبيَّ قد ساوى ساء ببئس صراحةً في تفسيره للآية الكريمة عندما قال : " فساء قريناً ، أي فبئس الشيطانُ قريناً ، وهو نصب على التمييز[7] .

---

(١) إملاء ما مَنَّ به الرحمنُ على هامش شرح الجمل على الجلالين ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سركيس الخانجي ١٩٥٤ .

(٣) الكهف - ٥٢ .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ج٨ ص ٣٥٨ تحقيق محمد شاكر واحمد شاكر - دار المعارف دون تاريخ .

(٥) الأنسب أنْ يُقال غير متصرف كما بينا في بداية البحث .

(٦) السابق ج٨ ص ١٣٨ و ١٣٩ (هامش) .

(٧) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي ج٥ ص ١٩٤ دار الكتب ١٩٣٧ .

ولم يَجِئْ في لسان العرب ولا في القاموس المحيط ذكرٌ للفعل (ساء) غيرَ متصرفٍ ، فقد تناول القاموسان ساء وتصرفَهـا واستعمالاتِها وشواهدَ هذه الاستعمالاتِ ولكنهما أغفلا (ساء) فعلاً غيرَ متصرفٍ .

ونرى أن (ساء) في هذه الآيةِ وما شابهها من آياتٍ أخرَ وأساليبَ غيرُ متصرفةٍ ، فلم يرد مثلا فسوء ما ... ، بل إنَّ الأسلوبَ مقصورٌ على الماضي (ساء) ، ويدلُّ على ذلك أيضا شيءٌ آخرُ واضحٌ ويسيرٌ ، وهو اقترانُها بالفاء عندما تقع جوابا للشرط كما في الآية الكريمة التي نحن بصددها " ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا " ومعروفٌ أن الفاءَ تقترن بجواب الشرط إن كانَ فعلاً ماضياً غيرَ متصرف (١) .

---

(١) شرح ابن عقيل حـ ٢ ص ٣٧٥ .

الفصل الثامن

ميكانيزما التعصب

صيغتا التعجب

تَكَادُ تُجمعُ الرواياتُ التي اعتمدَ عليها مؤرخو النحو على أنَّ ابنةَ أبي الأسود الدؤلي قالت له : ما أحسنُ السماءِ (بضم النون) ، فقال : أي بنية نجومُها . فقالت : إني لم أرد أيَّ شيء منها أحسن ، وإنما تعجبت من حسنها ، فقال : إذن فقولي ما أحسنَ السماءَ (بفتح النون) فحينئذ وضع كتابا (١) .

وقيل إنّ ابنةً لأبي الأسود قالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرِّ (بضم الدال) ، في يوم شديد الحر ، فقال لها : إذا كانت الصقعاء من فوقك ، والرمضاء من تحتك ، فقالت : إنما أردت أنّ الحرَّ شديدٌ . فقال لها . فقولي إذنْ ما أشدَّ الحر (بفتح الدال) " والصقعاء الشمس " (٢) .

فإذا عَرَفْنَا أنّ وفاةَ أبي الأسود كانت سنةَ تسعٍ وستين من الهجرة ، أدركنا أنَّ أسلوبي التعجبِ أسلوبان قديمان ، وأنهما كانا محلَّ دراسةِ القدماء منذُ نشأةِ النحو ووضعِ قواعده .

وللتعجب صيغتان : ما أَفْعَلَهُ وأَفْعِلْ به ، وهاتان الصيغتان هما المشهورتان اللتان يأتي ذكرُهما في باب التعجب في كتب النحو ، غير أنّ هناك صيغاً أخرى سماعيةً وقياسيةً ، فمن الأولى (للهِ دَرُّه فارساً)

---

(١) أنباء الرواة على أنباه النحاة للوزير جمال الدين القفطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ج١ ص١٥ دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠ م ونزهة الألباء ص ١٢ .

(٢) انباء الرواة ج١ ص ١٥ .

و (سبحانَ اللهِ) و (للهِ أنتَ) و (باللهِ) و (لله) ، وقولُه تعالى " كيفَ تكفُرونَ باللهِ "[1] . وقولُه تعالى : " عَمَّ يتساءلونَ"[2] وقولُه تعالى : " الحاقةُ ما الحاقةُ "[3] . وأنشد سيبويه :

للهِ يَبقَى على الأيامِ ذو حَيَدٍ ** بِمُشْمَخِرٍ به الظَيّانُ والآسُ[4]

ونجد معنى التعجب موجوداً في قولنا " جلَّ اللهُ وعزَّ اللهُ على معنى ما أجل الله وما أعزه، لا على الخبر بأنه صار جليلا ولا بأنه صار عزيزا، وهكذا عظُم شأنُك ، وعلت منزلتُك إذا لم ترد الخبرَ "[5] .

والثانيةُ بناءُ الثلاثي على (فعُل) بضم العين للمدح أو الذم وفي الوقت نفسه للتعجب[6] ومن ذلك قولُ اللهِ سبحانَه وتعالى " كبُرت كلمةً ... "[7] " وكبُرَ مَقتاً عندَ اللهِ أنْ تقولُوا ما لا تَفعَلُونَ "[8] .

---

(١) البقرة آية ٢٨ .

(٢) النبأ آية ١ .

(٣) الحاقة آية ٢ .

(٤) الكتاب ج ٢ ص ١٤٤ .

(٥) الأشباه والنظائر للسيوطي ج٣ ص ١٤٤ ط حيدر اباد سنة ١٣٥٩هـ

(٦) انظر مثلا شرح ابن عقيل ج١ ص ١٦٨ وهمع الهوامع ج٢ ص ٩٢ وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الازهري ج٢ ص٨٣ و ٨٤ .

(٧) الكهف آية ٥ .

(٨) الصف آية ٣ وقد بينا وزن (فعُل) في الفصل السابق .

وأجاز الكوفيون استعمال (أفعل) دون (ما) فيقولون (أحسنت رجلا) و (أكرمت رجلا) بمعنى (ما أحسنك) (وما أكرمك)[١].

وللنحاة رأى حسن فى تعريف التعجب من الناحية النفسية، فهمْ يَرَوْنَ " أن التعجبَّ استعظامُ زيادةٍ فى وصف الفاعل، خفى سببُها وخرج بها المتعجب منه عن نظائره أو قلَّ نظيره "[٢].

فاذا قلنا " ما أجملَ السماءَ " كان قولُنا تعجباً من الفاعل الذي جعل السماءَ على هذه الصورة من الجمال.

ويرى بعضُهم بأنه انفعال يحدث في النفس عند الشعور بأمر خفى سببه. ولذا يقال اذا ظهر السبب بطل العجب "[٣].

ويترتب على ذلك شيئان:

الأولُ خفاءُ أمرِ الفاعل بالنسبة للمتعجب (بكسر الجيم) فكيف تفسر - على ذلك - قوله سبحانه وتعالى: " فما أصبرَهُم على النّارِ "[٤].

يقول النحاة فى الرد على ذلك " ولا يُطلق على الله أنه متعجِّبٌ، إذ لا يخفى عليه شئ. وما وقع مما ظاهره ذلك فى القرآن فمصروف إلى المخاطب أي أن حالهم فى ذلك اليوم ينبغي لك أيها المخاطب أن تتعجبَّ منها "[٥].

---

(١) شرح التصريح على التوضيح جـ٢ ص ٨٩.

(٢) شرح التصريح على التوضيح جـ٢ ص ٨٦.

(٣) السابق جـ٢ ص ٨٦.

(٤) البقرة آية ١٧٥.

(٥) شرح التصريح جـ٢ ص ٨٧.

الثاني : أن هناك فاعلا جعل الله عظيما فى قولنا (ما أعظم الله) أي " شيء عظيم جعله عظيما ، وهذا لا يليق بمقام الله سبحانه وتعالى ، وقد ردّ ابن الأنباري على ذلك بقوله " معنى قولهم شيء أعظم اللهَ أي وصفه بالعظمة ، كما يقول الرجل ، إذا سمع الأذان : كبرت كبيرا وعظمت تعظيما ، أي وصفته بالكبرياء والعظمة لاصيرته كبيرا عظيما "(١) .

وكعادة البصريين والكوفيين لابد أن يختلفوا فى الصيغة الأولى من التعجب (ما أفعله) هل هى اسم أو فعل ؟

ولقد ذهب الكوفيون إلى أنّ (ما أفعلَه) اسم بدليل :

١ — أنه لا يتصرف ولو كان فعلا لوجب أن يتصرف لأن التصرف من خصائص الأفعال .

٢ — أنه يدخله التصغيرُ قال الشاعر :

ياما أُمَيلح غزلانا شَدَنَّ لنا ** من هاؤ ليائكن الضالِ والسمرِ(٢)

٣ — أن عينه تصح فى نحو " ما أقومَه وما أبيعَه " كما تصحّ العينُ فى الاسم فى " هذا أقومُ منك وأبيعُ منك " .

ولو أنه فعل لوجب أن تُعَلَّ عينُهُ بقلبها ألفا كما قلبت من الفعل فى نحو قام وباع .

---

(١) الإنصاف ج١ ص ٩٤ .

(٢) ينسب هذا البيت إلى العرجي أو لكامل المنتقض ، وهو من شواهد المغنى ص ٨٩٤ ، ومن شواهد السيوطي فى شرحه على شواهد المغنى ص ٣٢٤ وفى شرح المفصل ج٥ ص ١٣ وفى خزانة الأدب ج١ ص ٤٥ وفى الإنصاف ج١ ص ٨١ .

وأورد البصريون دلائل فعليته وهي :

١ — دخولُ نونِ الوقاية عليه إذا وُصل بياء الضمير نحو ما أحسنني عندك .

٢ — أنّهُ ينصب المعارفَ والنكراتِ ، وأفعل إذا كان اسماً لا ينصب إلاّ النكراتِ خاصةً على التمييز نحوُ قولِك (زيد أكبرُ منك سناً) ولو قلت (زيد أكبر منك السنَّ) لم يَجُزْ ، ولمّا جاز ما أكبر السن له دلَّ على أنه فعل .

٣ — أنه مفتوح الآخر ولولا أنه فعلٌ ماضٍ لم يكن لبنائه على الفتح وجه ، إذ لو كان اسماً لارتفع لكونه خبرا لـ (ما) على كلا المذهبين[1] .

وتستطيع أن تقرأ في الإنصاف أدلةً أخرى كثيرةً كما تستطيعُ أنْ تقرأَ معارضةً لكل دليلٍ من هذه الأدلة .

والذي يدعو إلى العجبِ أنَّ النحاةَ الذين أوردوا هذه الدلائلَ على اسمية (ما أفعلَه) أو فعليتها هم أنفسهم الذين عللوا عدم التصرف في (ما أفعله وأفعل به) " لكونه — أي لكون التعجبِ غيرَ محتاجٍ إلى التصريف للزومه طريقةً واحدةً "[2] .

وعلى ذلك فأن أسلوب التعجب له صيغة خاصة لا هي بالفعل ولا هي بالاسم ، بل إنها جمعت من خصائصِ الاثنين ، وتركت أيضا خصائصَ هي من خصائصِ الاثنين .

---

(١) الإنصاف ج١ ص٨١ وما بعدها بتصرف .

(٢) همع الهوامع ج٢ ص٩٠ .

والدكتور تمام حسان كان على حق حينما عدّ هذا الأسلوبَ وما شابهه من أساليب قسماً خاصاً من أقسام الكلام أسماه (الخالفة)[1][2] .

وبغض النظر عن هذا الاصطلاح (الخالفة) فإن ما أفعله وأفعل به لا يدخلان تحتّ جنس الاسم ولا تحت جنس الفعل ، بل هما كما قلت يجمعان خصائصٌ من خصائص الاثنين ، ويتركان أيضا خصائصٌ من خصائص الاثنين، فاستحالا أن يكونا قسما منفردا بنفسه من أقسام الكلام .

وإذا كان النحاة قد اختلفوا في اسمية ما أفعله أو فعليتها، فإنهم قد " أجمعوا على فعلية أفعل به ، لأنه على صيغة لا تكون إلاّ للفعل ، ولفظُه الأمرُ ومعناه الخبرُ"[3] .

إلا أنّهم لابد أن يصلوا الى أصل أفعل به ، فيرَوْنَ أنّ أصلَه فعلٌ ماضٍ صيغتُه على صيغة أفعل بفتح العين وهمزته للصيرورة بمعنى صار ذا كذا. فأصل (أحسن بزيد) أَحْسَنَ زيدٌ ، أي صار ذا حسن ... ثم غيرت الصيغة الماضوية إلى الصيغة الأمرية ، فصار أحسن

---

(١) مثل أسلوب المدح والذم .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها ص١١٣ — ١١ . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣ وانظر أيضا أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة للدكتور فاضل مصطفى الساقي ص ٢٥٣ — ٢٥٥ ط الخانجي بمصر ١٩٧٧ فقد أورد في هذه الصفحات مميزات الخوالف التي تبرر إفرادها بقسم خاص من أقسام الكلام .

(٣) شرح التصريح ج٢ ص ٨٨ .

زيد بالرفع ، فقبح إسناد لفظ صيغة الأمر إلى الاسم الظاهر، لأن صيغة الأمر لا ترفع الاسم الظاهر ، فزيدت الباء في الفاعل ليصير على صورة المفعول به المجرور بالباء ، كامرر بزيد ، ولذلك القبح التزمت زيادتها صونا للفظ عن الاستقباح ، بخلاف زيادة الباء في فاعل الفعل الماضي نحو (كفى بالله شهيدا) فيجوز تركها "(١) .

وهذا كله من تصورات النحويين التى لا علاقة لها بالواقع اللغوي ، فالعربى عندما نطق بأسلوب التعجب (أحسِنْ بزيدٍ) أو عندما قرأ الآية الكريمة (أسْمِعْ بهم وأبْصِرْ)(٢) لم يكن يدري أن أصله كذا ثم تحول الى كذا ثم زيدت الباء حتى لا يكون المرفوع بكلمة (أفعل) اسما ظاهرا ...

ولعل فى هذا تذكيرا بالنحو التحويلي الذي يفترض بنيةً أساسية يُرَجَّعُ إليها لكل تعبير تنطق به أو تسمعه(٣) .

أما عدم التصرف فى أسلوب التعجب فقد أبدينا منذ قليل تأييدَنا لتعليل النحاة " لكونه غيرَ محتاجٍ إلى التصرف للزومه طريقةً واحدة ، إذ معنى التعجب لا يختلفُ باختلاف الأزمنة "(٤) .

---

(١) يقصد أنها ترفع المضمَرَ نحو اكتب ،واقرأ ، والفاعل في كليهما ضمير مستتر وجوبا تقديره أنت .

(٢) شرح التصريح جـ٢ ص ٨ .

(٣) آية ٣٥ من سورة مريم .

(٤) انظر كتابنا " فى علم اللغة التقابلي ، دراسة تطبيقية " ص ٣٧ وما بعدها دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ١٩٨٤ .

(٥) الهمع جـ٢ ص ٩٠ .

على أن هناك تعليلاً آخر مقبولاً لعدم التصرف فقد قالوا "إنهم لمّا لم يضعوا للتعجب حرفاً يدلُّ عليه جعلوا له صيغة لا تختلف" [1].

ويقول الشيخ خالد في هذا المعنى " وعلّة جمودهما [2]، تضمينهما معنى حرف التعجب الذي كان يستحق الوضع ولم يوضع" [3].

وهو يقصد أنّ الحرف (على) مثلا بمعنى الاستعلاء والمصاحبة والمجاورة والتعليل ... والحرف (في) بمعنى الظرفية والمصاحبة والاستعلاء .... إلى آخر ما ذكر ابنُ هشام في المغني في الجزء الأول [4] ولكنْ ليس هناك حرفٌ يدلّ على ما يدل عليه أسلوبا: (ما أفعله) و (أفعل به)، لذلك لزما صيغة واحدة لا يتعديانها، كالحرف تماما .

وقد تكلمنا عن ليس وعسى من حيث عدمُ تصرفهما، إلاّ أنّهما يفترقان عن أسلوب التعجب في بعض نقاط أوردها صاحبُ الإنصاف في مجال آخر . هذه النقاط هي :

أولا : أن (ليس) و (عسى) يرفعان الظاهر والمضمر، و (أفعل) في التعجب إنّما يرفع المضمر دون الظاهر .

ثانيا : أن (ليس) و (عسى) وُصلا بضمائر المتكلمين

---

(١) الانصاف جا ص ٨٧ .

(٢) يقصد عدم تصرفهما .

(٣) شرح التصريح ج٢ ص ٨٨ .

(٤) انظر مغني اللبيب حرف (في) ص ٢٢٣، حرف على ص ١٨٩ .

والمخاطبين والغائبين مثل لست ولستم وليسوا وعسيت وعسيتم وعسوا ، و (أفعل) فى التعجب ألزم ضمير الغيبة لا غير .

ثالثا : أن ليس وعسى لا مصدر لهما من لفظهما ، بخلاف (أفعل) فى التعجب فان له مصدرا من لفظه .

وقد نقلنا هذه النقاط بتصرف عن صاحب الإنصاف ، هى تدل على نظرٍ ثاقب فى استعمال ليس وعسى من ناحية واستعمال صيغتي التعجب من ناحية أخرى ، بالرغم من ورود هذه النقاط فى مجال أقربَ إلى السفسطة اللغوية منه إلى الواقع اللغوي [1] .

وعدم تصرف ما أفعله وأفعل به له علاقة وثيقة باستعمال (كان) بين (ما) و (أفعل) ، التى قال عنها النحاة انها زائدة ، وهى زائدة من ناحية الإعراب ، ولكنها ليست زائدة من حيث المعنى ، [2] ذلك أن صيغتى التعجب بعدم تصرفهما ولزومهما صورة واحدة لا يدلان على زمن معين ، أو قل إنّ الدلالةَ فيهما على الزمن دلالة باهتة غير واضحة مما أدى إلى اختلاف النحاة فيهما [3] .

---

(١) هذا المجال هو الرد على الكوفيين فى استنادهم إلى أنّ (ما أفعله) اسم بدليل تصغيرها فى بيت الشعر

يا ما أميلح غزلانا ... السابق روايته منذ قليل .

وعندي أن الضرورة الشعرية هى التى ألجأت الشاعر الى تصغير أملح حتى يستقيم البيت على البحر البسيط (الإنصاف ١ : ٩١)

(٢) قد يبدو هذا غريبا ، لان المعنى يؤثر فى الإعراب ، ولا ينفصلان ولكن النحاة يقولون عن (كان) فى مثل " ما كان أحسن زيدا " كان فعل ماض زائد ، أي انه يدل على المضى ولكن الزيادة من حيث عدم وجود اسم أو خبر له .

(٣) الهمع جـ٢ ص ٩١ .

فمنهم من يرى أن صيغتي التعجب تدلان على الماضي المتصل بالحال، ومنهم من يرى أنهما تدلان على الحال دون المضي ، ومنهم من يجمع بين الأزمنة الثلاثة فيرى أنهما يدلان على الحال والماضي والاستقبال . من أجل هذا استعملوا (كان) وكلمات أخرى لتحديد الزمن . فإذا أُريدَ الماضي المنقطعُ أتى بكان وأمس ،وإذا أريد الحال أتى بالآن ، وإذا أريد الاستقبال أتى بيكون ونحوه من الظروف المستقبلة كقوله تعالى :[1]

" أسْمِعْ بِهِم وأبصِرْ يَوْمَ يأتُونَنَا " .[2]

لقد وضع النحاةُ شروطا للفعل الذي يصاغ على (ما أفعله) أو (أفعل به) وهي شروط مبنية على استقراء ورود هاتين الصيغتين في كلام العرب والرجوع الى الأفعال التي بنيت عليها هاتان الصيغتان .

فلا بد أن يكون الفعل ثلاثيا متصرفا تاما مثبتا مبنيا للمعلوم ليس الوصف منه على أفعل ....[3] .

أما كونهما لا يجيئان إلاّ من الثلاثي ، فهذا وضعٌ من أوضاع اللغة لا تعليل له إلاّ بعدم إمكان أن نأتيَ بصيغتي التعجب من الرباعي أو الخماسي أو السداسي فلا تقول (ما انطلق أو انطلق به) لأنّ كلاًّ من (ما أفعله) و (أفعل به) إنما يتكون من الفاء

---

(١) السابق ج٢ ص ٩١ .

(٢) آية ٣٨ من سورة مريم .

(٣) انظر مثلا شرح ابن عقيل ج٢ ص ١٥٤ ،وشرح التصريح ج٢ ص ٩١ وشذا العرف ص ٨٠ ، وهي الشروط نفسها لصياغة الفعل على اسم (أفعل) للتفضيل .

والعين واللام ليس غير ، فلا يجيء على صيغتهما إلاّ ما كان ثلاثيا ، ولا يجوز التعجبُ هنا إلاّ بزيادةٍ ، مثل : ما أكثر انطلاق زيد .

ولا بدّ أن يكونَ هذا الثلاثيُّ متصرفا حتى يتشكل على هاتين الصيغتين : ما أفعله ، وأفعل به ، إذ لو كانَ غيرَ متصرفٍ للزم صورةً واحدة لا يتعداها .

وأما كونُ هذا الثلاثي المتصرف مبنيا للمعلوم فيرجعُ إلى سبب دقيق يذكره السيوطي في الأشباه والنظائر عندما يسأل : كيف تتعجبُ من ضُرِبَ زيدٌ (بضم الضاد) ، فيجيب : ما أكثرَ ما ضُرِبَ زيد ، فإذا قيل : ولماذا لَمْ يُتَعَجَّبْ من المفعول (وهو زيد) بلا وسادة ، (ويقصد بالوسادة زيادةَ كلمةٍ أو أكثر) ، كما جاز التعجب من الفاعل بلا زيادة في مثل قولنا : قام زيد ؟ كان الجواب : لأن التعجب يكون الفعل فيه لازما ، فإذا قيلَ أخرِجْهُ إلى باب التعجب ، جعلنا الفاعلَ مفعولاً به ، كما تقول قام زيد ، وما أقوم زيدا ، فإذا جئنا إلى ما لم يُسَمَّ فاعلُه لم يجز أن نتعجب منه حتى نزيد في الكلام ، لأنه لا فاعل فيه (١) ، ولا نستطيع أن نتعجب من المفعول ، لأننا بذلك نجعل المفعولَ قبل التعجب مفعولاً بعده " (٢) .

وقد أورد ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك تعليلا آخرَ لذلك ، يقول : " السابع (أي السابع من هذه الشروط) ألاّ يكون مبنياً للمفعول نحو (ضُرِب زيد) بضم الضاد ، فلا تقول ما أضرَبَ

---

(١) في الأشباه والنظائر "لأنه فاعل فيه " والصحيح ما أثبتناه وهو الذي يوافق السياق ، والظاهر أن (لا) سقطت سهوا عند الطبع .

(٢) الأشباه والنظائر ج٣ ص ١٢٨ بتلخيص وتصرف .

زيدا " تريد التعجب من ضَرْبٍ أُوقِعَ به ، لئلاّ يلتبس بالتعجب من ضربٍ أوقعه هو "[1] .

" أما قولهم في التعجب من (جُنَّ زيد) (ما أجنَّه) فهو محمولٌ إلى المعنى فاستجازوا فيه ما استجازوا فيما حُمل عليه ، ألا ترى أنَّ (جُنَّ زيدٌ) فهو مجنونٌ داخلٌ في خبر الأوصاف التي لا تكون أعمالاً وإنّما تكونُ خصالاً في الموصوفين بغير اختيار مثل كرم فهو كريم ولؤم فهو لئيم ، خصال لا يفعلها الموصوف ، فهكذا جُنَّ زيدٌ فهو مجنون إنما هي خصلة في الموصوف لا اختيار له فيها "[2] .

أما عدمُ تعجبهم من الأفعال الدالة على الألوان بلا زيادة فيقول الخليل معللا لذلك " لم يقولوا ما أحمر زيدا وما أشبهه ؟ لأنه صار عندهم بمنزلة اليد والرجل ، لأنك لا تقول (ما أيداه) ولا (ما أرجله) وخالف باب الثلاثي لهذه العلة "[3] .

وأما عدم ورود هاتين الصيغتين لما لا يقبل المفاضلة مثل (مات) و(فني) ونحوهما ، فراجع الى عدم وجود مزية فيهما لشيء على شيء[4] .

لم يبق إلاّ النفي، ومن الأمور الواضحة أن الانسان لا يتعجب من شيء منفي لم يحدث .

وصيغة (أفعل به) جاءت على صورة الأمر ومقصود بها

---

(١) شرح عقيل جـ٢ ص ١٥٤ .

(٢) الاشباه والنظائر جـ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ .

(٣) السابق جـ٢ ص ١٤٠ .

(٤) شرح ابن عقيل جـ٢ ص ١٥٤ .

التعجب . وقد أورد السيوطي فى الأشباه والنظائر القاعدة التي تقول :

" الأصل مطابقةُ المعنى للفظ " ومِنْ ثَمَّ قالَ الكوفيون : إنَّ معنى أفعل به فى التعجب أمرٌ كلفظه . وأما البصريون فقالوا إنَّ معناه التعجب لا الأمر. وأجابوا عن القاعدة بأن هذا الأصلَ قد تُرك فى مواضعَ عديدةٍ ، فليكن متروكاً هنا " .

والتمس ابنُ النحاسِ مبررا لترك هذا الأصل فقال : إن اللفظ إذا احتيج فى فهم معناه إلى إعمال فكرٍ كان أبلغَ وآكدَ مما إذا لم يكن كذلك ، لأنّ النفسَ حينئذ تحتاجُ فى فهم معناه إلى فكرٍ وتعب فتكون به أكثرَ كَلَفاً وضنة مما إذا لَمْ تتعب فى تحصيله ، وباب التعجب موقعُ المبالغة فكان فى مخالفة المعنى للفظ من المبالغة مالا يحصل باتفاقهما " (١) .

ونكادُ نشكُّ فى هذه الروايةِ التى أوردها السيوطي،فما نحسب أبدا ولا نتوقع من الكوفيين أن يكونوا على هذا النمط من التفكير الذي يجعلهم يُقرّونَ أنَّ صيغةَ (أفعل به) مراد بها الأمر لا التعجب ، لا سيما أنَّ قاعدةَ اتفاق المعنى للفظ متروكة فى مواضع بلاغية كثيرة وأن الحامل أو السبب لترك هذه القاعدة لم يأت به واحدٌ من البصريين ، بل أتى به " بهاء الدين بن النحاس المتوفى عام ثمانية وتسعين وستمائة ويُعد من نحاة مصر" (٢) . ثم إننا نسأل هل كان الكسائيُّ والفراءُ وثعلبٌ وابو بكر الأنباري وغيرُهم من أعلام الكوفة جاهلين أنَّ هذه القاعدةَ قد تُكسر فى أحايينَ كثيرةٍ لأسباب بلاغية .

---

(١) الأشباه والنظائر جا ص٦٣ و ٦٤ بتصرف وتلخيص .

(٢) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ص٦ ط الخانجي سنة ١٣٢٦ هـ .

الفصل التاسع

أعمال الاستثناء

أدوات الاستثنـــاء

سمينا هذا الفصلَ (أدوات الاستثناء) مع معرفتنا أنّ كلمـة (أدوات) غيرُ دقيقةٍ ، وكان يجب أن نقول (أفعال الاستثنـاء) أو حروفها ، لكن النحاةَ على خلاف في ذلك بالنسبة للكلمة (حاشـا) كما سنبين في هذا الفصل ، لذلك آثرنا الاصلاح (أدوات) ، لأنـه يستوعب الأفعالَ والحروفَ والأسماءَ أيضا .

والأدوات التي نقصدها وتدخل في نطاق بحثنا هي عـدا وخلا وحاشا [(1)] ، وجميعُها تستعمل كأفعال للاستثناء ، وهي فـي هذا الاستعمال — ليس غير — تُعَدُّ أفعالا غيرَ متصرفـة ، ولـن نتعرضَ لقواعدِ الاستثناء بها تفصيلا ، فهذا ليس موضوعَ بحثنـا ، ولكننا قد نتعرض لهذه القواعد عندما يكون لها صلةٌ باستعمال هذه الأدوات كأفعال غير متصرفة أو كحروف ، على أنه ينبغي أن نقـول إنّ هناك فعلين آخرين يستعملان للاستثناء ، همـا (ليـس) و (لايكون) وقد ذكرناهما في باب (كان وأخوتها) حيث إنّ هـذا الباب هو الأصل في استعمالهما .

فأما الفعل الأول وهو (عدا) فنجد له اشتقاقات عدةً ومعانيَ مختلفةً . فالعَدْوُ الحُضْرُ ، وعَدَا الرجلُ والفرس وغيرُه يعْدُو عَـدْواً وعُدُواً وعَدَوَاناً وتَعْداءً ، ويقال للخيل المغيرة عادية . قال اللـه تعالى : " والعادياتُ ضبحا " [(2)] . ويُعادي الصيدَ : يلْحَقُه ، وتعَـادى القومُ : تَبَارَوْا في العدو. وقد عَدا فلان عَدوا وعُدوا وعَدْوانـا

---

(1) لا علاقة لبحثنا بغيرها ، مثل إلاّ وسوى وغير .

(2) الآية الأولى من سورة العاديات .

وعَدَاءً ، أي ظلم ظلماً جاوزَ القَدْرَ . والعادي الظالم ، أصله من تجاوز الحدّ في الشيء . وعَدَا الأمرَ يَعْدُوه ، أي تجاوز الحدَّ فيه قال تعالى " ومن يتعدَّ حدودَ الله ...." (١) ، أي يتجاوزها وتَعادَى ما بينهم ، أي تَباعدَ . قال الأعشى :

وتَعادَى عنه النَّهارُ فما تَعْـ ** ـجُوهُ إلاَّ عُفَافَةٌ أو فُوَاقُ (٢)

والعدوى اسمٌ من أعدى يُعدِي فهو مُعْدٍ ومعنى أعدى جاوز الجربَ الذي به إلى غيره (٣) .

فهذه المعاني والاشتقاقات تدلُّ على أن هذا الفعلَ متصرفٌ كلَّ التصرف ، إلاَّ أنّه في أسلوب الاستثناء يبقى في حالة الماضي لا يتجاوزه إلى زمنٍ آخرَ أو إلى صيغةٍ أخرى ويكون فاعله في هذه الحالة مستتراً كقول الشاعر :

تملُّ النَّدامَى ما عدانِي فإنَّني ** بكلِّ الذي يَهْوَى نديميَّ مُولَعُ (٤)

فـ (عدا) هنا ملازمةٌ لزمنِ الماضي لا تتجاوزه إلى زمن المضارع أو إلى صيغة أخرى كاسم الفاعل مثلاً :

---

(١) الآية الاولى من سورة الطلاق .

(٢) القصيدة الثانية والثلاثون . تحقيق المرحوم الدكتور محمد حسين وأول البيت في الديوان : ما تعادى عنه .....

(٣) كل هذه المعاني والاشتقاقات نقلناه من لسان العرب مادة عدا ج١٩ ص ٢٥٧ ومن القاموس المحيط ج٤ ص ٣٦٢ .

(٤) من شواهد الأشموني على الألفية رقم ٤٦٣ .

ولكن ما العلاقة بين ما تدل عليه (عدا) فى أسلوب الاستثناء وما تدل عليه من المعانى التى أوردناها منذ قليل ؟ الجـــواب يسيرٌ واضحٌ ، فهذه المعانى كلُّها إنّما تدلُّ على البعدِ أو المجاوزةِ. والاستثناءُ باستعمال (عدا) يدلُّ على هذا المعنى بعينه . فـــإذا قلت : قام القومُ ما عدا زيداً ، فكأنك قلت : قام القـــــومُ مجاوزين زيدا ، أو بعيدين عن زيد . وقد فطن النحاةُ إلى ذلـــك عندما أوَّلوا (ما) مع الفعل بعدها (عدا) فقالوا : " إن موضـــعَ الموصول مع صلته نصبٌ : إمّا على الظرفية على حذف مضاف ، أو علـى الحالية على التأويل باسم الفاعل فمعنى قاموا ما عدا زيدا: قاموا وقتَ مجاوزتهم زيدا ، أو مجاوزين زيدا "(١) .

وما قلناه فى (عدا) نقوله فى (خلا) من حيث إنه غيـــرُ متصرف فى أسلوب الاستثناء ليس غير ، وإنَّ معانيَهُ المختلفةَ لهـــا اتصالٌ بمعنى الاستثناء . فقد جاء فى اللسان(٢) " خلا المكان خلوا وخلاء ، وأخلى إذا لم يكن فيه أحدٌ ولا شيء فيه . وخلا لك الشـــيء وأخلى بمعنى فرغ . وفى المثل : وَيْلٌ للخَلِيِّ من الشَّجِيِّ . فالخلـــي الذي لا همَّ له،الفارغ . وتخلَّى عن الأمر : تركه ، وامـــــــرأة خلى ، أي لا زوج لها . وخلا الشيء خلوا أي مضى ، ومنه قولُـــــه تعالى : " وإنْ مِنْ أمّةٍ إلاّ خلا فيها نذيرٌ(٣) " أي مضى ، والقـــرون الخالية أي الماضية " .

---

(١) من كلام الشيخ محمد محيي الدين عند تعليقه على شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٤ .

(٢) مادة خلا ج١٨ ص ٢٦٠ .

(٣) آية ٢٤ من سورة فاطر .

وهذه المعاني كلُّها تدلُّ على النفي والسلبِ والمُضِيِّ والفـراغِ والتَّركِ. وكلُّها تتفق مع الاستثناء ، ففي قولنا : جاءوني خلا زيداً ، أي جاءوني خلا بعضُهم زيداً ، أي فَرَغَ بعضُهم من زيد ، أو جاءوني تاركين زيداً . وقد قدّر ابنُ هشامٍ مثلَ ذلك حيث قال : " فمعنى (قاموا ما خلا زيداً) على الأوّل[1] : قاموا خالين عن زيد ، وعلى الثاني : قاموا وقت خلوهم عن زيد[2] و[3] " فلا فرق اذن بين معانيها تلك وبين معناها في الاستثناء الا أنها في الاستثناء باقية في حالة المضي .

وهاتان الكلمتان (عدا وخلا) تسبقهما (ما) فتثبتان على الفعلية وقد تجيئان دونهما فتكونان فعلين أو حرفين " ذلك لأن (ما) مصدرية، فدخولُها يُعيِّنُ الفعليةَ "[4] ؛ لأنها لا تدخل إلاّ على الأفعال "[5] .

ومن استعمال (خلا) كحرف جر قولُ الشاعر :

خلا اللهِ لا أرجُو سواك وإنّما + + أعدُّ عيالي شعبة من عِيالكـا[6]

---

(١) وهو أنْ يكونَ موضعُ ما خلا نصباً على الحال .

(٢) وهو أنْ يكون موضعُ ما خلا نصباً على الظرف لأنْ ما وصلتها خلا تنوبان عن الوقت .

(٣) المغني ص ١٧٩ .

(٤) من تعليق الشيخ محمد محيى الدين على شرح الأشموني على الألفية ج٢ هـ ص ٤٦٣ .

(٥) السابق ص ١٧٩ .

(٦) من شواهد الأشموني ج٢ رقم ٤٦١ ولم أقف له على قائل معين .

وقول الآخر :

أبَحْنا حيَّهُمْ قَتْلاً وأســــراً ** عَدَا الشمطاءِ والطفلِ الصغيـرِ

على أنَّ من النحاة من يرى أن (عدا) تكونُ حرفَ جــــرٍّ وإنْ سُبقت بـ (ما) كما سبق في قول الشاعر :

تَمَلُّ النَّدامى ما عَدَاني فإنَّني ** بكلِّ الذي يَهْوَى نديميَّ مُولَعُ

وواضحٌ أن (عدا) هنا فعلٌ بدليل اتصاله بنون الوقاية التي تدخل على الفعل لِتَقِيَهُ الجرَّ إذا اتصل بياء المتكلم ، ولسبقهـا بما المصدرية .

إلاّ أنّ هؤلاء النحاةَ يَرَوْنَ أن (ما) في هذا البيت وما جاء نحوه زائدةٌ، ودخول النون لا يتعين معه أن تكون الكلمة فعـلا ، لأنها تلحق بعض الحروف ، نحو منّي وعنّي "[1] .

وقد ردَّ ابنُ هشام على رأيهم هذا بقوله : " فإن قالـوا ذلك بالقياس ففاسد ، لأن (ما) لا تزداُ قبل الجار بل بعده نحـو " عمّا قليلٍ "[2] و " فبما رحمةٍ "[3] ، وإنْ قالوا بالسماع فهـو من الشذوذ بحيث لا يُقاس عليـه "[4] . هذا إلى أن " إجـراءَ

---

(١) شرح الأشموني جـ٢ هامش ص ٤٦٥ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين .

(٢) المؤمنون اية ٤٠ .

(٣) آل عمران اية ١٥٩ .

(٤) المغنى ص ١٧٦ .

الكلامِ على المختلَفِ فيه مع إمكانِ الجادّةِ لا يجوزُ "[١].

وإذا كان الفعلان (عدا) و (خلا) يُسبقان أحيانا بـ (ما) وأحيانا أخرى يجيئان متجردين منها ، فإنّ استعمال (حاشا) جاء دون سبقها بـ (ما) ، لذلك عدَّها سيبويه حرفاً عندما قال : "وأما (حاشا) فليس باسم ،[٢] ولكنه حرف يجر ما بعده ، كما تجر حتى ما بعدها ، وفيه معنى الاستثناء ،وبعضُ العرب يقول : ما أتاني القومُ خلا عبدِالله ، فجعلوا خلا بمنزلة حاشا (يقصد بمنزلتها في الجر) ... ألا ترى أنك لو قلت : أتَوْني ما حاشا زيدا لم يكن كلاما ... "[٣].

وربما كان قول سيبويه هذا تعبيرا عن الشائع الراجح في (ما حاشا) فهناك شاهد على استعمال ما حاشا وهو :

رأيتُ النّاسَ ما حاشا قريشاً *** فإنّا نحنُ أفضلُهم فَعَالا[٤]

---

(١) شرح الأشموني ج٢ هامش ص ٤٦٦ للمرحوم الشيخ محمد محيي الدين.

(٢) يقصد أنّها لا تؤول مع (ما) قبلها باسم كما هو الحال مع (خلا) و (عدا) .

(٣) الكتاب ٣٧/١ .

(٤) هذا البيت هو الشاهد رقم ١٧٨ في ابن عقيل ورقم ٤٦٦ في الأشموني و ١٩٩ في المغني (حرف الحاء) ، وينسب إلى الأخطل ، إلاّ أنني بحثتُ في ديوانه "شعر الأخطل" تعليق الأب انطوان صالحاني اليسوعي المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩١ فوجدت ص ١٦٤ بيتين من الوافر ومن الروى نفسه والقافية نفسها ولم أجد هذا البيت .

كما أن هناك شاهدين على استعمال (حاشا) فعلا ناصبا لما بعده فالأول قول الشاعر :

حاشا قريشاً فإنّ اللهَ فضّلَهم (١) ** على البرية بالإسلام والدين

وأما الثاني قول الطماح الأسدي :

حاشا أبا ثوبانٍ إنّ أبا (٢) ** ثوبانٍ ليس ببُكّمةٍ فَدِم

هذا بالإضافة إلى ما حكاه أبو عثمان المازني عن أبي زيد ، قال : سمعت أعرابيا يقول : " اللهم اغفر لي ولمن سمع حاشا الشيطانَ وأبا الاصبغ " (٣) .

وإذا نظرنا إلى (خلا) و (عدا) و (حاشا) وجدنا أن الفعل (خلا) لا فرق بين كونه للاستثناء ، وكونه فعلاً متصرفاً، وذلك من حيثُ النطقُ أو الكتابةُ ، وكذلك الشأن في الفعل (عدا) .

ولكنّ الأمرَ يختلف في (حاشا) فيوجد فرق بين كونه للاستثناء

---

(١) الشاهد رقم ٤٦٤ من شرح الاشموني ، وقد نسبه محققه الشيخ محيي الدين إلى الفرزدق ولم أجده في ديوانه " قافية النون من ص ٨٦٤ . تحقيق عبد الله الصاوي . التجارية الكبرى ١٩٣٦ .

(٢) المفضليات القصيدة ١٠٩ ص ٣٦٧ . تحقيق أحمد شاكر وهارون . دار المعارف ١٩٦٤ وقد رواه ابن الأنباري في الإنصاف :
حاشى أبي ثوبان إنّ به ** ضَنّاً على الملحاة والشتم
المسألة ٣٨ ص ١٧٩ .

(٣) شرح الأشموني ج٢ ص ٤٦٩ وشرح المفصل ج٢ ص ٨٥ لابن يعيش وقد أورد (ابن الأصبغ) بدلا من (أبا الأصبغ) .

وكونه فعلاً متصرفا ، فهو فى الحالة الثانية يكتب حاشى ومضارعــه يحاشى ، وشاهده قول النابغة :

ولا أرى فاعلاً فى الناس يُشبهه ** ولا أحاشى من الأقوام من أحد[1]

وعدم التطابق هذا هو الذي أوجد - فى رأيى - شيئين :

الأول : كثرة اللغات فى (حاشا) ففى الآية الكريمة " حاشا لله[2] " " يُقرأ بالألف وهو الأصل ، ويُقرأ بغير ألف وهما قراءتان سبعيتان " ، وقرأت فرقة (حشى الله) على وزن رمى ، وقــرأ الحسن (حاش) بسكون الشين وصلا ووقفا[3] وذكر ابـن عقيـل أن (حاشا) يقال فيها حاش وحشا . ولا يتأتى ذلك فى (عدا) و (خلا) فلم يرد فيهما إلاّ هذان اللفظان .

الثاني : الاختلاف فى كونها فعلاً بالنظر إلـى الأصـل المشتقــة منه أو المأخوذة عنه[4] ، أو حرفــاً يجــر مــا بعــدها - كما قال سيبويه - بالنظر إلى أن (حاشا) الاستثنائية كلمة ، وحاشى الفعل المتصرف الذي مضارعه يحاشى

(١) شرح الأشموني الشاهد رقم ٤٦٧ وفى الديوان ص ٢٨ . تحقيـق عبدالرحمن سلام . ط المصباح بيروت ١٩٢٩ .

(٢) يوسف آية ٥١ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين ٢/٤٥٠ وبهامشه إعراب القــرآن للعكبري ٢/٤١٢ .

(٤) البحر المحيط لابى حيان جـ٥ ص ٣٠١ - ٣٠٢ بتصرف مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ .

(٥) الفعل حاشى يحاشى مأخوذ من الحاشية وهى الجانب ، وحاشيتــا الثوب جانباه اللذان لا هدب فيهما تقول تحاشيت أي اتخـذت جانبا وبعدت ،و(حاشيت من القوم فلانا) أي جنبته أو جعلتـه جانب ، أي استثنيت (اللسان جـ ١٦ ص ١٩٦).

كلمة أخرى لا علاقة لها بالأولى [1] . وربما كان هذا سببَ التباين في رواية الشواهد التى ذكرناها منذ قليل ، فهناك من يرويهـــا بنصب ما بعد حاشا وهناك من يرويها بجر ما بعدها . ولا يتأتى هذا الاختلافُ فى (خلا) و (عدا) ، أو قل إنّه غير مشهور، فسيبويه مثلا قد ذكر النصب ليس غير فى الاسم الذي بعد (عدا) ، أما (خلا) فقد ذكر النصب أيضا ، وذكر أن الجر بها فى بعض اللغات [2] ، وشرح ذلك فى سطر واحد أو فى جزء من السطر حيث يقول " وبعض العـــرب يقول ما أتانى خلا عبدِالله ، فجعلوا (خلا) بمنزلة (حاشا) فاذا قلت (ما خلا) فليس فيه إلاّ النصب " [3] .

---

(١) هذا هو فى رأيى سبب الخلاف ، وهناك كثير من الدلائل التـــى أوردها نحاة البصرة والكوفة فى هذا الموضوع (انظر المسالــة ٣٨ ص ١٧٨) .

(٢) الكتاب ٣٥٩/١ .

(٣) الكتاب ٣٧٧/١ .

الفصل العاشر الاخير

أعمـــال متفرقـــــة

أفعالٌ متفرقـــةٌ

في هذا الفصل نُحاولُ أن نجمعَ من كتب اللغة والأدب الأفعـــالَ غيرَ المتصرفةِ التي لم يجمعْها بابٌ واحدٌ من أبواب النحو ، وهـــذه هي السمة المميِّزة لأفعال هذا الفصل ، ومِنْ ثَمَّ جمعناها معاً ، فهـــي ليست من النواسخ مثلا حتى نجدَها مجتمعةً في بابٍ واحـــدٍ شـــأن عسى وليس وكاد وكرب ... أو من الاستثناء كخلا وعـــدا وحاشـــا أو من أفعال الذم والمدح كنعم وبئس وحبذا وساء ، على أن بعـــض النحاة قد أتى ببعض هذه الأفعال مجتمعةً عندما تحدث عن تقسيـــم الفعل إلى متصرف و (جامد) ، أي غير متصرف ، فالسيوطي مثلا قبـــلَ أن يتحدثَ عن نعم وبئس وحبذا ولا حبذا ، ألَمَّ ببعض هذه الأفعـــال غيرِ المتصرفة فقال " الفعلُ متصرفٌ وهو ما اختلفت أبنيته لاختـــلاف زمانه ، وهو كثير ، وجامد بخلافه وهو معدود ، ومنه غير ما مـــرَّ في النواسخ والاستثناء : قَلَّ للنفي المحض فترفع الفاعل متلواً بصفة ..... ومنه تَبَارَكَ من البركة وَهَدَّكَ من رجل ..... وسُقِط في يـــده ... وكَذَبَ في الإغراء وَيَهِيطُ أي يَصيح ... " [(١)].

ولقد ذكرَ السيوطي أيضا بعضَ هذه الأفعالِ في المزهـــــر [(٢)] نقلا عن التسهيل لابن مالك ، قال : ابن مالك : " مُنِعتْ التَّصـــرفَ أفعالٌ منها المثبتةُ في نواسخ الابتداء وباب الاستثناء والتعجـــب وما يليه ، ومنها (قَلَّ) النافيةُ ، و (تبارك) و (سُقِط في يـــده) و(هدّك من رجل) و (عَمَّرْتُكَ الله) و (كَذَبَ) في الإغراء، و (ينبغـــي)

---

(١) الهمع ج٢ ص٨٢ ، ومكان النقط شرح لبعض أحكام هذه الأفعـــال وسنتعرض لها بالتفصيل بعد قليل .

(٢) المزهر ج٢ ص٤٥ .

و(يهبط) و(أهْلُمّ) و (أَهَاءُ) بمعنى آخذ و(أعطى) و (هَلُمَّ) التيميمية و(هَاَ) و(هاءِ) بمعنى خُذْ و (عِمْ صباحا) و (تعَلَّم) بمعنى اعلم، وفي زجر الخيل اقدم واقدم وهب وارحب وهجد ، وليست أصواتا ولا أسماء أفعال لرفعها الضمائر البارزة ، واستغنى غالبا بترك عن (وَذَرَ) و(وَدَعَ) وبالتَّرْكِ عن الوذْر والوَدْع ، وربما قيل وَدَعَ وودْعٌ ووذْرٌ "(١) .

ونحن في بحثنا هذا نحاولُ درسَ هذه الأفعال مبينين استعمالاتِها وشواهدَها وآراءَ النحويين في كلٍّ منها . والتتبعُ التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أمرٌ بالغُ الصعوبة ، " ذلك أن العقلَ ينسى خطواتِ التطورِ المعنوي التي مرّتْ بها ، ونقول بنساها إذا افترضنا أنه عرفَهَا في يوم من الأيام ، فالكلمات دائما قيمة حضورية actuelle ، بمعنى أنها محدودة باللحظة التي تستعمل فيها ، ومفردة بمعنى أنها خاص بالاستعمال الوقتي الذي تستعمل خلاله "(٢) .

ومع ذلك فسنحاول قدرَ جهدنا إلقاءَ الضوء على التتبع التاريخي لاستعمال هذه الأفعال أو بعضها .

---

(١) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص٢٤٦ و ٢٤٧ تحقيق محمد كامل بركات دار الكتاب بمصر سنة ١٩٦٧م.

(٢) اللغة : فندريس ص٢٢٦ بتصرف .

وذر — ودع

من هذه الأفعال الفعلان وَدَعَ و وَذَرَ فالمستعمل منهما الأمرُ دَعْ وذَرْ والمضارع يَدَعُ ويَذَرُ . أما وَدَعَ ووَذَرَ الماضيان فلم يستعملا ، ونستطيع أن نقول إنَّ هذين الفعلين شبهُ متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ، إذ إنَّ القياسَ لا يأبى مجيءَ الماضي أيضاً ، كما هو الحالُ في وَزَنَ يَزِنُ زِنْ وَزْناً . يؤيد ذلك ما قاله ابنُ درستويه " واستعمالُ ما أهملوا من هذا جائزٌ صوابٌ ، وهو الأصلُ بل هو في القياس الوجهُ ، وهو في الشعر أحسنُ منه في الكلام لقلةِ اعتياده ، لأنَّ الشعرَ أيضاً أقلُّ استعمالاً من الكلام "(1) .

ويرى بعضُ اللغويين أنَّ استعمالَ وَذَرَ وَوَدَعَ ثقيلٌ لابتدائهما بالواو ، وهو حرفٌ مستثقل فاستُغنِيَ عنهما بما خلا منه وهو تَرَكَ (2) .

وربما كان في هذا تعليلٌ لاستعمال وزن مع أن أوَّلَهما واو ؛ إذ لا نجد بديلا لها كما وجدنا بديلا للفعلين وذر وودع وهو ترك .

وقد عوّل الشيخُ خالد الأزهري على أن للفعلين وذر وودع بديلاً وهو ترك — عوّل على ذلك في تعليله لعدم تصرفهما . قال " ... والثاني يكون بمجرد الاستغناء عن تصرفه بتصرف غيره

---

(1) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

(2) المزهر ج٢ ص ٤٦ .

وإنْ كانَ باقياً على أصله من الدلالة على الحدث والزمان،كيذر ويدع حيث استُغني عن ماضيهما بماضي ترك " (شرح التصريح ٢/٩٢) .

وهذا خطأ لأن الفعلين متصرفان كما بينّا ، إلاّ أنّ الاستعمالَ هو الذي هجر الماضيَ منهما، وبقي المضارعُ والأمرُ . وفي ذلك يقولُ ابنُ جني " فإنْ كان الشيءُ شاذاً في السماع مطّرداً في القياس تحامَيْتَ ما تَحَامَتِ العربُ من ذلك وَجَرَيْتَ في نظيره على الواجب في أمثاله . من ذلك امتناعك من وذر وودع ، لأنهم لم يقولوهما ولا غَرْوَ عليك أن تستعمل نظيرهما نحو وزن ووعد لو لم تسمعهما . فأما قولُ أبي الأسود :

لَيْتَ شِعْري عنْ خَليلي ما الذي ** غَالَه في الحبِّ حتّى وَدَعَه (١)

فشاذٌ ، وكذلك قراءةُ بعضهم (ما وَدَعَكَ ربُّك وما قَلَى) بتخفيف الدال فأما قولهم : ودع الشيء يدع — اذا سكن — فاتدع مسموع متبع ، وعليه أُنشد بيتُ الفرزدق :

وعضُّ زَمَانٍ يا ابْنَ مروانَ لم يَدِعْ ** مِن المالِ إلاّ مُسْحَتٌ أو مُجلَّفُ (٢)

فمعنى لم يدع — بكسر الدال ، أي لم يتّدِعْ ولم يثْبُتْ " (٣)

والاستغناء عن الشيء بالشيء نَصَّ عليه سيبويه في مواضعَ من

---

(١) سنحققُ هذا البيتَ بعد قليل .

(٢) شرح ديوان الفرزدق . عبدالله إبراهيم الصاوي ص٥٥٦ التجارية بمصر سنة ١٩٣٦ م .

(٣) الخصائص ج١ ص٩٩ .

كتابه فيقول " فقد يستغنون عن الشيء بالشيء ، وقد يستعملون فيه جميعَ ما يكون في بابه "(١) .

ويقول " هذا باب يستغنى فيه عن (ما أفعله) ب (ما أفعلَ فعلَه) وعن (أفعل منه) بقولهم (هو أفعل منه فعلا) ، كما استغنى بتركت عن ودعت "(٢) .

ويقول " .... كما أنّ يَدَعُ على وَدَعْتُ ، ويَذَرُ على وَذَرتُ وإن لم يستعملا ، استُغْنِيَ عنهما بتركت "(٣) .

على أن بيتَ أبي الأســود :

لَيْتَ شِعْري عَنْ خَليلي ما الّذي ** غالَهُ في الحبِّ حتى وَدَعَــه(٤) .

---

(١) الكتاب ج١ ص ١٩١ .

(٢) الكتاب ج٢ ص ٢٥١ .

(٣) الكتاب ج٢ ص ٢٣٨ .

(٤) هذا البيتُ أنشدَه ابنُ جنّي في خصائصه ج١ ص ٩٩ كما سبق ، ولم يحققه الأستاذُ النجار محققُ الخصائص في هذا الموضع، غيرَ أنّـه عاد وذكر في ص ٢٦٦ من الجزء نفسه أنّ نسبةَ هذا البيت لأبي الاسود خطأ ، وإنّما قائلُه هو أنس بن زنيم الليثي في عبيد الله بن زياد بن أبيه، وكذلك عدّل في روايته بأن جعلَه :
سَلْ أميري ما الّذي غيّرَه ** عَنْ وِصالي اليومَ حتّى وَدَعَه
وقد بحثت في الكتب التي ترجمت لأبي الأسود علّي أجدُ الحقيقةَ في هذا البيت ، لأني سأبني عليه حكما ، فبحثت في الأغاني للأصفهاني ج١٢ ص ٣٠١ ، دار الثقافة ببيروت ١٩٧٤، وأُسْدُ الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير ، نسخة قديمة دون ذكر للناشر أو تاريخ النشر ، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الانباري : تحقيق ابراهيم السامرائي ص ١ ،دار المعارف ببغداد ١٩٥٩ ،

له دلالةٌ كبيرةٌ من حيث التتبعُ التاريخي لاستعمال الفعـــل (ودع)، ذلك أنّنا إذا أضفنا إلى هذا البيت قراءةَ الآيةِ الكريمة " مـــا وَدَّعَكَ ربُّك وما قلَى [1] " بتخفيف الدال وهي قراءة عروة بن الزبيـــر وابنـــه هشـــام وابن ابي عبلة [2] وأضفنـــا أيضـــا مـــا ورد

ومراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص ٦ نهضة مصر ١٩٥٥، فلم أجد ذكراً لهذا البيت في كل هذه المراجع التي ترجمت لحيـــاة أبي الاسود . ثم بحثت في بُغية الوعاة في طبقات اللغوييـــن والنحاة للسيوطي ج٢ص ٢٣ تحقيق محمد إبراهيم طبعة عيســى الحلبي ١٩٦٤ ، فلم أجد هذا البيتَ فيه ، إلاّ أنني وجـــدت بيتين آخرين من نفس البحر (الرمل) والقافية :

لا يَكُنْ بَرْقُك بَرْقاً خُلَّباً ** إن خيْرَ البرقِ ما الغيثُ معه
لا تهنّي بعد إكرامِكَ لي ** فشديدٌ عادةٌ مُنتزَعَـــهْ

ولقد ورد هذا البيت في اللسان إلاّ أنّ فيه روايةً أخرى وقائلاً آخرَ غيرَ أبي الاسود . يقول صاحب اللسان " وهذا البيـــت، رَوَى الازهريُّ عن ابن اخي الاصمعي أنّ عمَّه أنشده لأنس بن زنيـــم الليثي :

لَيْتَ شعْري عن أميري ما الّذي ** غالَـهُ في الحبِّ حتّى وَدَعَـــهْ
لا يكُنْ بَرْقُكَ بَرْقاً خُلَّبـــاً ** انّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَــهْ

وإذا عَرَفنا أنَّ أنساً هذا قد قال البيتَ في عبيد الله بن زيــاد بن أبيه الملقب بابن مرجانة ، وعرفنا أيضا أنّ عبيدَ اللـــه تُوفي سنة ٦٧هـ ، وأنّ أبا الاسود توفي سنة ٦٩هـ ـ إذا عرفنـــا كلَّ ذلك فلا يهمنا من قائل البيت بقدر ما يهمنا الفترة التـــي قيل فيها وهي الستينات من القرن الاول .

(١) الآية الثالثة من سورة الضحى .

(٢) اللسان ج١٠ ص ٢٦٣ .

فى اللسان وفى حديث ابن عباس إنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : " لَيَنْتَهِيَنَّ اقوامٌ عن وَدْعِهِم الجمعاتِ أو لَيُخْتَمَنَّ على قلوبهم " أي من تركهم إياها "(1) استنتجنا أن هذا الفعل (ودع) بصيغته الماضية وكذلك المصدر (وَدْعاً) لم يكونا مهجورين فى فترة نزول القرآن الكريم وعلى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرّ استعمالُهما حتى السنينَ الأولى من النصف الثانى من القرن الأول ، وبعد ذلك هُجِر استعمالُهما ولم يبقَ مستعملا إلا المضارعُ والأمرُ .

---

(1) اللسان جـ ١٠ ص ٢٦٣ .

كَـذَبَ عليـك

أما الفعلُ (كَذَبَ) فغنيٌّ عن القول أنّه متصرف : كَذَبَ يكـذِبُ كَذبا وكِذابا وكُذابا فهو كاذب وكذّاب وكَذُوب "[1].

وأما (عليك) فهو جار ومجرور ،هذه هي النظرة الأولى لهذا الأسلوب ولكنهم يعدونه من أساليب الاغراء ، وقد جاء على هذا النمط أو هذه الصورة دون تغيير ، وتكون الكلمة (كذب) في هذه الحالة فعلاً غيرَ متصرفٍ لزم صورة واحدة وهي الماضي ، و (عليك) يشبهونها بتلك التي تستعمل في الإغراء ، كما في قوله تعالى : " يا أيّها الذينَ أمنوا عليكم أنفسَكم "[2] فعليك هنا اسمُ فعلٍ منقولٌ عن الجار والمجرور بمعنى الزم أو احفظ .

وربما استُعمل الفعلُ (كذب) غيرَ متعدٍ بالحرف ، بل يجيء بعدَه المفعولُ به مباشرةً فيقال (كذبك) وذلك كقولِ عمرَ بنِ الخطاب حين جاءه رجل يشكو النقرس " كَذَبَتْكَ الظّهائرُ ، أي بالمشي فيها ، والظهائر جمع ظهيرة وهي شدة الحر "[3] .

أما شواهد (كَذَبَ عَلَيْكَ) فقولُ عمرَ أيضا حين شكا إليه عمرُو ابن معد يكرب المَعَصَ (التواء عصب القدم) فقال له : كَذَبَ عليكَ العسلُ . يريد العَسَلانَ وهي مشيُ الذئبِ،أي عليك بسرعة المشي ،وقولُه أيضاً : " كَذَبَ عليك العمرةُ ، كذب عليكم الحجُّ ، ثلاثةُ أسفارٍ

---

(١) اللسان مادة ك ذ ب .

(٢) المائدة آية ١٠٥ .

(٣) اللسان مادة ك ذ ب ج٢ ص ٢٠٤ .

كذبن عليكم قال ابن السكيت : بمعنى عليكم به ، كلمة نادرة جاءت على غير القياس . وقال " الأخفش الحج مرفوع به ومعناه نصب ، لأنه يريد الأمر به كقولهم أمكنك الصيدُ ، يريد ارْمِه " (٢) ، أي أن المُغرَى به كان حقُّه النصبَ ، ولكنه جاء بالرفع شاذا على غير قياس . يقولُ الأصمعيُّ في ذلك " معنى (كذب عليكم) معنى الاغراء أي : عليكم به ، وكان الأصل في هذا أن يكون نصبا ، ولكنه جاء عنهم بالرفع شاذا على غير قياس (٣) .

ونستطيع القولَ بأن هذا الأسلوبَ قد هُجر الآن ، ولم يُعد مستعملا ألبتة ، وجميع شواهده ـ كما سيتضح بعد قليل ـ لم يتعدَّ زمنُهَا زمنَ الرسولِ عليه الصلاة والسلام والخلفاءِ الراشدين من بعده ، يدلُّ على ذلك أن سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ قد أورد في كتابه كلمة (كَذَبَ) — من حيث تعلقها بأحكام نحوية أو لغوية — مرتين (٤) : الأولى ، عندما أنشد بيتَ الأخطلِ :

كَذَبَتْكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ ** غَلَسَ الظَّلامِ من الرَّبابِ خَيالا (٥)

---

(١) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير ج٤ ص ١٣ المطبعة الخيرية بمصر دون تاريخ .

(٢) الهمع ج٢ ص ٨٣ .

(٣) اللسان مادة كذب ج٢ ص ٢٠٥ .

(٤) عرفت ذلك من فهرس كتاب سيبويه الذي صنعه عبدالسلام هارون ج٥ ص ١٦٩ . الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧ م .

(٥) الكتاب ج١ ص ٤٨٤ .

وقد استشهد بهذا البيت على إتيان الشاعر بأم منقطعة بعد الخبر [١] .

والثانية : عندما أنشد بيت خزز بن لوذان أو عنترة :

كَذَبَ العتيقُ وماءُ شنٍّ باردٌ ** إنْ كنتِ سائلتي غَبوقًا فاذهبي [٢]

ولم يعلّق سيبويه على البيت إلاّ بقوله يريد (فاذهبي) ، وكان ذلك في (باب وجوه القوافي في الإنشاد) ، ولم يذكر سيبويه أنّ (كذب) في أول البيت قد أتت بمعنى الإغراء ، وربما يكون سببُ ذلك ندرةَ هذا الأسلوب على عهد سيبويه ،بل انعدامه . صحيحٌ أن سيبويه قد أورد البيتَ في مُقامٍ غيرِ مُقامِ استعمالِ (كَذَبَ) للإغراء ، ولكننا لا ننسى أن سيبويه من طبعه الاستطراد والدخول في موضوع جديد طارئ ،ثم الرجوع إلى الموضوع الذي كان يبحثه

على أن الشنتمري ذكر ذلك حيث قال :

" ومعنى (كذب العتيق) عليك به ، وهي كلمة نادرة تغري بها العرب فترفع ما بعدها وتنصب " [٣] .

ومهما يكن من أمرٍ فإن هذا التعبيرَ نادرُ الاستعمالِ في عصره ، مهجورٌ الآن تمامَ الهجرِ ، إلاّ أن السؤالَ الذي يطرأ للباحث : ما علاقةُ الفعلِ (كَذَبَ) سواءٌ أكان متصرفًا أم غيرَ متصرفٍ بالإغراء أو بالوجوب ، فنقول : كَذَبَ عليكم الحجُّ بمعنى وجب ؟

---

(١) الكتاب ج١ أسفل هامش ٤٨٤ (الشنتمري) .

(٢) الكتاب ج٢ ص ٣٠٢ .

(٣) الكتاب ج٢ أسفل ص ٣٠٢ .

ظللتُ أفكرُ في هذا السؤالِ علّي أحظى بإجابةٍ مقنعةٍ ، وقد رأيتُ أن العلاقةَ بين الكذب والاغراء علاقةٌ غريبةٌ ، والأسلوب نفسه نادر غير مألوف ، وقد قال ابن فارس كلاما قيما في هذا الصدد :

" ذهب علماؤنا أو أكثرُهم إلى أنّ الذي انتهى إلينا من كلام العرب هو الأقلُّ ، ولو جاءنا جميعُ ما قالوه لجاءنا شعرٌ كثيرٌ وكلامٌ كثيرٌ وأحرِ بهذا القولِ أن يكون صحيحاً ، لأنّا نرى علماءَ اللغةِ يختلفون في كثير مما قالته العرب ، فلا يكادُ واحدٌ منهم يُخبرُ عن حقيقةِ ما خولف فيه، بل يسلُكُ طريقَ الاحتمالِ والإمكان ، ألا ترى أنّا نسألُهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء : كَذَبَكَ كذا ، وعمّا جاء في الحديث من قوله : كَذَبَ عَلَيْكُمُ الحَجُّ ، كذب العَسَل ، وعن قولِ القائلِ :

كَذَبْتُ عَلَيْكُمْ أوْعِدُوني وعَلِّلُوا ** بِيَ الأرضَ والأقوامَ قِرْدانَ مَوْظَبِ

وعن قول الآخر :

كَذَبَ العَتيقُ وماءُ شَنٍّ باردٍ ** إنْ كُنتِ سائِلَتي غَبوقاً فاذْهَبي

ونحن نعلمُ أنَّ قولَ (كَذَبَ) يَبْعُدُ ظاهرُه عن باب الإغراء ، وكذلك قولهم .... " (١) ثم يَذْكُر بعد ذلك أمثلةً أخرى في حقيقة اللغةِ وغريبها، لا يهمنا منها إلاّ أسلوب (كذب عليك)، ثم يعلق

---

(١) المزهر ج١ ص٦٦ و ٦٧ ، والصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب لأحمدَ بن فارس ص ٦٧ و ٦٨ تحقيق مصطفى الشويمي ، بيروت ١٩٦٤ . والبيت الأول — في اللسان — لخداش بن زهير . والبيت الثاني هو الذي أنشده سيبويه ج٢ ص ٣٠٢ .

على كل ذلك قائلا " ولقد كَانَ لذلِك كلِّه ناسٌ يعرفُونه ، وكذلك يعلمُونَ معنى ما نَسْتَغْرِبُهُ اليَوْمَ ... "(١) .

فهذا الأسلوب إذاً كان له تفسيرُه عند قائليه في الماضي بالرغم من استغرابنا إياه اليوم . ونحنُ هنا نجتهدُ ، فنتقدَّمُ على استحياءٍ تفسيراً له . لقد اشتهر القولُ بيْن العامة في عصرنا الحاضر " عليك الحرام تفعل كذا ... " يقول العاميُّ ذلك مخاطبا غيرَه أو قل مغريا غيرَه ، وربما قال مغريا نفسَه أو مُقْسِماً " عليَّ الحرام افعل كذا ... " أليس هذا مشابها للأسلوب (كذب عليك) ؟ بلى هو مشابهٌ . فالاسلوبُ العاميُّ يعني أنَّ الحرامَ يَحِلُّ بي إنْ لمْ افعلْ كذا ، والأسلوبُ الثاني يعني أنَّ الكذبَ يكون عليَّ ـ أي أني أكونُ كاذباً إن لمْ افعلْ كذا ، والعلاقةُ بين الكَذِبِ والحرامِ علاقةٌ وثيقة .

---

(١) المزهر ج١ ص ٧٠ و ٧١ والصاحبي ص ٧١ و ٧٢ .

تبــــــــارك

يَرْجِعُ هذا الفعلُ إلى المادة ب ر ك ، ومن هذه المادة : البَرَكَةُ أي النماءُ والزيادةُ ، والتَّبْرِيكُ أي الدعاءُ للإنسان ، فيقال بَرَّكْــتُ عليك تَبْرِيكا ، أي قلت : بارك اللهُ عَلَيْكَ . وفي التَّشهد " السـلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " البركات أي السعادة [1] .

وتَبارَكَ على وزن تفاعل مثلَ تقاتلَ ، وكان القياسُ أنْ يكونَ متصرفاً مثلَه ، ولكنه جاء "غيرَ متصرفٍ فلا يأتي منه مضـــارعٌ ولا أمرٌ ولا اسمُ فاعلٍ،وهو بمعنى تعظّم وتمجّد وارتفع " [2] . وقـد ذكرَ السيوطي هذا الفعلَ مع الأفعال التي لا تتصرف [3] . وكذلك ذكــره ابنُ مالكٍ [4] . وقد استعملَ القرآنُ الكريمُ كثيراً من اشتقاقات هـذه المادة كقوله تعالى : " وجَعَلَ فيها رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِها وبَارَكَ فيها " [5] ، و " فَلَمَّا جاءها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ في النَّارِ ومَنْ حَوْلَها " [6] . و" اهبطْ بسلام منّا وبركاتٍ عليك وعلى أممٍ مِمَّنْ مَعَكَ " [7] . و " وهذا ذِكْـرٌ مبارَكٌ أنزلْناهُ أفأنتُمْ لهُ مُنكِرُونَ " [8]

---

(١) اللسان مادة ب ر ك ج١٢ ص ٢٧٥ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج٢ ص ١٥٠ .

(٣) همع الهوامع ج٢ ص ٨٣ .

(٤) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ص ٢٤٦، تحقيق محمـد بركات دار الكاتب العربي بمصر ١٩٦٧ م .

(٥) فصلت : ١٠ .

(٦) النمل : ٨ .

(٧) هود : ٤٨ .

(٨) الأنبياء : ٥٠ .

ولكنّه لَمْ يستعمل الفعل تَبَارَكَ إلاَّ مُسْنَدًا إلى اللّهِ سبحانــــه وتعالَى في كلِّ المواضع التي ذُكِرَ فيها وهي :

١ — تَبَارَكَ اللَّهُ ربُّ العالمين [1] .

٢ — فتبارك الله أحسنُ الخالقين .

٣ — تبارك الذي نزَّل الفُرقانَ على عَبْدِهِ ليكونَ للعالمين نذيرا [2] .

٤ — تبارك الذي إنْ شاءَ جَعَلَ لكَ خيْرًا من ذلك [3] .

٥ — تبارك الذي جعل في السماء بروجا [4] .

٦ — فتبارك الله رب العالمين [5] .

٧ — وتبارك الذي له ملكُ السَّمَوَاتِ والأرضِ وما بينَهما [6] .

٨ — تبارك اسمُ ربِّك ذي الجلال والإكرام [7] .

٩ — تبارك الذي بِيَدِهِ المُلْكُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ [8] .

---

(١) الأعراف : ٥٤ .

(٢) المؤمنون : ١٤ .

(٣) الفرقان : ١ .

(٤) الفرقان : ١٠ .

(٥) الفرقان : ٦١ .

(٦) غافر : ٦٤ .

(٧) الزخرف : ٨٥ .

(٨) الملك : ١ .

فهذا الفعلُ غيرُ المتصرفِ مقصورٌ استعمالُه على إسناده للـــه سبحانه وتعالى. وربما كان هذا هو سببَ عدمِ تصرُّفه والإشعار بـــأنَّ التمجيدَ والعظمةَ والرفعةَ لله سبحانَه دونَ غيره ، وللإشعار أيضـــا بأنّ هذا الفعلَ - وإن كان قد توقَّفَ عند صيغة الماضي - يدلُّ علـــى الحال والاستقبال أيضا ، مَثَلُهُ في ذلك مَثَلُ الفعلِ (كان) في مواضـــعَ كثيرةٍ من القرآن الكريم كقوله تعالى : " وكان اللّهُ غفورا رحيما "(1) ، و " كان الله عليما حكيما "(2) و " كان الله سميعا بصيرا "(3) .

---

(1) النساء : ١٠ .

(2) النساء : ١١١ .

(3) النساء : ١٣٤ .

قـــــل

غنيٌّ عن القول أنَّ الفعلَ (قَلَّ) فعلٌ متصرفٌ ،وقد كَتَبَ فيــــه صاحبُ اللسان ما يزيد على ست صفحاتٍ مبيناً اشتقاقات هـــــذه المادة (قلل) واستعمالاتها . فمن ذلك قولُه تعالى : " وللنســاء نصيبٌ مما تَرَكَ الوالدانِ والأقربون ممَّا قلَّ منه أو كثُر "(1) و" مَتَاعٌ قليلٌ ثم مأواهم جهنَّمُ وبئسَ المهادُ "(2) و " إنْ تَرَنِ أنا أقــلَّ منك مالاً وولداً "(3) و " إنَّ هؤلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قليلُون "(4) .

غير أنَّ بعضَ النحويين قد جعلوا الفعل (قَلَّ) غيرَ متصــرفٍ ، وذلك في استعمال خاص به لا يتعداه ، وذلك اذا كان بمعنى(ما) التي هي للنفي المحض ، كقولهم " قَلَّ رجلٌ يفعل ذلك " ويســاوي في المعنى " ما رجل يفعل ذلك " و (ما) هنا حرف ، وما دام الفعل (قل) قد استعمل موضعَها فهو غيرُ متصرفٍ لشبهه بالحرف .

يقول السيوطي في ذلك " ومنه - أي من الجامد - قلَّ للنفــي المحض فترفع الفاعلَ متلواً بصفةٍ مطابقةٍ له نحو (قل رجــل يقول ذلك) و (قل رجلان يقولان ذلك بمعنى (ما رجل ...) "(5) .

وقد كرر هذا القول في المزهر(6) نقلا عن ابن مالك فـــي التسهيل حيث قال " مُنعت التصرفَ أفعالٌ : منها المثبتةُ فـــي

---

(1) النساء / ٧ .
(2) آل عمران /١٩٧ .
(3) الكهف /٣٩ .
(4) الشعراء /٥٤ .
(5) الهمع /٨٣/٢ .
(6) المزهر ٤٥/٢ .
(7) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص ٢٤٦ .

نواسخ الابتداء وباب الاستثناء والتعجب وما يليه ، ومنها قَلَّ النافية ...... " .

ولم يذكر ابنُ مالك تفصيلاً لاستعمال هذا الفعل في هذا الموضع ، إلاّ أنّه عَقَدَ فصلا قبلَه مباشرةً بيَّن فيه الصلةَ بين (قَلَّ) و(ما) النافية ، قال فيه " قد يقومُ مَقام (ما يفعلُ أَحَدٌ) (أَقَلُّ) ملازما للابتداء والاضافة إلى نكرة موصوفة بصفةٍ مُغْنِيَةٍ عن الخبر لازمُ كونُها فعلاً أو ظرفاً ، وقد تُجعل خبراً، ولا بدَّ مِنْ مطابقةِ فاعلِها للنكرة المضاف إليها ، ويساوي(أَقَلَّ)المذكور (قَلَّ) رافعاً مجرورَ (أَقَلَّ) .

ولسنا مع ابن مالك أو السيوطي في ذلك لِمَا يأتي :

١ – أنّا – فيما اطلعنا عليه من المراجع النحوية – لم نجدْ هذا الفعلَ إلاّ في المرجعين اللذين ذكرناهما ليس غير .

٢ – أَنَّ (قَلَّ رجلٌ يفعل ذلك) مثالٌ لا يُعتدُّ به ، ولم نجد شاهدا على نمط هذا المثال يؤيدُ قولَهما .

٣ – أنَّ القولَ بأن (قَلَّ) تساوي (ما) ، ومن ثَمَّ فإنّ (قَلَّ) غيرُ متصرفٍ لشبهه بالحرف – هذا القولُ يَحْتَاجُ إلى دليلٍ،وهو بعيدٌ عن واقعِ اللّغة لعلاقةُ المساواةِ هذه نجدها في المسائل الرياضية، وفرقٌ كبيرٌ في اللغة بيْن استعمال الفعل واستعمال الحرف .

وإذا دَخَلَتْ على (قَلَّ)(ما) الكافَّةُ ، أصبحت (قلما)،وحينئذ يجيء بعدَها جملةٌ فعليةٌ، بعكس (قَلَّ) مفردةً . فإنها تتطلب بعدَها فاعلاً. وقد ذكر سيبويه أنه من قبح الكلام أن تجيء (قلما) وبعدَها اسمٌ يقول " ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوه في غير موضعه ؛ لأنّه

مستقيم ليس فيه تناقض ، فمن ذلك قولُ عمرَ بن أبي ربيعة :

صَدَدْتِ فأطْوَلْتِ الصُّدودَ وقلَّما ** وصالٌ على طول الصدود يدومُ

ولكنَّ الكلام : قلما يدوم وصال "[1] .

ذكر سيبويه ذلك ، ولكنه لم يذكر في هذا المقام أنّ قَلَّ فعلٌ غيرُ متصرفٍ أو أنّها تساوي (ما) ولم يذكرْ أيضاً المثالَ (قلَّ رجلٌ يفعل ذلك) ، مع أن من منهج سيبويه أنه قد يستطرد فيذكر موضوعا أو حكما متعلقا بالموضوع الذي يتكلم عنه ثم يرجع إلى هذا الموضوع مرةً ثانيةً .

وذكر سيبويه (قلّما) مرةً أخرى في كتابه عند عرضه " للحروف التي لا يَليها بعدَها إلاّ الفعلُ ، ولا تغير الفعل من حاله التي كان عليها قبل أن يكون شيء منها "[2] وذكر من هذه الحروف قد وسوف والسين وربما وقلما[3] ، أي أنه عد (قلما) كلها حرفا ، يقول " ومن تلك الحروف ربما وقلما وأشباهُهما ، جعلوا رُبّ مع ما بمنزلة كلمةٍ واحدةٍ وهيؤها ليُذكرَ بعدَها الفعلُ ، لأنّه لم يكن لهم سبيلٌ إلى (رُبَّ يقول) ولا إلى (قلَّ يقول) "[4] .

والمُهمُّ في ذلك كلّه أن سيبويه لم يستطردْ فيذكرَ أثناءَ ذلك أن (قَلَّ) في استعمال بعينه فعلٌ غيرُ متصرفٍ أو أنه يساوي (ما) في المثال (قلَّ رجلٌ يفعل ذلك) .

---

(١) الكتاب ج١ ص ١٢ .

(٢) الكتاب ج١ ص ٤٥٨ .

(٣) يرى النحاة أنَّ قلّما مكونةٌ من الفعل الماضي(قلّ) وما الكافة عن عمل الرفع (انظر المغني ص ٤٠٣) .

(٤) الكتاب ج١ ص ٤٥٩ .

" سُقِطَ في يَدِه "

رأى النحاةُ أنَّ الفعل " قَلَّ " متصرفٌ إلاّ في استعمال خاص لا يتعداه يكون فيه غيرَ متصرف ، وهو ما كان على مثال "قل رجل يفعل ذلك " بمعنى " ما رجل يفعل ذلك " . وقد اختلفنا مع النحاة في ذلك لعدم وجود شواهدَ تؤيدُ رأيَهم،وتدل على أن (قل) تستعمل للنفي المحض مكان (ما) .

اما بالنسبة للفعل (سَقَطَ) ، فالأمرُ يختلف كلَّ الاختلاف ، إذ نجده غيرَ متصرفٍ في استعمال بعينه دالاًّ على الندم والحسرة ، ويؤيد ذلك قولُه سبحانه وتعالى " ولما سُقِطَ في أيْدِيهم ورَأَوْا أنَّهُمْ قد ضَلُّوا قالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنا ويغفرْ لنا لَنَكُونَنَّ من الخَاسِرِينَ "[1] .

فاستعمالُ هذا الفعل دالاًّ على الندم والحسرة مقصورٌ على صيغة الماضي الذي لم يُسم فاعلُه دونَ إسنادِ أيةِ ضمائرَ له فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون ....

أمَّا بَقِيَّةُ استعمالاته فيكون فيها متصرفا ومن ذلك قولُه تعالى " وهُزِّي إليكِ بجذعِ النّخلةِ تُسَاقِطْ عليكِ رُطباً جَنِياً "[2] و " أوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كما زَعَمْتَ علينا كِسفاً "[3] و " إنْ يَروا كِسفاً من

(١) الأعراف - ١٤٩ .

(٢) مريم - ٢٥ .

(٣) الاسراء - ٩٢ .

(٤) الشعراء - ١٨٧ .

السَّماءِ ساقطا يقولوا سحابٌ مَرْكومٌ "[1].

ومن النحاة من يُجيزُ (أُسْقِطَ فى يده) ، إلاَّ أنَّ الجمهورَ لا يُعتدُّ بها ويرى أنَّ (سُقِطَ) التى استعملها القرآنُ هى الأجود والأحسن "[2].

وقد ذكر هذا الفعلَ السيوطيُّ وابنُ مالكٍ ضمنَ الأفعال غيرِ المتصرفة وأثْبَتَا له هذا التركيبَ دونَ غيرِه[3].

وهذا التركيبُ لمْ تعرفْه العربُ إلاَّ بَعْدَ نزولِ القرآن[4]، ويُبرهن أبو القاسم الزجاجي على ذلك قائلا " سُقِطَ فى أيْدِيهم نظمٌ لمْ يُسمع قبلَ القرآنِ ولا عرفته العربُ ، ولم يوجد ذلك فى أشعارهم ، والذي يدلُّ على ذلك أن شعراء الإسلام لمَّا سمعوا هذا النظم واستعملوه فى كلامهم خَفِى عليهم وجهُ الاستعمال ، لأن عادتهم لم تجرِ به ، فقال أبو نواس :

---

(١) الطور - ٤٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين جـ٢ ص ١٩٥ . ومعانى القرآن للفراء جـ١ ص ٣٩٢ ص ٣٩٣ تحقيق الأستاذين محمد نجاتي ومحمد النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب ٩٨٠ .

(٣) المزهر ٢/٤٥ والهمع ٢/٨٣ والتسهيل ٢٤٦ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ٢ ص ١٩٢ ، ومجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بابن الاثير جـ١ ص ٣٤٤ . الناشر : عبدالرحمن محمد . ميدان الأزهر بمصر ١٣٥٢هـ .

وَنَشْوَةٌ سَقَطْتُ مِنْهَا فِي يَدِي[1] .

وأبو نواس هو العالم النحرير ، فأخطأ في استعمال هذا اللفظ ، لأن (فَعَلْتُ) لا يُبنى إلاّ من فعلٍ يَتَعَدّى ، لا يُقال رغبت ولا يقال غضبت ، وإنّما يقال رغبت في ، وغضبت على "[2] .

وقد اهتم كثيرٌ من النحاة واللغويين والمفسرين بتأصيل هذا التركيب ، وجميعهم أرجعوه إلى صورة مشخصة ملموسة . قال سليمان الجمل " ... وأصله سقطت أفواههم على أيديهم ، ف (في) بمعنى (على) وذلك من شدة الندم ، فإنّ العادةَ أنّ الإنسانَ إذا ندم على شيء عضّ بفمه على أصابعه فسقوط الأفواه على الأيدي لازم للندم ، فأطلق اسمُ اللازم وأُريدَ الملزوم على سبيل الكناية "[3] .

وقال أبو جعفر الطبري " .... وأصله الاستئسار ، وذلك أن يضربَ الرجلُ الرجلَ أو يصرعَه ، فَيَرْمِيَ به بين يديه لياسِرَه ، فيكتفه فالمَرْمِيُّ به مسقوطٌ في يدي الساقط به ، فقيل لكل عاجز عن شيء وضارع لعجزه فتندم على ما فاته "[4] .

وقد عقب المحققان على ذلك بقولهما " والذي قاله أبو جعفر تفصيل جيد وبيان عن أصل الحرف قلما يوجد في كتب اللغة "[5] .

---

(١) أجهدت نفسي في البحث عن البيت بتمامه في ديوان أبي نواس ، فلم أجده ، وربما كنتُ غيرَ موفق في ذلك، فحرفُ الروي يحتمل أن يكون الدالَ وغيرَه ، ومع ذلك فقد بحثت في كل القصائد التي من بحر الرجز ، ثم من الكامل على سبيل الاحتياط،ولا أدري كيف أتى به صاحبُ مجمع الأمثال .

(٢) مجمع الامثال ج١ ص ٣٤٤ .

(٣) حاشية الجمل ج٢ ص ١٩٢ .

(٤) تفسير الطبري ج١٣ ص ١١٨ و ١١٩ تحقيق محمود أحمد شاكر.دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٨ .

(٥) تفسير الطبري ج ١٧ ص ١١٩ .

وقال الزمخشري " .... لأنّ من شأن من اشتد ندمه وحسرته ان يَعَضَّ يده غماً فتصير يدُه مسقوطا فيها "(1) .

ونلاحظ ان القرآن الكريم قد استعمل هذه الجارحة ـ اليدَ ـ في صورتين أخريين ليعبرّ بهما عن الندم والحسرة . ويقول سبحانه وتعالى : " وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالمُ على يديه يقول ياليتني اتّخذتُ مع الرسولِ سبيلا "(2) . ويقول سبحانه : " وأُحيطَ بثمَره فاصبحَ يقلّبُ كفّيْهِ على ما انفقَ فيها وهي خَاوية "(3) .

---

(1) الكشاف من حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري ج2 ص ١١٨ . بيروت دون تاريخ .

(2) الفرقان آية ٢٧ .

(3) الكهف آية ٤٢ .

عم صباحا

ذكر السيوطي هذا الفعل مع ظرف الزمان في همع الهوامع (١) على أنه من الأفعال غير المتصرفة ، وكذلك ذكره في المزهر (٢) نقلا عن ابن مالك في التسهيل (٣) .

وهذه الجملة تحيةٌ عند العرب ، يقال عِمْ صَبَاحاً ، وعِمْ مَسَاءً وعِمْ ظلاماً (٤) ، ولكن (عِمْ صَبَاحاً) هي التي كَثُرَ ورودُها في الشعر:

قال زهير بن أبي سلمى :

فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا ** أَلَا انْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ (٥)

وقال عنترة :

يادَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي ** وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عبلةَ واسْلَمِي (٦)

وأنشد يونس بن حبيب شطرا من الطويل وهو :

عِمَا طَلَلَيْ جُمْلٍ عَلَى النَّأْيِ وَاسْلَمَا (٧)

---

(١) الهمع ٨٣/٢ .

(٢) المزهر ٤٥/٢ .

(٣) التسهيل ٢٤٧ .

(٤) خزانة الأدب للبغدادي ج١ ص ٦٠ تحقيق عبدالسلام هارون . الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩ .

(٥) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ص ٢٤٣ تحقيق هارون . دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .

(٦) السابق ص ٢٤٦ .

(٧) شرح القصائد السبع لابن الأنباري ص ٢٩٦ .

(٨) اللسان مادة وعم ج١٦ ص ١٢٨ .

أمّا عِمْ ظلاما وعم مساء فقد قل ورودُهما . قال شمير بن الحارث الضبي :

أتَوْا نَارِي فقلتُ مَنونُ قالوا ** سُرَاةُ الجنّ قلت عِمُوا ظلاما (١)

ويبدو أنّ السيوطيّ وابنَ مالكٍ كليهما قد تابعا الفراء في عدِّ هذا الفعلِ فعلَ أمرٍ ، لا يأتي منه مضارع ولا ماض . يقول الفرّاءُ " قد يتكلمون بالأفعال المستقبلة ولا يتكلمون بالماضي منها ، فمن ذلك قولهم (عِمْ صباحا) ولا يقولون (وَعَمَ) ، ويقولون (ذَرْ ذا) و(دَعْهُ) ولا يقولون (وَذَرْتُه) ولا (وَدَعْتُه) " (٢) . ويقول الأصمعي كذلك : " هكذا تُنشده عامةُ العربِ وتقدير الفعل الماضي منه وَعَمَ ، يَعِم ولا ينطق به " (٣) .

ويرى أبو عمرو بن العلاء رأياً آخرَ في (وعمى صباحا) التي جاءت في بيت عنترة ، يقول " عِمى من قولهم : عَمَيَ السّماءُ تَعْمِى (٤) ويقولُ أيضا : " هو كما يَعْمِى المطرُ ويَعْمِى البحرُ بزبده ، وأراد كثرةَ الدعاءِ لها بالاستسقاء " (٥) وقد خطّأَ ابنُ الأنباري أبا عمرو فقال : " وهذا عندنا خطأ ، لأنه لو كان كذلك لكان (اعمى) على مثال (واقضى) ، لأن عَمَتْ تعْمِى على مثال قَضَتْ تَقْضِى ، فينبغى أن يكونَ أمرُ المؤنثِ منه (اعمىَ) على مثال

---

(١) النوادر في اللغة لأبي زيد الانصاري ص ١٢٣ . دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٩٦٧ م .

(٢) شرح القصائد السبع الطول لابن الانباري ص ٢٤٤ .

(٣) السابق ص ٢٤٤ .

(٤) السابق ص ٢٩٧ .

(٥) اللسان ج١ ص ١٢٨ وخزانة الادب ج١ ص ٦٤ .

(القَنيّ) . وكان أصحابُنا ينكرون قولَ أبي عمرو ، ويحتجون بهذا الذي وصفناه "[1] .

وكذلك خطّأه الأزهريُّ وردَّ عليه بمثل ما ردَّ ابنُ الأنباري[2] ومِنَ النحاةِ مَنْ لا يَعُدُّ (وَعَمَ ،يَعِمَ ،عِمْ) أصلاً مستقلا بنفسه بل إنّ (يعم) عندهم محذوف من ينعم ، ولذلك أجازوا عِمْ صباحا بفتح العين وكسرها ، كما يقال انعم وانعَم ، وزعموا أنَّ بعضَ العرب أنشد : ألا عِمْ صباحا أيُّها الطلل البالي .

بفتح العين[3] .

ويقولُ الأزهريُّ معللا لذلك : " كأنه لما كثُر هذا الحرفُ في كلامهم ، حذفوا بعض حروفِه لمعرفة المخاطب به ، وهذا كقولهم (لاهم) وتمام الكلام (اللهم) وكقولك (لَهِنّك) والأصل (الله انك)[4] " .

والرأي عندي أن هذا الفعل (عِمْ) إنّما هو الأمر من الماضي وعم ، والمضارع يَعِمُ ، قد التبس الأمرُ على أبي عمرو بن العلاء عندما ظنه من عَمَى يَعْمِي ، مثل قَضَى يَقْضِي على ما بينه ابن الأنباري

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٩٧ .

(٢) اللسان ج١٦ ص ١٢٨ .

(٣) الخزانة ج١ ص ٦٠ بتصرف .

(٤) اللسان ج١٦ ص ١٢٨ . ويُلاحظ أنَّ بعضَ النحاةِ يَرَوْنَ في (لهنك) إبدالاً وليس اختصارًا ، فالاصل لإنّك ثم أُبدلت الهمزة هاء ، وهذا متحقّقٌ عندهم في قولِ الشاعر :

لَهَنّك مِنْ عَبْسيّةٍ لَوَسيمَةٌ ** على هَنَواتٍ كاذبٍ مَنْ يقولُها

اي لأنك . وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف ص ١٢٩ ، وشرح القصائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

والأزهري ، كما أننا لا نميلُ إلى رأي من يرى أنَّ (يَعِمْ) اختصارٌ لِيَنْعَمُ . وقد التبس الأمرُ أيضا على الفراء والأصمعي ، ثم على ابن مالك والسيوطي من بعدهما عندما رأوا أنّ الأمرَ هو المستعملُ كما بيّنا ، أما المضارعُ فلَعَمْري كيف غاب عنهم قولُ امرىء القيس :

أَلاَ عِمْ صباحاً أيُّها الطّللُ البالي ** وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخالي

وهل يَعِمَنْ إلاّ سعيدٌ مخلّدٌ ** قليلُ الهموم ما يَبيت بأوجالِ

وهل يعمن من كان أحدثُ عهدِه ** ثلاثين شهرا في ثلاثة أحوالِ [1]

فقد استعمل المضارع (يعم) ثلاثَ مراتٍ ، لا مرةً واحدةً وفي جميعها جاء مقترنا بنون التوكيد الخفيفة لوقوعه بعد طلب وهو الاستفهام ، كما أن شرح الأستاذين السقا والسندوبي على هذه الأبيات يدل على أن الفعلَ (يعمن) مضارعٌ .

أما الماضي فلم نعثرْ على شواهدَ لاستعماله ، ولكننا لانستبعد استعمالَه حيث إنّ الأمرَ والمضارعَ مستعملان ، كما أنَّ الأزهري ذكر عن يونسَ بن حبيب أنه قال : " وَعَمْتُ الدارَ ، إِعِمْ وَعْماً ؛ أي قلتُ لها انْعَمي " [2] .

---

(١) شرح ديوان امرىء القيس.الأستاذ حسن السندوبي ص ١٥٨ التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٢ ، ومختار الشعر الجاهلي ص ٣٤ جمع الاستاذ مصطفى السقا الحلبي بمصر ١٩٤٨ .

(٢) اللسان مادة وعم ج١٦ ص ١٢٨ .

ينبغـــــــي

ما كان لهذا الفعل أن يأخذ مكانه في بحثي هذا ، فهو فعل متصرف ، لولا ما ذكره السيوطي في الهمع [1] وكذلك في المزهر [2] نقلا عن ابن مالك في التسهيل [3] . وفي كل هذه المواضع نصّ على أنه فعلٌ غيرُ متصرف لا يأتي منه إلاّ المضارعُ ليس غير ، وقيل سُمِع الماضي .

أما عن استعمال المضارع ، فهذا مالا شبهة فيه ، بدليل الآيات " وما يَنْبَغي للرحمن أن يتّخذ ولدا " [4] ، و" ما كان ينْبغي لنا أنْ نتّخذَ من دونك مِنْ أوْلياءَ " [5] و " وما ينبغي لهم وما يستطيعون " [6] و " لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدرِكَ القمرَ " [7] و " وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له " [8] و " قال ربِّ اغفر لي وَهَبْ لي مُلْكاً لا ينبغي لأحدٍ " [9] .

أما الماضي فلقد نصَّ صاحبُ اللسان وصاحبُ القاموس وصاحب الصحاح على استعماله :

---

(١) الهمع ٨٣/٢ .

(٢) المزهر ٤٥/٢ .

(٣) التسهيل ص ٢٩٦ .

(٤) مريم : ٩٢ .

(٥) الفرقان : ١٨ .

(٦) الشعراء : ٢١١ .

(٧) يس : ٤٠ .

(٨) يس : ٦٩ .

(٩) ص : ٣٥ .

يقول ابن منظور : " ... هو من أفعال المطاوعة ، تقول بَغَيْتُه فانبغى ، كما تقول كسرته فانكسر ..... ويقال : انْبَغَى لفلان أن يفعل كذا ، أي صلح له أن يفعل كذا ، وكأنه قال : طَلَبَ فعل ذلك ، فانْطَلَب له أي طاوعه ، ولكنهم اجتزءوا بقولهم : انبغى الشيء : تيسر وتَسَهَّلَ "(١).

ويقول الفيروز آبادي " انْبَغَى الشيءُ : تَيَسَّرَ وتَسَهَّلَ ...... وما انْبَغَى لَكَ أنْ تفعلَ وما ابْتَغَى وما يَنْبَغي وما يَبْتَغِي "(٢).

ويقول الجوهري : " وقولهم يَنْبَغي لك أن تفعلَ كذا ، هو من أفعال المطاوعة ، يقال : بَغَيْتُه فانبغى كما تقول كسرتُه فانكسر(٣).

صحيح أنني لم أعثرْ على شاهدٍ لاستعمال (انبغى) ، ولكن عندما ينص أصحابُ ثلاثةٍ من المعاجم الذين يُوثَقُ بهم على أن الماضيَ مستعملٌ ، فربما يكون في هذا شيءٌ من الاطمئنان الذي يبعثه الشاهدُ في النفسِ .

يُضاف إلى ذلك ما أورده أبو زيد الأنصاري في نوادره " ما ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا ، وما يُنبغي بضم الباء ، وقد انبغى له "(٤).

---

(١) اللسان جـ١٨ ص ٨٠ .

(٢) القاموس المحيط جـ٤ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية ٢٢٨٣/٦ تحقيق أحمد عبد الغفور عطا دار الكتاب بمصر .

(٤) النوادر ص ٢٣٩ .

فاذا سلمنا بأن المضارعَ والماضيَ كليهما مستعملٌ ، فماذا عن الأمر ؟ نقول إن القياس لا يمنعُ من وجود فعل الأمر (انبغِ) كما أن فعلَ الأمر من (ابتغى) موجودٌ وهو (ابتغِ)(١) ، وكل من الفعلين مزيد بحرفين الألف والنون ، ثم الألف والتاء إلاّ أنّ الفعل (انبغ) غيرُ مستعمل ،لأن معناه في الأمر بعيد عن آية مناسبة تستدعي استعمالَه ، وما كان لإنسان أنْ يخاطبَ آخرَ أو يأمره بقوله (انبغ) ، وهذا يماثل تماما فعل الأمر (انكسر) .

---

(١) قال تعالى : " ولا تَجْهرْ بصلاتك ولا تُخافِتْ بِها وابْتَغِ بين ذلك سبيلا " الإسراء - ١١٠ .

أهلم وهـــــا

لقد جمعتُ بين هذين الفعلين لأنهما مشتركان في نـــــدرة الاستعمال ،بل نستطيع أن نقولَ في عدم الاستعمال ،لا سيمــــا في العصر الحديث ، هذه واحدة ، وأخرى أنهما مشتركان في وجــود حرف الهاء الذي هو بمثابة تنبيه وإعلام لما سيجيء بعده ، ولا بــد أن نتحفظَ فنقولَ إنّ (ها) اسم فعل بمعنى خذ ، إلاّ أنَّ لها أشكالاً أخرى تُعد فيها فعلا ، وسنأتي الى تفصيل ذلك .

فأما الفعل الأول (أَهْلُمُّ) فهو جواب من قيل له (هَلُــمَّ) ، إذ يرد قائلا (أَهْلُمُّ) أو (لا أَهْلُمُّ) ، تماما كمن يؤمر بفعل الأمــر: اقبل ، فيرد قائلا (أقبل) أو (لا أقبل) . جاء في اللسان ، إذا قال هَلُمَّ إلىّ ، قلت : إلامَ أَهْلُمُّ ، وإذا قال لك : هَلُمَّ كذا وكذا ، قلت : لا أَهْلُمُّه[1] "ومِنْ ثَمَّ فإنَّ (أَهْلُمُّ) لا يتصرف ، بل هو بـــاق في زمن المضارع ، ليس ذلك فحسب ، بل المضارع المنسوب إلى المتكلم ، والهمزةُ في أوله دليلٌ على ذلك ، فلا يقال يَهْلُمُّ أو تَهْلُمُّ كما هـو الشأن في يقبل ، ونص السيوطي على أنه لم يُستعملْ منه الماضـــي ولا الأمر في أكثر اللغات،كما نص أيضا على أنه يجيء بعد الحرفين (لا) و(لم)[2] " كما ورد في (أَهْلُمُّ) عدةُ لغاتٍ هي :

أُهَلِمُّ أَهَلُمُّ أُهُلُمُّ أَهَلُمُّ[3] .

---

(١) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ والصحاح ايضا ج ٥ ص ٢٠٦٠ وشرح المفصــــل ج ٤ ص ٤١ .

(٢) الهمع ٨٣/٢ .

(٣) اللسان ج ١٦ ص ١٠٢ : الأولى بضم الهمزة وفتح الهاء وكســـر اللام وضم الميم مع التشديد . والثانية مثلها الا أن الـــلام مضمومة . الثالثة بضم الهمزة وفتح الهاء واللام وضم الميم مــع التشديد . والرابعة بفتح الهمزة والهاء وضم اللام ، وضم الميم مع التشديد

غيرَ اننى لمْ اعثرْ على شواهدَ لاستعمال هذا الفعل ممـــا يجعل هذه الاحكامَ غيرَ متيقنةٍ ، هذا إلى انّ القياسَ والصنعـــةَ لا يأبيان مجيءَ الماضي ؛ فيقال هَلْمَمْتُ كَمَعْرَرْتُ ، وشَمْلَلْتُ علـــى وزن فَعْلَلْتُ (١) .

وقد بينّا ان (أَهْلُمُّ) إنّما هي جوابُ مَنْ قيل له (هَلُمَّ) ، فلا بأس إذاً من انْ نبينَ اصلَها بشيء من الإيجاز . فأما الكوفيـــون فَيَرَوْنَ ان الأصلَ فيها ، هل أم ، (٢) وزاد الرضي تفضيلا فقال " قال الكوفيون : اصله هَلَا أُمَّ ، و(هَلَا) كلمةُ استعجالٍ كما مرّ ، فَغُيِّرَ إلى (هَلْ) لتخفيف التركيب ، ونُقِل ضمةُ الهمزة إلى اللام ، وحُذفـــت كما هو في القياس نحو (قد افلح) " (٣) ويؤيدُ نسبةَ هـــذا الرأي إلى الكوفيين انّ الفراءَ قد أوْرَدَه في (معاني القـرآن) حيث يقول " ونرى ان قولَ العرب (هَلُمَّ إلينا) مثلَها - يقصد مثـــل اللهم - إنما كانت (هل) فضم اليها (أُمَّ) ، فتركت على نصبهـا " (٤) واما البصريون فَيَرَوْنَ انّ " اصلَها (ها المُمْ) فاجتمع ساكنـان : الألفُ من (ها) ، واللامُ من (المم) ، فحذفت الألفُ لالتقاء الساكين ، ونقلتْ ضمةُ الميم الأولى إلى اللام ، وأُدْغِمتْ إحدى الميمين فـــي الأخرى فصارت (هلم) (٥) وهذا الرأي نقلهُ ابنُ يعيشَ عـــن الخليل (٦) وكذلك رواه سيبويه حيث قال " كانها (لُمَّ) بضم الـــلام

---

(١) الخصائص جـ١ ص ٣٧٨ .

(٢) الإنصاف جـ١ ص ٢١١ .

(٣) شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي جـ٢ ص ٧٢ بيروت ط ٢ سنة ١٩٨٢ م والآية هي الأولى في سورة المؤمنين.

(٤) معاني القرآن للفراء جـ١ ص ٢٠٣ تحقيق أحمد يوسف نجاتـــي محمد على النجار الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠ .

(٥) الإنصاف جـ١ ص ٢١٤ .

(٦) شرح المفصل جـ٤ ص ٤١ .

وفتح الميم وتشديدها ، ثم أدخلت عليها الهاء كما أدخلت على (لا) " .[1]

وإذا كانت شواهدُ (أهَلُمَّ) معدومةً فإنّ شواهدَ (هلم) كثيرة

يبقى بعد ذلك (هَلُمَّ) في لغةِ بني تميم التي عدّها بعضُ النحاة فعلا غيرَ متصرف يقول السيوطي : " وهلم التميمية لم يستعمل منها إلاّ الأمر، أمّا الحجازيةُ فهي اسم فعل لا تلحقه الضمائر "[2] فبنو تميم يُجرونها مُجرى الفعل في اتصال ضمائر الرفع بها فيقولون هَلُمّا ، هَلُمّوا ، هَلُمّي،هَلْمُمْنَ[3] ، إلا أنّها وردت في القرآن الكريم على لغة الحجازيين ، قال تعالى : هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ "[4] ولم يقل هلموا[5] ، ولهذا السبب ـ فيما نظن ـ نصّ الرضيُّ على أنّ لغةَ بني تميم ليست بالفصيحة[6] ونحن نأخذ في هذا المجال برأي ابن جني أنَّ اللغاتِ تختلفُ ، ولكنَّ كلَّها حجةٌ وليس لك أن تَرُدَّ إحدى اللغتين بصاحبتها ، لأنها ليست أحقَّ بذلك من رسيلتها، وضرب مثالا على ذلك(ما) التي أعملها الحجازيون وبها جاء القرآن ولم يعملها بنو تميم، ورأى أن الاثنين يقبلهما القياس[7] . غير أننا لا نستطيع أن نقول مع السيوطي أنّ هَلُمَّ التميميةَ فعلٌ (جامدٌ)، بل هي باقية على أنها اسمٌ للفعل ويدلل ابنُ

---

(١) الكتاب جـ٢ ص ٦٧ .

(٢) الهمع جـ٢ ص ٨٣ .

(٣) شرح الكافية جـ٢ ص ٧٣ .

(٤) سورة الانعام اية ١٥٠ .

(٥) شرح الكافية جـ٢ ص ٧٢ .

(٦) السابق جـ٢ ص ٧٣ .

(٧) الخصائص جـ٢ ص ١٠ بتصرف .

يعيشَ على ذلك قائلا : " واعلم أن بني تميم وان كانوا يجرونها مجرى الفعل في اتصال الضمائر بها لشدة شبهها بالفعل وإفادتهـا إفادةَ الفعل ، فهي عندَهم أيضا اسمُ الفعل ، وليست مبقاةً على أصلها من الفعلية قبل التركيب والضم ، والذي يدل على ذلك أن بني تميم يختلفون في آخر الأمر من المضاعف،فمنهم من يُتْبِعُ ، فيقول (رُدُّ) بالضم و(فِرِّ) بالكسر ،و(عَضَّ) بالفتح ، ومنهم من يكسر على كل حال ، فيقول ردِّ وفرِّوعضِّ بكسر الأواخر ، ومنهم من يفتح على كل حال ، ثم رأيناهم كلَّهم مجتمعين على فتح الميم من هلمَّ ليس أحدٌ يكسرها ولا يضمها ، فدلَّ ذلك على أنها خُرِجَتْ من طريق الفعلية وأُخْلِصَتْ اسما للفعل نحو دونك ورويدك وعندك "[1] .

وأما (هَا) " فهو اسمٌ لخذ،وفيه ثماني لغات "[2] أوردهـا الرضي ، شتخذ منها ثلاث لغات " تكون فيها أفعالا غيرّ متصرفـة لا ماضي لها ولا مضارع وليست بأسماء أفعال "[3] .

فأما الأولى فهو أن تستبدل بالألف همزة ساكنة فتصبح هَـأْ وتتصرف تصرف ذر ودع فيقال هَأْ وهَئِي وهأْ وهَئُوا وهَأْنَ .

وأما الثانية فهي كالأولى إلاّ أنَّها تتصرف تصرف خف فيقال: هَأْ هَائِي ، هَاءَا ، هَاءُوا ، هِأْنَ .

وأما الثالثة فهي كالاولى أيضا إلاّ أنَّها تتصرف تصرف نـاد

---

(١) شرح المفصل ج٤ ص ٤٢ و ٤٣ .

(٢) شرح الكافية ج٢ ص ٦٩ .

(٣) السابق ج٢ ص ٧٠ .

فيقال هَاءِ وَهَاءِي وَهَاءِيَا وَهَاءُوا وَهَاءِينَ(١) ومن هذه اللغة قولُ الشاعر :

وَمُرْبِحٍ قَالَ لِي :هَاءِ فَقُلْتُ لَهُ * حَيَّاكَ رَبِّي لَقَدْ أَحْسَنْتَ بِي هَائِي(٢)

فالصُّورةُ واحدةٌ إذًا ولكنَّ الاختلافَ في طريقةِ التصريف.ومن اللغويين من يرى أن هاءِ بكسرالهمزة تعني هاتِ ، وبفتحها (هاءَ) بمعنى خُذْ(٣) .

وكما أنَّ (أَهْلُمُّ) ردٌّ وجوابٌ عن (هَلُمَّ) ، كذلك (هَاءَ) لهـا جوابٌ وهو (أَهَاءُ) وهو فعلٌ غيرُ متصرفٍ لم يأت فيه إلاّ المضارعُ المنسوبُ إلى المتكلم. قال الرضيُّ ، " وإذا قيل لك (هَاءَ) بالفتح قلت ما أَهَاءُ أي ما آخذُ وما أُهاءُ على مالمْ يسمَّ فاعلُه أي ما أُعْطَى " .(٤) وقد أورد السيوطي هذا الفعلَ إلاّ أنّه حذف الهمزةَ التي في آخره قال " و(أها) مبنى للفاعل بمعنى آخذ ، وللمفعول بمعنى أُعْطَى ، لمْ يُستعملْ منه غيرُ المضارعِ " .(٥)

ويجدرُ بنا أنْ نقولَ إنَّ كلَّ هذه الصورِ من الفعلين أهلُم وها قد هجرت الآن،ولم يبق من هذه المادة إلاّ (هَلُمَّ) التي قيل إنّ جوابَها أَهْلُمُّ .

---

(١) السابق جـ٢ ص ٦٩ و ٧٠ بتصرف وشرح المفصل جـ٤ ص ٤٣ و ٤٤ .

(٢) اللسان مادة ها جـ ١٥ ص ٤٨٢ .

(٣) الصحاح جـ١ ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) شرح الكافية جـ٢ ص ٧٠ .

(٥) همع الهوامع جـ٢ ص ٨٣ .

هـات وتعـال

وقد جمعنا هذين الفعلين معاً ، لأنهما من أشهر الأفعال غير المتصرفة وأكثرها استعمالاً ، ولأنهما اتّحدا في صيغة الأمر .

ولعلّ هناك شيئاً من التجاوز في جَعْلِنا الفعلَ (هات) فعـلاً غيرَ متصرف ، إلاّ أنّ هذا التجاوزَ ربما كان له ما يبرره ، فقد ذكر صاحب اللسان أن (هات) فعلُ أمرٍ من هَاتَى يُهاتِي مُهاتاةً بوزن مُفاعلة مثل عَاطَى يُعاطِي (١) ، وتحقيقاً لهذه المشابهة ، فقد وضعه صاحب اللسان في باب الواو والياء فصل الهاء : هتا مثل عطا ، ولم يَعُدَّ الأصلَ فيه هيت ، وكذلك فعل صاحبُ القاموس المحيط (٢) .

وذكر المرحوم الشيخ محمد محيي الدين أن (هَاتَي) (بفتح الهاء) على مثال قَاضَي يُقَاضِي (٣) .

وذكر السيوطي هذا الفعلَ (هَاتِ) مع الأفعال غير المتصرفة ، إلاّ أنه قال " وربما قيل هَاتَى يُهاتِي " (٤) .

ونصَّ ابنُ الأنباري على ان المضارعَ من هذا الفعل كان مستعملا " فاذا قال رجل لرجل : هات يارجل ، فأراد أن يقول له : لا أفعل ، قال : لا أُهاتِي " (٥) .

---

(١) اللسان مادة هتا جـ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٢) القاموس المحيط مادة هتا جـ٤ ص ٤٠٥ .

(٣) شرح شذور الذهب هامش ص ٢٩ .

(٤) همع الهوامع جـ١ ص ٨٣ .

(٥) شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٦ .

وهناك شطر من الرجز أنشده ابنُ منظور وابنُ يعيش ولم ألفْ على قائله وفيه المضارع : لله ما يعطي وما يهاتي "(١) .

من الواضح إذنْ أنَّ هذا الفعلَ متصرفٌ ، ولكنَّ المبرّرَ الذي من أجله وضعه السيوطي في باب الأفعال غير المتصرفة (٢) أنَّ كلَّ هذه التصريفاتِ قد أُميتت،ولم يبق إلاّ الأمر فقط فكأنه بذلك قد نُزّلَ مَنْزِلَةَ الفعلِ غيرِ المتصرفِ . وقد نصّ على ذلك ابنُ منظور حيث يقول " ولكنَّ العربَ قد أماتت كلَّ شيء من فعلها غير الأمر"(٣) ، فيقال : هاتِ ، وهاتيا ، وهاتُوا وهاتِي وهاتِيَا وهاتِينَ " (٤) .

قال امرؤ القيس :

إذا قلتُ هاتِي نَوِّليني تمايلتْ ** علىّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيّا المُخلخلِ (٥)

وربما اتصلت به هات المفعول به ، فيقال :

هاتِهِ ، هَاتِياهُ ، وهاتُوه ، وهاتِيهِ ، وهاتِينَهُ (٦) .

ولم يأتِ هذا الفعلُ في القرآن الكريم إلاّ في صيغة الأمر المسند إلى واو الجماعة (هاتوا) كقوله تعالى : " قل هاتُوا بُرهانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " (٧) .

---

(١) اللسان مادة هتا جـ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل جـ٤ ص ٣٠ .

(٢) همع الهوامع جـ٢ ص ٨٣ .

(٣) اللسان جـ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٤) شرح القصائد السبع الطوال ص ٥٦ .

(٥) السابق ص ٥٦ . (٦) اللسان جـ٢٠ ص ٢٢٧ .

(٧) البقرة آية ١١١ ، وقد جاء أيضا في الأنبياء — ٢٤ والنمل — ٦٤ والقصص — ٧٥ .

وينفرد الزمخشري من باقي النحاة بأنّه يعدّ هذه الكلمة (هات) اسمَ فعلٍ وليست فعلاً ، وقد ذكرها في أول مبحث أسماء الأفعال والأصوات وتابعه في ذلك شارح مفصله دون اعتراض عليه . قال الزمخشري " أسماء الأفعال والأصوات ، وهي على ضربين .... وهاتِ الشيءَ أي أَعْطِنِيهُ " [1] . وقال ابنُ يعيش شارحاً قولَ الزمخشري : " ومن ذلك هات الشيء أي أعطينه ، وهو اسم لأعطني وناولني ونحوهما ، وهو مبنيٌّ لوقوعه موقعَ الأمر ، وكُسِرَ لالتقاء الساكنين الألف والتاء وكأنه من لفظ (هَيَّتَ) ومعناه " [2] .

وواضح أنّ ابنَ يعيش جعل أصلَ المادة (هَيَّتَ) من حيثُ اللفظُ والمعنى لكي يستقيمَ رَأْيُهُ أنّ (هات) اسمُ فعل ، بعكس ما فَعَلَ صاحبا اللسانِ والقاموسِ المحيطِ اللذان جَعَلاَ أصلَ المادة (هتا) كما سبق .

وقد ردَّ ابنُ هشام وكذلك الشيخ محمد محيي الدين على قول الزمخشري بأنّ (هات) فعلٌ بدليل اتصال ضمائر الرفع البارزة بها ، ثم أنشدَ ابنُ هشامٍ بيتَ امرىء القيس إذا قُلتُ هاتي .... دليلاً على فعلية (هات) لاتصال ياء المخاطبة به ، أما اسمُ الفعل فهو كالمَثَلِ لا يتغيرُ فتقول مه للواحد والاثنين والجماعة [3] .

وربما كانت (الهاءُ) التي في أول (هات) هي التي أوهمت

---

(١) شرح المفصل جـ٤ ص ٢٥ .

(٢) السابق جـ٤ ص ٣٠ .

(٣) شرح شذور الذهب ص ٢٨ و ٢٩ وانظر هامشيهما .

الزمخشريَّ أن الكلمةَ (هات) اسمُ فعلٍ ، لأنَّ هناك كثيراً من أسماء الأفعال والأصوات تبدأ بحرف (الهاء) نحو : هَا وهَيْتَ ، وهَيْهاتِ وَهلاً وهَنْ ... .(١)

وقد رأى بعضُ النحاة — ربما من أجل رفع هذا الوهم — أنَّ (الهاءَ) في (هات) إنّما هي مبدلةٌ من الهمزة ، فالأصل آتي يواتي (٢) ، ولا يُستبعدُ مثلُ هذا الرأي ، فهناك كثيرٌ من حالات هذا الإبدال كقول رجلٍ من نُمَيْرٍ غيرِ معروفٍ :

أَلَا ياسَنا بَرْقٍ عَلَى قُلَلِ الحِمَى *** لَهِنَّكَ منْ برقٍ علىَّ كريمُ (٣)

أي لأنك :

وكبيت الشعر الذي لم يُعرفْ قائلُه :

وَأَتى صَوَاحِبُها فَقُلْنَ : هَذا الذي *** منحَ المودَّةَ غيرَنا وجَفانا (٤)

أي أَذا والهمزة للاستفهام .

---

(١) انظرْ مبحثَ أسماءِ الأفعال والأصوات في شرح المفصل ج٤ ص ٢٥ والكافية ج٢ ص ٦٥ وشرح التصريح على التوضيح ج٢ ص ١٩٦ وغيرها من المراجع .

(٢) اللسان ج ٢٠ ص ٢٢٧ وشرح المفصل ج٤ ص ٣٠ .

(٣) مغني اللبيب ص ٣٠٤ .

(٤) السابق ص ٤٥٥ .

وكقول الشاعر :

لهنّك مِنْ عَبْسِيَّةٍ لوسيمَةٌ ** عَلَى هَفَوَاتٍ كاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا[1]

ويقال : أرَقْتُ الماءَ وهناك من يبدل من الهمزة هاء فيقول هَرَقْتُ الماءَ .[2]

ولا يُستبعد مع هذه الحالات أن يكون آتِي يُؤاتِي هي الأصل في هَاتِي يُهاتي ، وبذلك ندفع وهم من رأى أن هات اسم فعل .

كان هذا من فعل الأمر (هات) فماذا عن(تعال) ؟ إنّ التاءَ في (تعال) زائدةٌ كقولك في الأمر تعلّمْ وتمرّنْ وتفضّلْ . وقد ذكر ابنُ منظور هذا الفعلَ - تعال - في مادة علا، وذكر من اشتقاقاتها علا ويعلو وحرف الجر على واستعلى والأعلى ، وَعالَيْتُه على الحمار وَعَلَّيْتُه عِلِّيَةً وناقة عَلِيَّةٌ وعِلّيانٌ أي مرتفعة السير ، والعلِّيُّون الذين ينزلون أعاليَ البلادِ .. "[3] .

فكل اشتقاقات هذه المادة تدل على العلو والارتفاع ، ومِنْ ثَمَّ كان فعلُ الأمر (تعال) بمعنى ارتفعْ واسمُ ، وهو من تعالَى يَتَعالَى كتَرَامَى يَتَرامَى "[4] . فهذا هو الأمر ثم الماضي ثم المضارع فكيف يكون الفعلُ غيرَ متصرف.إنّ عدمَ التصرف هنا مقترنٌ باستعمال معين لا يتعداه ، وذلك إذا استُعملت (تعال) في النداء بمعنى(أقبلْ)

---

(١) الإنصاف ج١ ص ١٢٩ .

(٢) شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٦ و ٢٦٥ .

(٣) اللسان مادة علا ج١٩ ص ٣٢٤ .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين ج١ ص ٢٨٢ .

ففى هذه الحالة يقتصر الاستعمال على الأمر دون غيره ، " فلا تقول تعاليت ولا ينهى عنه "[(١)] .

وأصلُ الفعل (تعال) كما يتبين من معناه " طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلا بذلك وإذناً للمدعوّ لأنّه من العلو والرفعة ، ثم تُوسع فيه فاستُعمل فى مجرد طلب مجيء،حتّى يقالَ ذلك لمن تريد إهانته كقولك للعدو : تعال،ولمن لا يعقل كالبهائم ونحوها ، وقيل هو الدعاء لمكان مرتفع،ثم توسع فيه حتى استعمل فى طلب الاقبال الى كل مكان حتى المنخفض "[(٢)] ، ولا يُبالُونَ أينَ يكون المدعوُّ فى مكان أعلى من مكان الداعى أو مكان دونه "[(٣)] .

أمّا إذا استعمل فى غير النداء فهو متصرف كأن تقول تَعالَى فلان عن الصغائر " أي بعُد وارتفعَ ، وكان يتعالى عليه " أي يناى بجانبه ويتكبَّرُ . وكما قلنا فى (هات) نقول فى (تعال) " إنّهما فعلٌ أمرٍ صريح وليس باسم فعل لاتصال الضمائر المرفوعة البارزة به ": تعالَيا وتعالَوا وتعالَى وتعالَيْنَ ؛ وجاء هذا الفعل مسنداً إلى واو الجماعة فى القرآن الكريم سبع مرات[(٤)] كما جاء مسندا إلى نون النسوة مرة واحدة[(٥)] .

ونظن أن هذين الفعلين فى صيغة الأمر : هات وتعال كثُر استعمالُهما الآن ، لا سيما على ألسنة العوام .

---

(١) اللسان جـ١٩ ص ٣٢٤ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص ٢٨٢ .

(٣) اللسان مادة علا جـ١٩ ص ٣٢٤ .

(٤) آل عمران : ٦١ و ٦٤ و ١٦٧ والنساء : ٦١ والمائدة : ١٠٤ ، الانعام : ١٥١ والمنافقون : ٥ .

(٥) الأحزاب : ٢٨ .

يَهيطُ ويَشْوِي

هذان الفعلان غيرُ مستعملين . فأمّا الأول فقد أُميت ، وقد ذكره السيوطي في الهمع حيث قال : " ويهيط : يصيح ويضج ، لم يستعمل إلاّ مضارعا . يقال : مازال منذ اليوم يهيط هيطا (١) . وقد ذكره ابن مالك أيضا في التسهيل (٢) .

وقد اقترنَ لفظُ (الهَيْط) بلفظ (المَيْط) ، فيقال هَيْطٌ ومَيْطٌ (٣) أي صياح وجلبة أو دنو وتباعد . والهائط الذاهب ، والمائط الجائي .

والذي أظنه أن هذين اللفظين وأشباهَهما كانا من نطق عوام العرب في عصور قديمة ، يدلّ على ذلك اختلاف عين الكلمة فيهما وفي أشباههما فيقال " مهايطة مما يطة ومعايطة ومسايطة " ثمّ إنّ النحاةَ ـ من بعدُ ـ قد وضعوا اسمي الفاعل (هائط ومائط) ، والفعلَ المضارع (يَهيطُ) ، فقالوا " مازال منذ اليوم يهيط أي يصيح " (٤) .

ولم أجد فيما اطلعت عليه من مراجعَ نحويةٍ ولغوية ـ عدا همعَ الهوامعِ وتسهيلَ الفوائدِ واللسانَ ـ شواهدَ لاستعمال هذا الفعل أو اسمي الفاعل ، بل لم أجدْ ذكرا للفعل نفسه أو لاسمي الفاعل . وقد نصّ ابنُ منظور على أنّ هذا الفعلَ قد أُميت (٥) .

---

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) التسهيل ٢٤٧ .

(٣) اللسان مادة هيط ج٩ ص٣٠٢ .

(٤) السابق ٣٠٢/٩ .

(٥) السابق ٣٠٢/٩ .

ولكنَّ الشيءَ اللافتَ للنظر هنا أنَّ ابنَ منظورٍ قد جمعَ بين (مُهَايَطة ومُسَايطة ومُعَايطة ومُمَايطة) ، فقال " يقال بينهما مهايطة ومسايطة ومعايطة وممايطة ، أي بينهما كلامٌ مختلف " فهل هناك علاقة بين هذه الكلمات ؟ أو قل هل هناك علاقة بين مادة هيط التي نحن بصددها وبين المواد ميط وعيط وسيط ؟

لقد رأينا أنَّ الفعلَ (يَهيطُ) بمعنى يصيح ، وهو غير متصرف ، فلا يستعمل الماضي هاط ولا الأمر هط ، غير أنَّ اقترانَ (هيط) بـ (ميط) في قولهم : " مازال في هيط وميط " وفي قول الفراء " تهايط القوم تهايطا " إذا اجتمعوا وأصلحوا أمرهم ، وتمايطوا إذا تباعدوا "(١) يشير في النفس الظنَّ أنَّ (هاط) كان متصرفاً ومستعملاً ، لأنَّ ماط الذي اقترن به متصرفٌ مستعملٌ . قال الأعشى مستعملاً المضارعَ والأمرَ :

فميطي تَميطي بِصُلْبِ الفُؤَادِ ** وَوَصَّالِ حَبْلٍ وكنَّادِها(٢)

وقال المثقب العبدي :

ولكنَّها مِمَّا تُميطُ مُسَوَّدةً ** بشاشةُ أدنى خُلَّةٍ تَستَفيدُها(٣)

وماط وأماط بمعنى بعُد وتنحَّى ، ومنه إماطةُ الأذى عن الطريق(٤) ، وحديثُ رسول الله صلى الله عليه وسلم " .. فاذا وقعتْ لقمةُ أحدكم(٥) فليأخذْهَا ، وليُمِطْ ما كان بها من أذى وليأكلْها ...

وأما مادة عيط فلها كثير من الاشتقاقات ، فمنها عاطَتِ النَّاقةُ عَيَاطا وتَعَيَّطَتْ ، واعتاطت أي لم تحمل سنين من غير عقر ، والأعيطُ العالي ، قال سويدُ بن كاهل اليشكري :

مُقْعِياً يَرْدِي صَفَاةً لم تُرِمْ ** في ذُرَى أَعْيَطَ وَعْرِ المُطَّلَعِ(٦)

---

(١) اللسان مادة هيط جـ٩ ص ٣٠٢ ومادة ميط حـ٩ ص ٢٨٦ .
(٢) في ديوانه القصيدة الثامنة ، البيت الثالث وعجزه : ووصول حبال وكنادها .
(٣) المفضليات ص ١٤٩ .   (٤) اللسان حـ٩ ص ٢٨٦ .
(٥) صحيح مسلم حـ٦ ص ١١٤ كتاب الأشربة . ط صبيح دون تاريخ .
(٦) المفضليات ص ١٩٩ .

وقال حارث بن حلزة :

قَبْلَ ما اليَوْمِ بيّضتْ بعيونِ الـ ** ناسِ فيها تعيط وإنـــــاء

أي ارتفاع وامتناع .[1]

وأما ساطَ ، فالسَّوْطُ خلط الشيء بعضه ببعض ، وساط الشـــيء سَوْطاً وسَوَّطَه[2] ، خاضه وخالطه . قال كعب :

لكنَّها خُلَّةٌ قد سِيط من دَمِها ** فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديـــلُ[3]

وسُمّيَ السَّوْطُ سَوْطاً ، لأنه إذا سِيطَ به إنسانٌ أو دابةٌ خُلط الـــدَّمُ باللحم[4] . قال الشماخ :

فصَوَّبْتُه كأنّهُ صَوْبُ غبيــــةٍ ** على الأمعزِ الضَّاحي إذا سِيطَ أحْضَرا[5]

وقد أوردتُ كلَّ هذه النصوص لأثبتَ أن ما اقترن بالفعـــل (يهيط) متصرف مستعمل ، فليس هناك ما يمنع من الظن أن (يهيط) نفسَه كان متصرفا ومستعملا ، ثم إنّه تلاشى تدريجيا حتى انقـرض وأُميت .

---

(١) شرح المعلقات ص ٤٥٨ .

(٢) اللسان جـ٩ ص ١٩٨ .

(٣) شرح ديوان كعب بن زهير ص ٨ . تحقيق السكري . دار الكتب ، ١٩٥٠ .

(٤) اللسان جـ ٩ ص ١٩٨ .

(٥) بحثت في ديوانه ص ٢٦ (بتحقيق الشنقيطي . مطبعة السعـادة ١٣٢٧هـ) ، فلم أجدْ هذا البيتَ ، ووجدتُ قصيدةً كاملةً مـــن البحر الطويل نفسه وحرف رويه الراء ونفس القافية ، ولكنني لم أجد هذا البيتَ منها ، والظاهرُ أنّه سَقطَ ، أو أنه زائد فيما اطلع عليه ابنُ منظور .

وأما الثاني (يَشْوَي) فقد وضعه السيوطيُ أيضاً في عداد الأفعالِ غيرِ المتصرفةِ ، حيث لم يُستعملْ إلاّ المضارعُ ولكنّ ابنَ مالكٍ لمْ يذكرْه في التسهيل (١) .

وهناك أكثرُ من نحوي ولغوي أنكروا وجودَ هذا الفعلِ ، أو حكموا بندرته وبأن المستعمل هو سَاوَى يُسَاوي . قال الفراءُ : هذا الشيءُ لا يُساوي كذا ، ولم يعرف يَسْوَى كذا (٢) وأيّدَه في ذلك الأزهريُّ وقال : " وقول الفراء صحيح " . وقال الليث :" يَسْوَى نادرة ولا يقال منه سَوِيَ ولا سَوَى " وقد رُوِى من الشافعي :" وأما لا يَسْوَى فليس بعربي صحيح " (٣) .

ونحن ـ بعد أن رأينا أن (يَسْوَي) غيرُ مستعملةٍ ويساوي هي المستعملة ـ أن (يَسْوَي) معدولةٌ عن يساوي إنْ صح هذا التعبيرُ (٤) وربما كان هذا (العدلُ) لهجةً من اللهجات أو هو للتخفيف من المد الذي في (يساوي) وأنه كان نطقَ نفرٍ من العرب ثمَّ انقرضَ هذا النطقُ بعد ذلك .

---

(١) همع الهوامع ٨٣/٢ .

(٢) الصحاح ج١ ص٢٤٨٥ .

(٣) اللسان ج٩ ص٣٠٢ .

(٤) أخذنا هذا الاصطلاح من قول النحاة في باب الممنوع من الصرف إنّ عمرَ معدولٌ عن عامرٍ وزفرَ معدولٌ عن زافرٍ .

نكر

ورد هذا الفعل في قول الله سبحانه وتعالى : " فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة "(١) .

وورد أيضا في قول الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ** من الحوادث إلا الشيب والصلعا(٢)

وفي قول أبي ذؤيب :

فنكرنه ، فنفرن ، وامترست به ** سطعاء هادية وهاد جرشع(٣)

وفي جميعها استعمل الفعل (نكر) في زمن الماضي ولم يجئ المضارع ينكر بفتح الياء ، وأقول بالفتح لأن المضارع بضم الياء جاء كثيرا وهو ماض أنكر .

وقد جاء في اللسان " أن نكر لم تستعمل في غابر ولا أمر ولا نهي "(٤) . وقد شككت في معنى غابر : هل هي بمعنى الماضي ؟ فرجعت الى اللسان أيضا (مادة) غبر فوجدت أن الفعل غبر بمعنى ذهب وبمعنى مكث وبقي ، فالغابر الباقي والغابر الماضي وهو من

---

(١) هود ــ ٧٠ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير . القصيدة الثالثة عشرة . تحقيق د.محمد محمد حسين بيروت ط ٢ ١٩٦٨ .

(٣) شرح المفضليات ص ٨٦٧ .

(٤) اللسان ج٧ ص ٩١ .

الأضداد . وقال الأزهري " المعروف الكثير أن الغابر الباقي قال : وقال غيرُ واحدٍ من الأئمة أن يكون بمعنى الماضي " .[1]

وعلى ذلك فإنّ معنى غابر في قول ابن منظور بمعنى باقٍ أي مضارع .

وحقيقةً الأمر أن نكِر وأنكر لغتان، ولكن المضارع يُنكر (بضم الياء) مستعمل للاثنين ولم يجيء المضارعُ من (نكِر). والذي يدل على ذلك :

١ ـ أنّ الطبريّ في تفسيره للآية الكريمة " نكِرهم وأوجس منهم خيفةً "[2] . قال : " نكِرتُ الشيءَ وأُنْكِرُه وانكرْتُه وأُنْكِرُه بمعنى واحدٍ". فجاء بالمضارع يُنكر بضم الياء للماضي الرباعي وجعله للثلاثي أيضا، ولم يجيء له يَنكر بفتح الياء ، وأنه عندما تعرض لبيت الأعشى .

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ** من الحوادث الا الشيب والصلعا

قال : " فجمع بين اللغتين " أي أنكَر ونكِر[3] .

٢ ـ كرر القرطبي ما قاله الطبري وزاد عليه أن نَكِرْتَ لما تراه بعينك وأنكرت لما تراه بقلبك[4] .

---

(١) اللسان جـ٦ ص٣٠٥ .

(٢) هود / ٧٠ .

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان ...) جـ١٥ ص٣٨٨ تحقيق محمود شاكر دار المعارف ١٩٦٠ .

(٤) تفسير القرطبي (الجامع لاحكام القرآن) جـ٩ ص٦٦ دار الكتب المصرية ١٩٣٩ .

٢ ـ قال شارح ديوان الأعشى عندما علق على بيته السابق " نكِرَه وأنكره : جهله ولم يعرفه " [١] فعطف الرباعي على الثلاثي مما يدل على أنهما بمعنى واحد .

فاذا عرفنا أنّ (نكِر) و(أنكَر) لغتان جاز لنا أنْ نقولَ إنَّ الثلاثيَّ هو الأصلُ ، وأنه كان لهجةً من اللهجات القديمة ، وكان له مضارعٌ (بفتح الياء) ثم تعدى الماضيُ بالهمزة فاصبح (أنكر) ومضارعه يُنكر (بضم الياء) ، ثم أصبح هذا الفعل هو المضارع لكل من الثلاثي نكر والرباعي أنكر ، وذلك بعد أن هُجر المضارعُ يَنكر (بفتح الياء) ، وصار الاستعمالُ مقصورا على ماضيه فقط (نكِر) .

---

(١) شرح ديوان الاعشى القصيدة الثالثة عشرة .

هــــد

غنى عن القول أن (هَدّ) فعل متصرف بمعنى هدم وكسر[١] .
ولكنه في استعمال خاص دال على المدح لم يجيء هذا الفعلُ إلاّ ماضيا ، وذلك في مثل " مررت برجلٍ هدّك من رجل[٢] " ، أي أثقلك وصفُ محاسنه[٣] وواضحٌ أنّ هناك علاقةً معنويةً بين الفعل (هدّ) بمعناه العام وبين معناه في المدح " أثقلك أو أعجزك وصف محاسنه " وأنشد ابنُ الأعرابي شطرا من الطويل :
وَلِي صَاحِبٌ في الدّارِ هدَّكَ صاحباً[٤] .

فـ (هَدَّكَ صاحِباً) و (هدك مِنْ صاحبٍ) لا فرق بينهما إلاّ في الحرف (من) وهو حرف جر زائد .

على أن هناك استعمالاً آخرَ لهذا الفعل ، وفيه يكون أيضا غيرُ متصرفٍ وذلك عند دخول لام التوكيد عليه ، فيقال : لَهَدَّ الرجلُ[٥] . أي ما أجلدَه وما أشدَّه ، تماما كما يقال " لنعم الرجل " ، ومنه قول أبي لهب " لهدّ ما سَحَرَكُمْ صاحبُكم[٦] " ويكون الاستعمالُ هنا للتعجب وليس للمدح .

وفي (هدّكَ مِنْ رَجُلٍ) لغتان فمنهم من يُجريه مُجرى المصدر فلا يؤنثه ولا يثنيه ولا يجمعه ، ومنهم من يؤنث ويثنى ويجمع فيقول : هدّاك وهدُّوك وهدّتك وهدّتاك وهدَدْنَك[٧] .

---

(١) القاموس المحيط ج١ ص ٣٦١ .

(٢) الهمع ٢/٨٣ .

(٣) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ .

(٤) السابق ج٤ ص ٤٤٤ .

(٥) القاموس ج١ ص ٣٦١ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ج٤ ص ٢٥٧ .

(٧) اللسان ج٤ ص ٤٤٤ .

نتائج البحث

وبعـــد ...

فلعلّي أكونُ أولَ من جمع الأفعالَ غيرَ المتصرفةِ وشبهَ المتصرفةِ ، وتناولها بالدرس والتحليل والتمحيص والتأصيل ، وبيّنت استعمالاتِها المختلفةَ ورصد التطورَ في هذه الاستعمالات ، واجتهد في بيان أسباب عدم تصرفها ، وهي أسباب تَمُتُّ بصلةٍ لبِنْيةِ بعض هذه الأفعال أو لأحكام استعمال بعضها ، أو لأنَّ بعضها قد أُميتَ وَحلّتْ محلَّها أفعالٌ أخرى .

ولم أرتضِ في بداية البحث التسميةَ الشائعةَ لهذه الأفعال وهي (الجامدة وشبه الجامدة) ورأيت أن التسميةَ اللائقةَ بها هي الأفعالُ غيرُ المتصرفةِ وشبهُ المتصرفةِ ، ذلك أن الجامدَ هو ما لم يؤخذْ من غيره ، وهذه الأفعالُ قد أُخذت من غيرها ، فكيف تكون جامدة ؟ ثم إنّ الجامدَ عكسُ المشتق والاثنان قسمان للاسم ، أما التصرف وعدم التصرف فهما قسمان للفعل ، اصطلح على ذلك جمهورُ النحاة ، إلاّ أنّهم عندما جاءوا إلى الأفعال موضوع بحثنا أطلقوا عليها الأفعالَ الجامدةَ وهذا لَبْسٌ وقعوا فيه ، وربما كانوا يقصدون بالجامد عكسَ المتصرف ، وليس عكسَ المشتق .

هذه الأفعال إذاً ليست جامدةً ، بل إنّها اشْتُقت أو أُخذت من غيرها ، من أجل هذا بَحَثْنا في الاشتقاق فوجدناه نوعين :

(أ) الاشتقاق بمعناه العام Derivation ، كأن تشتقَّ من الكلمة اسمَ فاعلٍ أو اسمَ مفعولٍ أو صفةً مشبهةً أو ... وهذا هو الاشتقاقُ المتعارفُ عليه مدرسياً ..

(ب) الاشتقاق التاريخي Etymology ، وهو التتبع التاريخي لمعاني المشتقات من الكلمة الواحدة ،أو إرجاعُ معنى من المعاني إلى اشتقاقه من كلمة ما لعلاقة دلالية قديمة تجمع بينهما ، وقد ذكرَ السيوطيُّ في مُزهره ، وياقوت في معجم البلدان ،وفندريس في كتابه (اللغة) أمثلةً كثيرةً لهذا النوع من الاشتقاق ، فـ (منًى) مثلا سُميت بهذا الاسم لما يُمنى فيها من الدماء ، والسِّندُ بلادٌ بين الهند وكرمان وسجستان، قالوا السند والهند كانا أخوين منْ وَلَدِ بوفيرَ بنِ يَقْطَنَ بنِ حامِ بنِ نوحٍ، يقالُ للواحد من أهلها سندي والجمع سند ، وماريشال إنما كان اشتقاقها من خادم الاصطبل في الألمانية القديمة ... إلى آخر ما جاء في هذه الكتب الثلاثة .

ولم يكنْ ذكرُ الاشتقاقِ التاريخي عبثاً أو إطالةً للبحث ، ذلك أننا اعتمدنا عليه في تأصيل أغلب الأفعال موضوعِ بحثنا ،بالرجوع تاريخيا إلى أصل المادة التي اشتُقَّ منها الفعلُ وبيانِ العلاقة الدلاليةِ بين أصلِ المادةِ والفعلِ ، وربّما استعنا في ذلك أيضا بالمقارنة اللغوية .

فالفعل غير المتصرف (لَيْسَ) مثلا نراه مكوناً من لا النافية والفعل أيس بمعنى يوجد أو يكون،بدليل قولهم لا يُعرفُ أيْسَ من

لَيْسَ ، أي لا يعرفُ ما يكون مما لا يكون . والخليلُ يرى الأصـــل فيها لا أيس ثم طرحت الهمزة والزقت اللام بالياء ، وهي في العبريـــة تتقارب في نطقها مع العربية بعد ابدال السين شينا .

والفعل (نِعْمَ) يَرْجِعُ إلى مادته الثلاثية (ن ع م) التي تَــدُلُّ على الترف وسعة العيش وبحبوحته والرخاء .وكلُّها معانٍ تـدعـــو إلى المدح الذي يدل عليه الفعلُ غيرُ المتصرف (نعم) والـذي وجــد بعد وجود هذه المعانــي .

وكذلك الحال في نقيضه (بئس) فستجدُ فكرةَ الاشتقـــاقِ التاريخي متحققةً أيضا ، فالمادة الثلاثية تشير إلى الضنك والضيـــق والبؤس ، فيُرَجَّحُ أنها في زمن ما قد استُعملت في معنى متقـارب لهذه المعاني وهي الذم ، ثم استمر هذا المعنى مستعملا إلى الآن .

وحبذا مكونة من حبَّ واسم الاشارة ذا ، وواضحٌ أن معنـــى المدحِ قريبٌ من (حب) بل ملتصق بها ، فالإنسان لا يمدح إلاّ ما يُحِبُّ

والفعل (لا يكون) انتُزِع من استعماله كفعل ناقص ، ووُضِع في أساليبِ الاستثناء على حالته تلك دون أن يتعداها إلى صيغـــة أخرى (كالماضي مثلا ...) ، ويدل على هذا (الانتزاع) أنّه محدود الاستعمال ، إنْ لمْ يكن نادرًا ، في أسلوب الاستثناء ، وهذا لـم يتمَّ في فترة محدودة ، بل هو نتيجةٌ للتطور في الاستعمال .... وهكذا نجد أن فكرةَ الاشتقاق التاريخي متحققةٌ في معظم هـــذه الأفعال .

والأفعال غير المتصرفة وشبه المتصرفة من (كان وأخوتها)هي: لا يكون وليس ودام وزال وفتئ ، وبرح وانفك .

فأما (لا يكونُ) فهو غيرُ متصرفٍ في حالةٍ خاصةٍ به ، وذلك عندما يكون فعلاً من أفعال الاستثناء ، ولا يوجد شاهدٌ على ذلك ، وكذلك الحال بالنسبة للفعل (ليس)، فلم أرَ شاهداً على استعماله كفعل من أفعال الاستثناء إلاّ قولَ رؤبةَ :

عَدَدْتُ قومي كعديدِ الطيشِ ** إذا ذَهَبَ الكِرَامُ لَيْسِي

وحديثَ رسولِ اللّهِ (صلى الله عليه وسلم) : " يُطْبَعُ المؤمنُ على كل خُلُقٍ ليس الخيانةَ والكذبَ " وقولَه : " .... ليس أبا الدرداء " وقد بحثت عن الحديث الأول في صحيح مسلم فلم أجدْه، ووجدتُه في إحياء علوم الدين بشيءٍ آخرَ ، لم يستعمل فيه (ليس) ، والثاني قال عنه محققُ المغني إنّه لمْ يجدْه في كتب الصحاح، وَوَرَدَ في معظمِ تراجم سيبويه . وهذا يدل على أن هذين الفعلين قد وُضعا أصلاً للنسخ وليس للاستثناء ، ويدل على ذلك أيضا أنّ إعرابَهما واحدٌ في الاستثناء والنسخ . وربما كان استعمالهما في أسلوب الاستثناء راجعاً إلى أنّ معنييهما واحدٌ ، وهو عدم الوقوع ونفي الكون المطلق ، وهو ما سوّغ للنحاة أن يقولوا بأنهما جاءا في بعض الأساليب للاستثناء .

واختلافُ النحاةِ في حرفية (ليس) أو فعليتها راجعٌ إلى الأصل الذي تتكون منه ، فهي مكونة – كما بيّنت – من الحرف لا والفعل أيس ، لذلك غَلّبَ بعضُ النحاةِ الحرفيةَ عليها ، وغلّب بعضُهم الفعليةَ ، وكان لكلٍّ فريقٍ شواهدُ من الاستعمال يؤيد بها رأيَه ، والحقيقة أنّ الإنسان لا يستطيع أن يضع تعريفا جامعا مانعا لكل ألفاظ اللغة ، بحيث يقع كلُّ لفظ تحت عنوان محدد : اسم أو فعل أو حرف ، ذلك أنّ الحدودَ اللغوية إنما وُضعتْ بوجهٍ عام، ولم تحسب ورودَ

كلمةٍ مثلِ (ليس)، فبها تَدْرٌ من خصائصِ الحروف وقدرٌ من خصائص الأفعال، ومن غير الممكن أن نضعَ تعريفاً جامعاً لها ولأمثالها مانعاً غيرَها من الدخول في هذا التعريف. وذلك لأن (ليس) ليست أصلا في ذاتها .

والفعلُ (دام) متصرفٌ، وله كثيرٌ من الاشتقاقات وذلك في كل معانيه ، إلاّ حيثُ يكون فعلا ناقصا من أخوات (كان) ، فإنّه حينئذ لا يجيء إلاّ في زمن الماضي ، ولا يجاوزُه إلى المضارع أو الأمر أو اسم الفاعل ..... ، وما كان ذاك إلاّ لسبقه بـ (ما) المصدرية الظرفية التي لا تدخل في الأغلب الأعم إلاّ على الفعل الماضي ناقصاً كان أم تاماً ، وربما تدخل - في بعض الأحيان - على المضارع ، شريطة أن يكون مسبوقا بـ (لم) ، وغيرُ بعيدٍ عنا قولُ النحاة " لم حرف نفي وجزم وقلب " فالمضارع في تلك الحالة إنما هو ماضٍ في زمانه .

على أن الصبان لم يفرق بين استعمال (دام) الناقصة في الماضي وبينها في المضارع (يدوم) أو في المصدر (دوام) ولكنه لم يأت بشاهد على ذلك .

يبقى بعد ذلك من أخوات كان : زال وانفك وفتىء وبرح وهي شبهُ متصرفةٍ ؛ أي أنّ تصرفَها غيرُ كاملٍ ، فلم يُستعملْ منها الأمرُ أو المصدرُ ، وجميعُها تعطي معنى واحدا وهو الزوال والذهاب والتلاشي والانقضاء ، فكأننا عندما ندخل عليها حرف النفي (ما) نطبق القاعدة التي تقول : " نفي النفي إثبات " ، ومن ثمّ فهي تدل

على الاستمرار . أما عن عدم مجيء الأمر أو المصدر من هـــــذه الأفعـــــال فأمرٌ يرجع إلى طبيعة استعمالها ، إذ لا بد أن يكونَ قبلَها نفيٌ،ومعروفٌ أنَّ (لا) النافيةَ لا تدخل على فعل الأمر، إذ إنه حينئذ يصبح فعلا مضارعا مجزوما بـ (لا) التي أصبحت ناهيـــــة نحو : العبْ ولا تعلبْ ، وكذلك الحالُ في تلك الأفعال ، فالأمـــرُ من زال : زل ، فاذا أدخلنا (لا) قبلَ الأمرِ صارت بمشابة نهي ، وصار الفعلُ بعدها مضارعا مجزوما بها كقول الشاعر :

صَاحِ شَمِّرْ ولَا تَزَلْ ذاكِرَ المَوْ *** تِ فَنِسْيَانُه ضَـلَالٌ مُبِيــنُ

أو بقيت نافيةً والفعلُ بعدها يكون مضارعا مرفوعـــا كقـــول الشاعر :

فقلتُ يَمِينُ اللهِ أبْرَحُ قَاعِداً *** وَلَوْ قَطَعُوا رَأسي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي

أي : لا أبرحُ .

هذا عن (لا) . أما (ما) النافية ، فهي لا تدخل على الأمر بوجه عام.ولما كان المضارعُ يضارعُ اسمَ الفاعلِ جَازَ استعمالُ اسمِ الفاعل من هذه الأفعال . هذا عن الأمر،أمّا عن المصدر فإن استعمالَه ناقصا ، أي عاملا عمل (كان) ، أمرٌ لم يجرِ الاستعمالُ بـــــه ، لأنَّ التركيبَ حينئذ لا يسمح بذلك والمعنى لا يَتَأتّى . ويتضح ذلك في قولنا "لا زوال لجرى محمد " إذا استبدلناها بـ " لا يزال محمدٌ جاريا " أو " مازال محمدٌ جاريا " فاستعمالُ المصدرِ في الجملــة الأولى بَعَّدَ المعنى ، وَجَعَلَهُ غريباً غيرَ سائغ،هذا بالإضافة إلـــى استعمال حرف الجر (اللام) في (لجرى) الذي نقض عمــــل (زال) ،

وأصبحت الجملة مثالا على (لا) النافية للجنس أكثر من كونهـــــا شاهداً على (زال) الناقصة .

ومن الأفعال موضوع بحثنا أفعالُ المقاربة : كاد وكـــرب وأوشك فهي شبه متصرفة . فأما (كاد) فيأتي منها الماضـــي والمضارع ، والاثنان متقاربان في الاستعمال ، أمّا اسمُ الفاعـــل فلم نره مستعملا إلاّ في بيت كثير عزة :-

أَمُوتُ أسىً يومَ الرِّجَامِ وإنَّنِي ** يَقِيناً لَرَهْنٌ بالَّذِي أنَا كَائِدُ

ومع ذلك فإنّ هناك روايةً أخرى لهذا البيت تنتهي بـ(كابد)

ولقد رأينا أن نفيَ (كاد) نفيٌ ، وإثباتَها إثباتٌ بعكس ما يرى بعض النحويين . وهناك لهجات في (كاد) فقد ذكر سيبويه (كِيد) بكسر الكاف كما هي مكسورة في (كِدت) ، وأورد ابنُ منظور لغةً لبني عدي فهم يقولون : كُدت بضم الكاف .

وأما كَرَبَ فتأتي في الماضي ليس غير ، وهي قليلةُ الاستعمالِ ، أما الشائعُ فهما الفعلان كاد يكاد ،ويوشك .

ومادة (كَرَبَ) في الأصل تدل على الضيق والغم والحـــزن فما العلاقة بينها وبين (كرب) بمعنى قَرُبَ ؟ ان العلاقة تكمن فـي اللفظ وليس في المعنى فكلمة (قرب) هي نفسها كلمة (كرب) بعــد إبدال القافِ كافاً ، ثم إنَّ القافَ والكافَ - موضعَ الاختلافِ - مـــن

مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين على ما بيّنّا في البحث ، وعلى ذلك فنظن أنّ الأصلَ هو (قَرُبَ) المتصرف،ثم إنّه لنطق معين فردي أو لجماعة ، خَفَّفُوا القافَ فصارت كافا،ويدلّ على ذلك أيضا أن صاحبَ المخصص ذكر تحت عنوان (القرب) الفعلين قرب وكرب ولم يفرق بينهما .

وأفعال الشروع : شَرَعَ وأَنْشَأَ وطَفِقَ وأَخَذَ وعَلِقَ وهَبَّ وجَعَلَ وهَلْهَلَ . ومن النحاة من زاد عليها قام وقعد ، وجميعُها غير متصرفة ، فهي ملازمة لصورة الماضي وذلك إذا استعملناها للشروع، أما إذا استعملت لغير الشروع فهي متصرفة . ولمّا كان لهذه الأفعال معانٍ متعددةٌ عندما تستعمل لغير الشروع،فقد رأينا أنّها استعملت للشروع نقلا وليس ارتجالا ، وقد بعث في نفس الاطمئنانَ إلى هذا الرأي أنّ فكرةَ النقل والارتجال متحققةٌ في ظاهرتين لغويتين : العَلَم وأسماءِ الأفعال ، هذه واحدةٌ،وأخرى أنّ شواهدَ استعمال هذه الأفعال للشروع قليلةٌ،بل نستطيع أن نقول إنّه شاذٌّ ، وينعدم بالنسبة إلى بعضها في حين أنّ استعمالَها لغير الشروع له شواهدُ كثيرةٌ بينّاها في موضعها ، كلُّ هذا يقوي الظنَّ أنّ استعمالَها للشروع كان نقلاً وليس أصلاً ، ثم إنّها عندما استعملت للشروع لزمت صيغةً واحدةً لا تتعداها ، بعد أن كانت متصرفةً في الأفعال الأخرى . وقد بينّا كلَّ ذلك بالشواهد . ورأينا أن الفعل (عَلِقَ) مثلا قد شغل من لسان العرب ما يزيد على أربع صفحات تشمل استعمالاته المختلفةَ وشواهدَ هذه الاستعمالات في

غير الشروع ، أمّا استعمالُه للشروع فلا شاهدَ له إلاّ البيتَ الذي أنشده الأشموني وهو غيرُ معروفِ القائل :

أَرَاكَ عَلِقْتَ تَظْلِمُ مَنْ أَجَرْنَـــــا ** وظلمُ الجَارِ إِذْلالُ المُجِيرِ

وهذه الأفعالُ وإنْ كانت منقولةً وليست مرتجلةً ، فإنَّ هناك مبرراً لهذا النقل وهو أن من معانيها ما يُتلمَّسُ فيه البدايــــةُ أو الشروعُ،وقد بينّا ذلك في موضعه ، ويبدو أنَّ الفعلَ (طَفِــقَ) دونَ غيرِه من أفعالِ الشروع ، استُعمل للشروع ارتجالاً وليس نقــلاً، لأنَّ المعنى الغالبَ عليه في المعاجم هو معنى الفعل لزم الذي يُعطــي معنى الشروع أيضا .

وعسى وحرى واخلولق أفعالٌ للرجاء غيرُ متصرفة . فأمّــــا عسى فمعناها في غير الرجاء كما في اللسان : عَسَا الشيخُ يَعْسُو ، أي كَبِرَ،وعسى النبات أي غَلُظَ وَيَبِسَ وعسى الليلُ اشتدت ظلمتُه ، ولكــي نوثقَ العلاقــةَ بين معنى الشروع وتلك المعاني رأينــا لذلـــك احتمالين :

الاول : أن نتلمّسَ هذه العلاقةَ بشيء من التلطف وحســــن الصنعة ، وذلك أن عسا الشيخ بمعنى كبر ; أي بلغ النهايةَ أو قاربَها وعسى النبات أي غَلُظ ويبس أي بلغ النهايةَ أيضا أو قاربهـــا ، وبالنسبة لليل ، أي اشتدت ظلمته أي بلغت الذروة بعد انتهاء النهار فهل تعني(عسا) أو (عسى) بذلك بلوغَ الغاية أو قربَها ؟ ويكــون في ذلك شبها بالرجاء ، فهو أيضا يدل على بلوغ الغاية أو مقاربــة بلوغها . لو أننا نملك من أدوات البحث ما يمكننا من معرفــة الاستعمالات المختلفة لهذا الفعل وتطورها وترتيبهــا التاريخي ـ أقول لو أننا نملك ذلك ـ لقطعنا بصحة هذا الاحتمال ، ولقلنــا إنّ هذه الاستعمالات تعزو إلى الاشتقاق التاريخي لهذه الكلمة مــن حيث المعنى .

الثاني : أن تكون (عَسَا) أو (عَسَى) اختصاراً لكلمةٍ أكبر كانت تُستعمل لتلك المعاني جميعاً ومنها الرجاءُ ، ثم اختُزلت أو اختُصرت حتى صارت على صورتها هذه ، يؤيد ذلك أبحاثُ بعض اللغويين الذين يَرَوْنَ أنّ التطورَ في بنيةِ الكلمةِ كان نحوَ الاختزالِ والاختصار لا نحوَ التكثير أو التفخم ، مثالُ ذلك أنّ (سوف) يقال فيها (سف) و (س) و (سو) ،ويقال في (كيف) (كي).
يضاف إلى ذلك أنّ هناك ألفاظاً مشتقةً من هذا الفعل تدل على الرجاء ،وذلك نحو (المُعْسِية) كمُحسنة ، وهي الناقة يشك أنها لَبِنٌ أَوْ لاَ و(المعْساة) الجاريةُ المراهقة التي يظن من رآها أنها توضأت ، فالناقة يُرجى لبنُها والفتاةُ يُرجى طُهْرُها . والحجازيون يلزمون عسى الإفرادَ والتذكيرَ ، أمّا بنو تميم فيطابقون بينها وبين الاسم قبلها : زيد عسى ... الفتاة عست ـ الفتيان عسين ...
وظنّي أنّ لغةَ بني تميم هي الأقدمُ ، فإسنادُ الفعل إلى ضمير يَرْجِعُ إلى المسند إليه أمرٌ منطقي ويتماشى مع استعمال الأفعال الأخرى نحو الزيدان ضربا والهندات ضربن ، إلاّ أنّ عدم تصرف هذا الفعل ولزومه صيغةً واحدةً وهي صيغة الماضي قد جعله عند تطور الاستعمال بعد ذلك يتخلص من تلك الضمائر وكأنه قد ثبت على صورة واحدة ـ وهي عسى ـ لا يتعداها ، وقد بينّا بعد ذلك الاستعمالات المختلفة لعسى من حيث كونُها فعلاً أو حرفاً .

والفعل (اخلولق) نادرُ الاستعمال إنْ لَمْ يكنْ غيرَ مستعمل إطلاقاً ، وظنّي أنّه مصنوع ، فقد صاغه النحاةُ من (أَخْلَقَ) على وزن افعوعل ، كاعشب واعشوشب ، وهذه الطريقة ذكرها ابنُ

جنى وغيرُه كثيرا ، فقال : كيف تبنى من كذا على وزن كـــذا ؟ ويقوّي ذلك أنّ المثالَ الوحيدَ لهذا الفعل فى كتب النحو (اخْلَوْلَقَــتْ السماءُ أن تُمْطِرَ). ويبدو أن هذا المثالَ له علاقةٌ بالمثال الــذي ورد فى لسان العرب (اخلولق السحاب) ، أي استوى وارتقت جوانبـه وصار خليقا بالمطر ، فربما كان هذا المثال مفسرا لاستعماله عنـد النحاة - وليس عند عامة العرب - كفعل من أفعال الرجاء ، ذلــك أن (اخلولق السحاب) يدلُّ على أن المطرَ آتٍ ، والماء - كما هـــو معلوم - مَعْقِدُ الرجاء عند العرب ومبعَثُ الأملِ فيهم .

والفعل (حَرَى) غيرُ مستعمل أيضا ، وربما كان من الاســـم (حَرِيٌّ) الذي يستعمل ومعه أيضا (أحرى) بمعنى (أخلق) ونظــــن أن (حَرَى) استعمل فى فترة لغوية محدودة ، وبقى على حالته تلك لا يتصرف ثم أُميت ولم يردْ ذكرُ (حرى) و (اخلولق) فى القرآن .

ومن الأفعال غيرِ المتصرفة (تعلّم) بمعنى(اعلم) و (هَبْ) بمعنى (ظُنّ) وهما من أفعال القلوب نسبة إلى القلبِ موطنِ الفهـــم والمعاني العقليةِ عند العرب .

فأما الفعل الأول وهو (تعلَّم) ، فإنه غيرُ متصرف ويبقى فى صيغة الأمر بشرط أن يكون معناه (اعْلَمْ) . والفرق بين تَعَلَّمَ وَعلِمَ أن الأول بمعنى تكلف العلم ، والفعلان يدخلان فى دائرة الأمـــور العقلية التى موطنها القلب عندهم . ويبدو أنّ بعضَ القبائلِ العربية كانت تستعملُ فعلَ الأمر تعلَّمْ مكان اعْلَمْ ، ولا يزال السعوديـــون

يقولون :(أُعْلِمُكَ) ، ولا يقصدون بها التعليم أو التدريس مثلا ، بل يقصدون أعرفك.

وأما الفعل الثاني (هَبْ) فلا يتصرفُ إلاّ إذا كان بمعنى(ظُنَّ) ، أما إذا كان بمعنى أعْطِ أو أنْعِمْ فهو يتصرف ، كذلك يجيء الفعلُ (وَهَبَ) مع أفعال التصيير : جعل واتخذ وترك .. ويبدو أنَّ (هب) بمعنى(ظُنَّ) كان غيرَ متصرفٍ لتخصيصه بهذا المعنى دون غيره .

ومن الأفعال غير المتصرفة نعم وبئس وهما منقولان-كما بينّا-من نَعِمَ وبَئِسَ . وبسبب هذا النقل لزما صورةً واحدةً لا يتعديانها، واكتسبا في الوقت نفسه شيئاً من خصائص الاسم التي تظهر في دلائل الكوفيين ، وشيئاً من خصائص الفعل التي تظهر في دلائل البصريين . وحبذا ولا حبذا يشبهان نعم وبئس في المعنى ويأتيان على صورة الماضي ليس غير وقد تناولناهما من حيث التركيب والإعراب والاستعمال ورجّحنا أنهما لم يُستعملا حتى العصر الإسلامي وأنَّ كلاًّ من (نعم) و (بئس) أقدمُ في الاستعمال منهما .

ومن الأفعال غير المتصرفة التي ألحقها النحاة بنعم وبئس - فعلان الأول : الفعل الماضي على وزن (فَعُلَ) بضم العين ، فالفعلُ الماضي لا يجيء على هذه الصورة — ويكون متصرفاً — إلا إذا دلَّ على غريزة أو طبيعة أو أشبه ذلك . والصيغتان الأُخْريان (فَعِل) بكسر العين و(فَعَل) بفتحها ،إذا حولتا الى صيغة (فَعُل) بضم

العين ، فإنّ هذه الصيغة لا تتصرف دليلاً على أنها منقولة نحو ظرُف الرجلُ وعلُم (بضم الضاد واللام) بمعنى ما أظرفه وما أعلمه ، وهذا المعنى يوضّح لنا أن من النحاة من ألحقَ هذا الصيغةَ بصيغة التعجب (ما أفعله) ، ولم يرتضِ إلحاقَها بالمدح والذم ، ولا فرق عندي فهي تفيد المدح والتعجب منه ، أو الذم والتعجب منه في الوقت نفسه .

الثاني : ساءَ وهو فعلٌ يبقى في حالة الماضي إذا كان للذم ، ويتصرفُ في غير ذلك ، ويُشبِهُ في ذلك (لايكون) فهو لا يتصرفُ في الاستثناء ، ويتصرفُ في غير ذلك وقد جاء الفعلُ (ساء) غيرُ المتصرفِ في القرآنِ كثيرًا ، وقد ساوى القرطبي بين (ساء) و(بئس) في تفسيره للآية " فساء قرينا " ، وهذه الآية تدل على أنّ (ساء) غيرُ متصرف ، وذلك لسبب بسيط وهو اقترانه بالفاء ، فالفاء - كما هو معروف - تقترن - فمن ما تقترن - بجواب الشرط إن كان ماضياً غيرَ متصرف .

وصيغتا التعجب القياستيان في العربية (ما أفعلَه)و(أفعِلْ به) وهما فعلان غيرُ متصرفين ،لأنَّ التعجبَ قد لزم هاتين الصيغتين ولم يتعداها إلى صيغ قياسية أخرى . وهاتانِ الصيغتانِ من أقدمِ صيغ العربيةِ وتُمثلانِ اللَّبِنَةَ الأولى في بناء النحو بدليل ورودهما في حوار أبي الأسود الدؤلي مع ابنته " ما أحسن السماء" " وما أشد الحر " حيث أخطأتِ الابنةُ ونطقت الجملتين برفع النون والدال

واختلفت النحاة في (ما أفعلَه) : هل هي اسمٌ أو فعلٌ ، واختلافُهم غيرُ منهجي ، فقد جمعت خصائصَ من الاسم وخصائصَ من الفعل ،وكان الدكتور تمام حسان على حقّ حينما عدَّها قسماً

خاصاً من أقسام الكلام أسماه (الخالفة) . ولم نرتض تأصيل النحاة لصيغة (أفْعِلْ به) ، لأنه تأصيلٌ لا أصلَ له في اللغة وليس مطابقا لواقع الاستعمال اللغوي . ولقد وضع النحاة شروطا للفعل الذي يصاغ على (ما أفعله) أو (أفعل به) وهو شروطٌ مبنيةٌ على استقراء وورود هاتين الصيغتين في كلام العرب ، وقد عللنا لوجود هذه الشروط تعليلا لغويا يمسُّ واقعَ الاستعمال،ويبعدُ عن الفلسفة والمنطق ، وقد نقلنا في تعليلنا لهذه الشروط بعضَ أقوالهم في ذلك .

ويبقى بعد ذلك بابُ الاستثناء ، وفيه أفعالٌ غيرُ متصرفة وهي ليس ولا يكون – وقد تناولناهما في أول هذا البحث في باب كان وأخواتها – وعدا وحاشا . وهذه الأفعالُ لها معانٍ كثيرةٌ ، وبعضُ المعاني له صلة بالاستثناء فهي تدلُّ – فيما تدلُّ – على المجاوزة أو البعد أو الترك ، وهو ما يتفق مع معنى الاستثناء ، وهي في ذلك غيرُ متصرفة لخصوصيتها بمعنى واحد وهو الاستثناء .

على أن هناك أفعالاً أخرى غيرَ متصرفةٍ أو شبهَ متصرفةٍ لا تَنْدَرِجُ تحت باب من أبواب النحو :

من هذه الأفعال الفعلان وَذَرَ ووَدَعَ . فالمستعملُ منها الأمر والمضارع ، أما الماضي فلم يستعمل ، فهما شبهُ متصرفين من ناحية الاستعمال ليس غير ، إذ إنَّ القياسَ لا يأبى مجيءَ الماضي أيضا كما هو الحال في وَزَنَ يَزِنُ وَزْنًا ، إلاّ أن الاستعمال هجرَ الماضيَ

منهما واستعاض عنه بـ (ترك) . وباستقراء النصوص التى ورد فيها الماضي (ودع) والمصدر (ودعا) تبيّن لنا أنّهما لم يكونا مهجورين فى فترة نزول القرآن ، وعلى حياة الرسول(صلى الله عليه وسلم) واستمر استعمالُهما حتى السنين الأولى من النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ، وبعد ذلك هُجرَ استعمالُهما ولم يبقَ مستعملاً إلا المضارعُ والأمرُ .

ومنها (كَذَبَ عَلَيْكَ) وهو أسلوبٌ خاصٌّ فى الإغراء يكون فيه الفعل (كَذَبَ) غيرَ متصرفٍ ، وقد هُجر الآن ولم يَعُدْ مستعملاً،وجميعُ شواهدِه لم يتعدَّ زمانُها زمنَ الرسولِ (صلى الله عليه وسلم) والخلفاءِ الراشدين من بعده . وربما كان هذا الأسلوبُ (كَذَبَ عَلَيكَ) مُسْتَغْرَباً اليومَ،ولكنه لم يكن كذلك حين اُستعمل ، وربما كان مشابهاً للتعبير الذي يَسْتَعمِلُه مَوَاطِنَنَا اليومَ (عليك الحرام أن تفعل كذا) أي يحلّ الحرامُ إنّ ... ، كما أن (كذب عليك) معناها : يحل بك الكذب . وواضحٌ أنّ بينَ الكَذِبِ والحرامِ علاقةً وثيقةً .

ومنها الفعل (تبارك) ، ومادته بَرَكَ يأتى منها معانٍ كثيرةٌ ولكنّ الفعلَ(تبارك) غيرُ متصرفٍ ، فلا يأتى منه مضارعٌ ولا أمرٌ ولا اسمُ فاعلٍ .. وقد جاء فى القرآن الكريم مقصوراً إسنادُه إلى اللّهِ لبيّنَ غيره ، وربما كان هذا هو سببَ عدمِ تصرفه للإشعار بأنّ التمجيدَ والرفعةَ إنّما هى لله دونَ غيره ، وللإشعار أيضا بأن هذا الفعلَ ـ وإنْ كان قد توقّفَ عند صيغة الماضي ـ يدلُّ على الحالِ والاستقبالِ أيضا ، مَثَلُه فى ذلك مَثَلُ الفعلِ (كان)فى القرآن الكريم

عندما يكون اسمُه لفظَ الجلالةِ مثل " وكان الله سميعا بصيرا " " وكان الله عليما حكيما " .

و(قَلَّ) فعلٌ متصرفٌ إلاّ أن من النحاة من جعلَه غيرَ متصرفٍ في أسلوب خاص به لا يتعداه وهو " قلَّ رجلٌ يفعلُ ذلك " بمعنى " ما رجلٌ يفعل ذلك " ولما كان الفعلُ (قلَّ) هُنا يساوي (ما) الحرفيةَ في المعنى،فقد مُنِعَ من التصرف لشبهه بالحرف . ولَمْ نؤيدِ النُّحاةَ في ذلك ، لأنهم لم يأتوا بشاهد،واعتمدوا على مثال من صنعهم ، ولم يذكر سيبويه هذه المسألة في كتابه ثم إنّ قولَهم إنّ (ما) تساوي (قل) فيه نظرٌ ، فعلاقةُ المساواة هذه تجدها في المسائل الرياضية وهي بعيدةٌ عن اللغة أو قُلّ غريبة عليها .

والفعل (سقط) غيرُ متصرف في استعمال بعينه،ويدل حينئذ على الحسرة والندم ، وهذا الاستعمال هو (سُقِطَ في يده) ويكون الفعل (سقط) في هذا الاستعمالِ مقصورًا على الماضي الذي لم يُسَمَّ فاعلُه دون إسناد أيةِ ضمائرَ له ، فلا يُقال يسقط ولا سقطوا ولا يسقطون ... وهذا التركيب لم يعرفْه العربُ إلاّ بعد نزول القرآن حيثُ جاءَ في الآيةِ التاسعةِ والأربعين بعد المائة من سورة الأعراف " ولما سُقِطَ في أَيْدِيهِمْ ورَأَوْا ..." ولمْ يُعرفْ قبلَ ذلك .

ومن النحاة من يَعُدُّ (عِمْ) في (عِم صباحاً) غيرَ متصرفٍ لا يأتي منه مضارعٌ ولا ماضٍ ، أي أنهم لم ينطقوا بـ(وَعَمَ) (يَعِمُ) . ومن النحاة من لا يعد(وعم يعم عم) أصلاً مستقلاً بنفسه،بل إنّ

(يعم) عندهم محذوفٌ من (ينعِمُ) ، ولذلك أجازوا (عم صباحـــا) بفتح العين وكسرها كما يقال انعَم وانعِم . ونحن لا نميل الى هذا الرأي ، كما أنّ القولَ بأنّ المضارعَ غيرُ مستعملٍ مردودٌ بقول امرئ القيس :

.... ** وهل يَعِمَنْ مَنْ كانَ فى العُصُرِ الخالى

ثم كرّرَ المضارعَ بعد ذلك مرتين .

أما الماضي فلم نعثر على شواهد لاستعماله ، ولكنّنـــا لا نستبعدُ استعمالَه فقد ذكر الأزهريُّ عن يونسَ بنِ حبيبٍ أنّه قـال وَعَمْتُ الدّارَ ، أعِمُ وَعْماً أي قلت لها انعَمِي .

ومن النحاة من يرى الفعلَ (ينبغي) فعلاً غيرَ متصرفٍ مقصوراً على المضارع ليس غير ، ولا نَرَىَ رأيَهم ، بل إنّ ماضيَه مستعمـــلٌ أيضا بدليل ما جاء فى نوادرِ أبي زيدٍ الأنصاريِّ وما نصَّ عليـــه بعضُ أصحابِ المعاجم ، أما الأمرُ منه فالقياسُ لا يأبى مجيئه (انبغ) ولكنه غيرُ مستعملٍ ، لأنّ معناه فى الأمر بعيدٌ عن أية مناسبـــة تستدعى استعمالَه ، وما كان لإنسان أن يخاطبَ آخرَ أو يأمـــرَه بقوله : انبغ .وهذا يماثلُ فعلَ الأمر (انكسر) .

ومن الأفعال غير المتصرفة التى تبقى فى حالة المضــــارع المنسوب إلى المتكلم الفعل (أَهَلُمُّ) بمعنى أُقْبِلُ ، وهو جواب لمـــن قيل له (هَلُمَّ) وفيه عدةُ لغاتٍ.ولم أجدْ شواهدَ لاستعماله ، والصنعة والقياس لا يأبيان مجيء الماضى فيقال هَلْمَمْتُ كَصَعْرَرْتُ وَشَمْلَلْتُ علـــى وزن فَعْلَلْتُ . وهلمّ لم يزل مستعملا حتى الآن ، ولكنّ جوابـــه أهلـــم هـــو الذي هُجِرَ، ولم يعـــدْ مستعملاً .

ومنها في رأي بعض النحاة ـ (ها) بمعنى (خُذْ) وفيها لغاتٌ ثلاثٌ ـ بيّنّاها في موضعها ـ وهي فيها ملازمةٌ لصيغة الأمر دون الماضي أو المضارع ، ولا تُعَدُّ في هذه اللغات أسماءَ أفعالٍ ، وكما أنّ (أَهَلُمّ) رَدٌّ وجوابٌ عن (هلمّ) فإنّ (هَاءَ) لها جوابٌ وهو (أَهَاءُ) وهو فعل متصرفٌ لم يأت منه إلاّ المضارعُ المنسوبُ إلى المتكلم . وهذا الفعلُ بلغاته الثلاث قد أُميت ولم يبق منه إلاّ العنصرُ الإشاريُّ الذي نجدُه في أول أسماء الإشارة .

والفعل (هات) بقي هو وحدَه دونَ ماضيه هَاتَى ومضارعه يُهَاتِي اللذين أُميتا ، وقد ذُكرا في أكثرَ مِنْ مرجعٍ وعدّه الزمخشريُّ وشارحُ مفصله ابنُ يعيشَ ـ دونَ النحاة ـ اسمَ فعلٍ ، وجَعَلا (هَيْتَ) أصلَ مادته ، وهذا خطأٌ فإنّ أصلَه الثلاثي : هتا مثل عطا . وربما كانت الهاءُ التي في أول (هات) هي التي أوهمت الزمخشريَّ وابنَ يعيش أنه اسمُ فعلٍ لأنّ كثيرا من أسماء الأفعال والأصوات تبدأ بهذا الصوت (الهاء) ، ومن أجل دفع هذا التوهم رأى بعضُ النحاةِ أنّ الهاءَ فيه مبدلةٌ من الهمزة فالأصل آتَى يُوَاتِي ، ولا نستبعدُ ذلك فهناك كثيرٌ من حالات هذا الإبدالِ مدعمةٌ بالشواهد.

و(تَعَالَ) فعلُ أمرٍ غيرُ متصرفٍ بشرط قصره على أسلوب النداء بمعنى : اقْبِلْ . أما إذا استعمل في غير النداء فهو متصرف .

و(يَهِيطُ) فعلٌ مضارع غيرُ متصرف بمعنى يصيح وقد أُميت هذا الفعل ، بعد أن كان مستعملا ، يدل على ذلك أن ما اقترن بهذا الفعل من أفعالٍ (وهي ماط وساط وعاط) مستعملةٌ ولها شواهدُ في كتبِ الأدب . ويبدو أن (يهيط) كان من نطق عوام العرب ، بدليل اختلاف عين المصدر عندهم وهو ايضا غيرُ مستعمل:

مُهَايَطَة ومُعَايطة ومعايطة ومسايطة .

كذلك الفعل (يَسْوَى) بمعنى (يساوي) وقد أنكر اكثرُ من نحوي ولغوي وجودَ هذا الفعل أو حكموا بندرته . ونظن أن يسوي معدولةٌ عن يساوي وهذا الاصطلاح ـ العدل ـ أخذناه من باب الممنوع من الصرف كانّ تقول : عمرُ معدولٌ عن عامرٍ وزفرُ معدولٌ عن زافرٍ . وربما كان هذا (العدل) ـ إنْ صحَّ هذا التعبيرُ ـ لهجةً من لهجات العرب، أو هو للتخفيف من المد الذي في يساوي ، أو أنه كان نطقَ نفرٍ من العرب ثم انقرض هذا النطق بعد ذلك .

و(نَكِرَ) لم يستعملْ إلاّ ماضياً . ونكِر وأنْكَرَ لغتان، ولكنَّ المضارعَ (يُنْكِرُ) يستعملُ للاثنين، ولم يجيء المضارعُ من (نكِر) الذي هو الأصل في رأينا ، ثم تعدى بالهمزة وأصبح (أنكر) واستعمل مضارعه للاثنين الثلاثي والرباعي بعد أن هُجر (يَنكر) بفتح الياء .

و(هدّ) فعل متصرف بمعنى هَدَمَ وكَسَرَ ، ولكنّه في استعمال خاص دال على المدح لم يجيء إلاّ ماضيا ، وذلك في مثل " مررْتُ برجلٍ هَدَّكَ من رجلٍ " ، أي " اثقلَكَ وصفُ مَحاسنه " وواضحٌ أنَّ هناك علاقةً معنويةً بين الفعل (هدّ) بمعناه العام وبين معناه في المدح " اثقلك أو أعجزك وصف محاسنه " ، عَلَى أنّي لم أجدّ شاهدا على هذا الاستعمال ، بل رأيتُ شاهداً على استعماله للتعجب كقول أبي لهب " لَهَدَّ ما سَحَرَكُمْ صاحبُكم " .

هذا وبالله وحده التوفيق ..!

فهرس المصادر والمراجع

(١) الاشتقاق لابن دريد : تحقيق عبدالسلام هارون : ط المثنى بغداد ١٩٧٩ .

(٢) الاشتقاق لعبد الله أمين : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ .

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي : حيدر آباد الهند ، ١٣٥٩ هـ .

(٤) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : دار الثقافة بيروت ١٩٧٤ .

(٥) أقسام الكلام العربي : د. فاضل مصطفى الساقي ، الخانجي مصر ، ١٩٧٧ .

(٦) أمالي السيد المرتضى : ط السعادة بمصر ، ١٩٠٧ .

(٧) أمالي الزجاجي : ط القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .

(٨) إنباه الرواة على أنباه النحاة للوزير جمال الدين القفطي تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم : دار الكتب ١٩٥٠ .

(٩) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري : ط صبيح ١٩٥٣ .

(١٠) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام : تحقيق محمد محيي الدين . ط السعادة بمصر ، ١٩٤٩ .

(١١) البحر المحيط لأبي حيان : مطبعة السعادة مصر ١٣٢٨ هـ .

(١٢) البرهان فى علوم القرآن : لبدر الدين الزركشي : تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٩ .

(١٣) بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي : تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم ط الحلبي ، ١٩٦٤ .

(١٤) تاج اللغة وصحاح العربية لأبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهري : تحقيق احمد عبدالغفور عطا دار الكتاب بمصر .

(١٥) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك : تحقيق كامل بركات دار الكتاب بمصر ، ١٩٦٧ .

(١٦) التطور النحوي لبرجشتراسر مطبعة السماح بمصر ١٩٢٩ .

(١٧) الجامع لأحكام القرآن للطبري دار الكتب ، ١٩٤٠ .

(١٨) جامع البيان فى تأويل القرآن للقرطبي : تحقيق محمد شاكر واحمد شاكر دار المعارف بمصر دون تاريخ .

(١٩) حاشية الجمل على الجلالين وبهامشه اعراب القرآن للعكبري المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٣ .

(٢٠) حاشية الصبان على شرح الأشموني . المكتبة التجارية بمصر دون تاريخ .

(٢١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي : تحقيق عبدالسلام هارون دار الكتب العربي ،١٩٦٩ .

(٢٢) الخصائص لابن جنى . تحقيق محمد على النجار ط دار الكتب ١٩٥٥ .

(٢٣) دراسات نحوية في خصائص ابن جني للدكتور أحمد سليمان
دار النشر الجامعي ، ١٩٨٥ .

(٢٤) ديوان الأعشى : تحقيق د . محمد محمد حسين . بيروت
١٩٦٨ .

(٢٥) ديوان الحماسة لأبي تمام تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي ،
ط ، صبيح ، ١٩٥٥ .

(٢٦) ديوان كثير عزة شرح الدكتور إحسان عباس . دار الثقافة
بيروت .

(٢٧) ديوان لبيد : شرح الدكتور احسان عباس ط الكويت .

(٢٨) شذا العرف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي : ط الحلبي
بمصر ، ١٩٥٥ .

(٢٩) شذور الذهب لابن هشام . التجارية الكبرى بمصر ١٩٥٧

(٣٠) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك التجارية الكبرى بمصر
١٩٦٤ .

(٣١) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك تحقيق محمد محيي
الدين ط .

(٣٢) شرح التصريح على التوضيح : خالد الأزهري : التجارية
الكبرى بمصر دون تاريخ .

(٣٣) شرح ديوان امرىء القيس للأستاذ حسن السندوبي . التجارية
الكبرى بمصر ، ١٩٥٣ .

(٣٤) شرح ديوان جرير محمد اسماعيل الصاوي . التجارية الكبرى
دون تاريخ .

(٣٥) شرح ديوان الفرزدق : عبد الله ابراهيم الصاوي التجارية الكبرى ١٩٣٦ .

(٣٦) شرح ديوان المتنبي للعكبري . ط الحلبي ، ١٩٥٤ .

(٣٧) شرح شواهد المغني للسيوطي : المطبعة البهية بمصر ، دون تاريخ .

(٣٨) شرح الكافية للرضي الاستراباذي : ط استنبول : دون تاريخ

(٣٩) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الانباري : تحقيق عبدالسلام هارون دار المعارف ، ١٩٦٨ .

(٤٠) شرح المعلقات السبع للزوزني مكتبة القاهرة ١٩٦١ .

(٤١) شرح المفصل (مفصل الزمخشري) لابن يعيش المنيرية بالقاهرة دون تاريخ .

(٤٢) شعر الأخطل تعليق وشرح الأب أنطون صالحاني اليسوعي : المطبعة الكاثوليكية ببيروت ، ١٨٩١ .

(٤٣) شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك . دار العروبة بمصر ١٩٥٧ .

(٤٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب لابن فارس : تحقيق مصطفى الشويمي ببيروت ، ١٩٦٤ .

(٤٥) العقد الفريد لابن عبد ربه : دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٦٥

(٤٦) علم اللغة للدكتور علي عبدالواحد وافي : مكتبة النهضة ١٩٤٤ .

(٤٧) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية : جورجي زيدان : ط الهلال سنة ١٩٥٨ .

(٤٨) فى علم اللغة التقابلي للدكتور أحمد سليمان : دار المعرفة الجامعية ١٩٨٥ .

(٤٩) فى النحو العربى نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومـــى : ط بيروت ، ١٩٦٤ .

(٥٠) القاموس المحيط للفيروز آبادي .

(٥١) الكتاب لسيبويه : ط المثنى مصورة عن ط بولاق سنة ١٣١٦هـ .

(٥٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويـــل لجار الله الزمخشري : بيروت دون تاريخ .

(٥٣) لسان العرب لابن منظور .

(٥٤) اللغة لفندريس ترجمة الأستاذين القصاص والدواخلي الأنجلـــو المصرية ١٩٥٠ .

(٥٥) اللغة والنحو للدكتور حسن عون مطبعة رويال بالاسكندريــــة ١٩٥٤ .

(٥٦) اللغة العربية : معناها ومبناها للدكتور تمام حسان ، الهيئة المصريـــة للكتاب ١٩٧٣ .

(٥٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة تحقيق فؤاد سزكين الخانجي ١٩٥٤ .

(٥٨) مجمع الأمثال لأبى الفضل النيسابوري المعروف بابن الأثيـــر الناشر : عبد الرحمن محمد . الأزهر . مصـــــر ١٩٥٢ .

(٥٩) مختار الشعر الجاهلي : جمع الأستاذ مصطفى السقا . الحلبـى مصر . ١٩٤٨ .

(٦٠) المخصص لابن سيده المرسي بولاق ١٣١٩ .

(٦١) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي . نهضة مصر ١٩٥٥ .

(٦٢) المزهر للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرين ط الحلبي دون تاريخ .

(٦٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ط بيروت ١٩٥٥ .

(٦٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق مازن المبارك وآخرين بيروت ، ١٩٧٩ .

(٦٥) المفصل في قواعد اللغة السريانية وآدابها . للأبراشي وآخرين ط الأميرية بولاق .

(٦٦) المفضليات للمفضل الضبّي : تحقيق شاكر وهارون دار المعارف ١٩٦٣ .

(٦٧) معاني القرآن لأبي زكريا الفراء : تحقيق محمد على النجار الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ وهناك طبعة أخرى للهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٦٨) النحو الوافي للمرحوم عباس حسن ط دار المعارف ١٩٦٣ .

(٦٩) نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري. تحقيق إبراهيم السامرائي : دار المعارف بغداد سنة ١٩٥٩ .

(٧٠) النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير . ط الخيرية بمصر دون تاريخ .

(٧١) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري بيروت ١٩٦٧ .

(٧٢) النواسخ الفعلية والحرفية . للدكتور أحمد سليمان . دار المعارف ١٩٨٤ .

(٧٣) همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطي : ط بيـــــروت دون تاريخ .

الدوريات :

مجلة مجمع اللغة العربية : الجزء الرابع ١٩٢٧ .

الجزء الحادي عشر ١٩٥٩ .

مراجع أجنبية :

1 - A. Dictionary of Theoretical Linguistics. by M.El - Khuli, Librarie Liban 1982.

2 - Fundamental Problems of Phonetics. by G.C. Catford Indian University Press 1982.

3 - A. Grammar of the Arabic Language. Translated of the German of Caspri by W. Wright - London 1875.

4 - A. Grammar of the Classical Arabic Language B.M. Howell London. 1883

الفهـــــرس

إهداء	
مقدمة	٧
الفصل الاول	١١
هذه الأفعال : هل هي جامدة أو غير متصرفة	١٣
الفصل الثاني	٢٩
كان وأخواتها	٣١
دام	٤١
زال وانفك وفتىء وبرح	٤٥
الفصل الثالث	٤٩
أفعال المقاربة	
الفصل الرابع	٥٩
أفعال الشروع	
الفصل الخامس	٧٣
أفعال الرجاء	
الفصل السادس	٨٩
أفعال القلوب	
تعلم وهب	٩١
الفصل السابع	٩٥
أفعال المدح والذم	
نعم وبئس	٩٧
حبذا ولا حبذا	
فعل	١٠٤
ساء	١١٤

الفصل الثامن	١١٩
صيغتا التعجب	١٢١
الفصل التاسع	١٣٥
أفعال الاستثناء	١٣٧
الفصل العاشر	١٤٧
أفعال متفرقة	١٤٩
وذر — ودع	١٥١
كذب عليك	١٥٦
تبارك	١٦١
قل	١٦٤
سقط في يده	١٦٧
عم صباحا	١٧١
ينبغي	١٧٥
هلم وهب	١٧٨
هات وتعال	١٨٣
يهيط ويسوي	١٨٩
نكر	١٩٣
هد	١٩٦
نتائج البحث	١٩٧
فهرس بالمصادر والمراجع	٢١٧